العدد ٦ من السنة الثانية — جمادى الأولى سنة ١٣٦٠ — يونيه سنة ١٩٤١

مجلة الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

كل ما يتعلق بالنشر والاشتراك يرسل باسم مدير التحرير مباشرة

قيمة الاشتراك فى اثنى عشر عددا ... ... ١٥ قرشا

ترسل إذن بريد ، أما طوابع البريد فلا تقبل

ليس للمجلة وكلاء ولا محصلون

مدير التحرير : حسن الشريف

إدارة المجلة : بديوان وزارة الشؤون الاجتماعية ، تليفون ٨٥٣١٢

فهرس مواد العدد

صفحة

التمهيد لقبول الاصلاح	محمد عبد الجليل أبو سمرة باشا	٣
المظاهر والأشكال	محمد على علوبة باشا	٧
مشايخ الطرق الصوفية	على جمال الدين باشا	١١
لعب الأطفال		١٥
الدلق الأكبر للسعادة	الأستاذ محمد كامل سليم بك	١٨
المحسوبية فى مصر	الدكتور على عبد الواحد وافى	٢٥
العائلة فى الاصطياف		٢٩
توزيع الثروة فى مصر	الأستاذ مريت بطرس غالى بك	٣٢
المخط دليل الحيوية	الأستاذ سيد قطب	٤٤
مكتبة القرية		٥٠
الحفاء فى ماضيه وحاضره	محمود حسيب بك	٥٢
جولة فى ميادين العلم الحديث	الأستاذ أحمد عبد الخالق بك	٥٥
مكافحة الحفاء بين العمال	راضى أبو سيف راضى بك	٦٣
مستوى حياة الفلاح	الدكتور أحمد حسين	٦٦
روح العبث فى الجمهور		٧٥
تربية الآباء	الأستاذ سلامه موسى	٨٠
الدعاية فى خدمة الاصلاح الاجتماعى	الأستاذ محمد زكى عبد القادر	٨٣
الأسرة الكبيرة		٨٦
حسن استخدام أوقات الفراغ	الأستاذ س . م	٨٨
بعض أخطاء الزوجات		٩١
روح المقامرة والمتاجرة	الأستاذ س . ق	٩٤
ويخصون بالشكر		٩٩
تحسين النسل		١٠١
نصائح وارشادات صحية	وزارة الصحة	١٠٤
متفرقات اجتماعية		١١١
أسئلة وأجوبة		١١٧

التمهيد لقبول الإصلاح

واجب كالإصلاح ذاته

لحضرة صاحب المعالى محمد عبد الجليل أبوسمرة باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

تدفعنا الرغبة فى الإصلاح الاجتماعى، كما تدفعنا شدة ما نراه من مظاهر الانحلال والتأخر والفساد فى المجتمع المصرى، إلى تعجل خطوات الاصلاح وإلى طلب الاسراع فى إنقاذ هذا الشعب الذى تصالحت عليه الويلات والعلل وخلفت له الأجيال تركة مثقلة بالأعباء .

وفى أثناء اندفاعنا وراء هذه الرغبة الكريمة ننسى أمرا مهما لا يقل عن تنفيذ الإصلاح، وهو التمهيد لقبول الاصلاح والانتفاع به ، وتهيئ الأذهان والنفوس للسير على هداه ، والتوفيق بين المطالب والرغبات المختلفة، والتنسيق بين النواحى المتباينة، حتى يسير الإصلاح منتظم الخطوات ، مقبولا من جميع الهيئات والطبقات .

ولعل هذه هى مشكلة الاصلاحات الاجتماعية. فليس الإصلاح حركة آلية تسير بالسرعة التى نريدها ، ولا هو معرفة من المعارف العقلية التى يكفى الإلمام بها ، ولكنها مسألة وجدانية واقتصادية وقانونية وصحية ، و بتعبير مجمل : مسألة إنسانية معقدة كتعقيد الانسان ذاته، وكل إغفال لعقدة من العقد يؤخر حلها جميعا إن لم يحدث بها ارتباكات وعقدا جديدة.

خذ مثلا لذلك مسألة المياه النقية الصالحة للشرب ، فقد قرأت أخيرا لكاتب كبير أن أهل قرية من القرى التى أمكن توفير المال الصالح لها ، يأبون أن يشربوا هذا الماء الذى ذهب ما فيه من عوامل "الخصب" ، وأن فتيات القرية ونساءها اللواتى ينقلن الماء بالجرار كن يتركن هذا الماء النقى ويذهبن إلى الماء العكر الذى لا يزال بخيره ودسمه وخصوبته ، لاعتقادهن أن ما يخصب الأرض يخصب النسل !

وتلك عقيدة غريبة مؤلفة من عناصر شتى أهمها الجهل، كما نلمح فيها الخرافة المصرية القديمة عن النيل ، وقد كمنت فى نفوس سكان الوادى ، ثم ها هى ذى تظهر فى شكل من الأشكال، لأن الخرافات والعقائد الشعبية لا تموت ، ولكنها تتشكل بأشكال مختلفة وترتدى أثوابا كثيرة .

وخرافة كهذه كفيلة بالقضاء على مشروع نافع كمشروع المياه المرشحة بُحّت الأصوات وحفيت الأقلام فى النداء بتحقيقه ، وإنقاذ الملايين من الماء النكد والجراثيم العالقة به والامراض المتوطنة التى تسببها هذه الجراثيم .

ومقاومة مثل هذه الخرافات عمل عسير يجب السير فيه برفق وحذر، كما يجب تجنيد قوى الدعاية والاقناع جميعها فى سبيله، والاستعانة بالدين والخطب والصور المتحركة والأمثلة المنوعة لتنوير الأذهان وتطهير الوجدان، وإلا ذهبت النفقات الباهظة على هذه المشروعات هباء.

والتعليم أهم وسيلة من وسائل التهيؤ لقبول الإصلاح. وقد كانت أمالنا معلقة على انتشار التعليم الالزامى بالقرية، ولكن أمر هـذا التعليم يصلح لأن يكون مثلا يضرب كمثل المياه المرشحة. ذلك أن كثيرا من الآباء لا يخضعون لقانون الإلزام الذى يصطدم بعوامل تقليدية واقتصادية لا يجوز إغفالها حين نسن القوانين للناس ونطالبهم بتنفيذها.

فقد لوحظ أن كثيرا من الآباء يتحملون الغرامة التى يفرضها القانون تلو الغرامة، مفضلين ذلك على أن يرسلوا بناتهم الى المدارس. الأمر الذى لاتسيغه التقاليد فى بعض الجهات. وفى بعض الأحيان نشأت حالات من النفور الشديد بين أهالى القرية ورئيس المدرسة الالزامية ومدرسيها أدت الى كثير من الجرائم بسبب قيام هؤلاء بواجبهم الذى يلزمهم القانون به من التبليغ عن الآباء الذين يمتنعون عن إرسال بناتهم الى المدارس.

ومشكلة التقاليد يجب تناولها بالتلطف لا مواجهتها بالعنف، فهى عميقة الجذور فى النفس الانسانية، ومحاولة اقتلاعها بالقوانين محاولة متعبة أو فاشلة، وعلى أية حال يجب النظر اليها باهتمام عند تنفيذ الإصلاحات الاجتماعية.

أما البنون فقد لوحظت كذلك كثرة تغيبهم عن المدرسة الالزامية، وكانت وراء هـذا التغيب فى معظم الأحوال عوامل اقتصادية لها قيمتها فى حياة الفلاح المصرى. ذلك أن الولد يعد دائما فى الريف جزءا من رأس مال أبيـه، اذ هو شريكه ومعينه فى زراعته، والفقر الأسود الذى يعانيه الريف يجعل معونة الصبيان لا بائهم ذات قيمة اقتصادية عظيمة، بل يجعلها جزءا من مورد الأسرة المـالى.

وهـذه أيضا مشكلة ينبغى الانتباه إليها عند محاولة الإصلاح الاجتماعى عن طريق التعليم الذى نعـده بدوره حلقة أساسية لقبول الاصلاحات الاجتماعية الأخرى، إذ هو الوسيلة لتنوير الأذهان، حتى لا نتمسك بخرافة الخصب فى المـاء العكر!

فهذان المثلان اللذان ضربتهما يصوران لنا مدى الصعوبات المتشابكة المتداخلة أمام ما ندعو اليـه وما نهم به من الاصلاح، ويبينان ضرورة البدء بإيجاد التهيؤ والاستعداد لقبوله، قبل أن نستخدم القانون كأداة من أدوات التنفيذ.

وننظر بعد ذلك إلى النقط الأساسية فى الاصلاح المطلوب. تلك النقط المتعلقة بالفلاح والعامل، وإليهما يجب أن توجه معظم الجهود. ذلك أنهما طائفتان كبيرتان، بل هما الشعب كله إلا قليلا، وهما تعيشان فى مستوى لا يليق بالإنسان.

ونحن مضطرون حين ننوى توفير الخير لها أن نراعى جملة اعتبارات، وأن نقنع جميع من تتناولهم هذه الاعتبارات بضرورتها ونهيئ نفوسهم لقبولها، ونستمع إلى حجج الجميع كذلك وننظر فى ظروفهم بكل عناية ودقة، حتى لا نصلح طائفة على حساب طائفة أخرى أو على حساب المصلحة العامة من ورائهم جميعاً .

فمشكلة الفلاحين والعمال فى أسسها هى مشكلة الفقر، وهى ناشئة عن قلة الأجور فى الغالب، وعن قلة الضمانات التعاونية والصحية . وقد يخطر لنا أن نحلها بزيادة الأجور زيادة إجبارية يكفلها القانون، ولكن تعترضنا هنا مصلحة الملاك وأصحاب الأعمال، وهذه المصلحة لا ينبغى أن نجور عليها مادامت معقولة عادلة؛ فقد تتوقف عليها أمور كثيرة كالتمكن من الوقوف لمنافسة الأجنبية فى الأسواق والقدرة على استغلال الأرض، مما يعجز عنه الملاك وأصحاب الأعمال إذا رفعت الأجور فوق مستوى معين يخسرون معه ولا يربحون، أو يتحولون بأموالهم إلى أنواع أخرى من الاستغلال لا تتفق مع مطالب البلاد ومصلحتها العامة وطورها الحاضر .

إلا أن هذه النظرة لا يجوز أن تتعارض مع الحد الاجتماعى الذى يضمن للفلاح والعامل حياة معقولة . فقانون عدم الحجز على قوت الفلاح مثلا قانون لا يجوز تأخيره أو الاعتراض عليه بحجة من الحجج، وقانون التأمين الصحى للعامل قانون عادل لا يصح الهبوط عن مستواه .

وهكذا نواجه فى هذه المسألة الأساسية من مسائل الاصلاح الاجتماعى مشاكل متشابكة لا بد من التحصن عنها جميعاً، والنظر فى كل احتمالاتها، وتهيئة النفوس من الجانبين لقبولها، والاقناع بضرورتها قبل الالتجاء إلى الوسائل القانونية المجردة التى يجب دائماً أن تكون الحلقة الأخيرة .

ومثل هذا يقال فى كل مشكلة من مشاكل المجتمع المصرى العميقة الجذور التى تتحكم فيها العادات والتقاليد تارة والأوضاع الاقتصادية والدولية تارة أخرى. فمسألة كمسألة مقاومة المرض لا تتوقف على افتتاح المستشفيات ولكنها تتوقف قبل هذا على نبذ الخرافات الطبية الشائعة وتمكين الثقة بالطب الحديث فى نفوس القرويين وإزالة أسباب المرض وأهمها الجراثيم المتوطنة ونقص التغذية ووسائل النظافة . ومشروع كمشروع مقاومة الحفاء يحتاج إلى إقناع الطبقات الفقيرة بضرورة الانتعال قبل أن تقدم إليها الأحذية .

ومن هنا تبرز أهمية الارشاد الاجتماعى . فهو أول وسائل التهيئة لقبول الاصلاح، وتفتيح مغاليق الأذهان والنفوس للدعوة الإصلاحية . فالطبقات العليا يجب أن تهبط قليلا والطبقات الدنيا يجب أن ترتفع قليلا لتتقابلا فتتفاهما على معنى الاصلاح . والارشاد الاجتماعى هو الذى يأخذ بيديهما ليجمعهما عند نقطة معينة فيتواجهان ويكون التفاهم والاقتناع .

وقد استطاعت الدعاية التي تقوم بهـا وزارة الشؤون الاجتماعية منـذ عام و بعض عام أن تصنع شيئا كثيرا فى هذا السبيل، واستطاعت على الأقل أن تجعل الحديث فى هذه الشئون يحل فى بيئات وأوساط كثيرة محل المناقشات السياسية العقيمة والأحاديث الفارغة لقطع الوقت ، وهذا مكسب ليس باليسير .

وأهم من هذا أن تكرار الدعوة واقتراح الحلول أوجد كثيرا من الاستعداد لقبول حلول معينة ومشروعات خاصة كانت تقابل بالرفض والاستنكار، وتتهم بالتطرف ومجانبة الاعتدال.

ففكرة كفكرة فرض ضرائب متدرجة بحسب الدخل تكاد تصبح فكرة مقبولة من الكثيرين لأنه لا مناص منها لتحقيق العدل الاجتماعى فى الحدود القانونية النظامية . وفكرة الضمانات للعمال من أضرار العمل فكرة نضجت واحتلت مكانها من العقول فى أثناء الدعوة الاجتماعية الدائبة ، فضعفت المعارضة الشديدة التى كانت تقاوم بها هى وأمثالها من أصحاب الأعمال .

وهكذا تنضج الأفكار الاجتماعية وتستعد النفوس لقبولها كلما كثر الحديث فيها وطال تقليبها على وجوهها المختلفة، وهذه خطوة أساسية فى نجاح الحركة الاصلاحية لا تقل شأنا عن مشروعات الاصلاح ذاتها وعن وسائل تنفيذها كذلك .

محمد عبد الجليل أبو سمرة

من آراء الإمام على

قوام الدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلّم، وجوادٍ لا يبخل بمعروفه ، وفقير لا يبيعُ آخرته بدنياه ؛ فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، واذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه .

المظاهر والأشكال

تصرفنا عن الحقائق والأعمال

لحضرة صاحب السعادة محمد على علوبه باشا

العمل المثمر المضمون البقاء والتقدم والنجاح ، هو العمل الذى يقوم على العقيدة ، ويدفع اليه الإيمان وتبعثه الرغبة فى القيام به . أما العمل الذى يدعو اليه التظاهر والتفاخر والذى يقوم على إرضاء شخص أو جماعة أو سلطة، فعمل مآله البوار، مهدد بالترك والإهمال حسب انعدام الحافز الخارجى أو تغيره .

نعم . إن حب الثناء طبيعة فى الإنسان، وإن الغرض أو المباهاة غريزة إنسانية، ولكن ينبغى أن ترتكز المباهاة على أعمال تبعثها العقيدة وتحفز اليها الحماسة ، ثم يجىء الثناء عليها والافتخار بها غرضين تاليين لا غرضين أصيلين .

ويبدو لمن يلاحظنا فى المدرسة والبيت والديوان والمجتمع ، أننا نصنع كل شىء فى حياتنا لمظهره لا لحقيقته ، وللمباهاة لا للانتفاع به، ويعنينا من جميع تصرفاتنا الإعلان والإذاعة ، لا القيام بالواجب ، ولا تحقيق النفع الذى يثمره العمل بطبيعته .

تصاحبنا هذه الروح فى المدرسة فتبدو فى مظاهر كثيرة نشير اليها هنا إشارة عابرة إذ نقول : إن الغرض من كل ما يقع فيها ليس التعليم وليس التربية، ولكن مظهر التعليم ومظهر التربية الذى يراه الرؤساء .

فالألعاب الرياضية مفروض أنها قررت درسا أصليا فى المنهج لتقوية الأجسام وتقويم الأبدان من جهة ، ولتكوين الأخلاق وغرس بذور الفضائل من جهة أخرى ، وللرانة على نوع من التضامن الاجتماعى من جهة ثالثة .

والمفروض حينئذ أن ينال كل تلميذ منها نصيبا ، وأن يكون الضعفاء والشواذ أحق الجميع بزيادة العناية بأمرهم فيها ، حتى تستقيم أجسامهم وأخلاقهم ، وحتى يجدوا من الفرص الإصلاحية فى اللعب ما قد يعز عليهم فى الدرس .

ولكننا نحن عكسنا الآية ، وصرفنا كل غايتنا من الألعاب الرياضية إلى المباريات والحفلة العامة التى يدعى إليها الوزراء والحكام والناس العظام . وعلى هذه القاعدة جعلنا نختار لقسم الألعاب فى كل مدرسة التلاميذ الأقوياء البنية الذين مرنوا على أداء التدريبات

الرياضية، وبعبارة أخرى التلاميذ الذين ليسوا فى حاجة لهذه الألعاب من الوجهة البدنية . أما الأخلاق فلم تخطر لنا على بال ، إذ أنها لا تظهر فى المباريات والحفلات ، فليست إذن بذات بال !

وابتدعت وزارة المعارف فى الأعوام الأخيرة بدعة طيبة وهى " النشاط المدرسى" الذى افتتحت معارضه فى هذا العام بمهرجانات وحفلات . وكان القصد من هذا النشاط أن تفسح لمواهب التلاميذ وسائل الظهور فى غير حجرات التدريس ، وأن تجعل منه وسيلة لمرانة الملكات العقلية بعيدا عن القيود المعتادة فى الحصص ، وأن تعلم التلاميذ قضاء أوقات الفراغ فى عمل نافع أو رياضة محبوبة ، حتى لا ينفقوها — متى كبروا — فى العبث الفارغ أو الأفكار الشريرة .

ولكننا كعادتنا حولنا هذا النشاط عن الغرض الأصلى منه الى المظهر والإعلان ، وجعلنا غايتنا الأولى والأخيرة هى "المعرض" واخترنا لكل قسم من أقسامه أمهر التلاميذ فى المدرسة على أعمال هذا القسم . أما الضعاف فلا علينا منهم ، ماداموا لا ينفعون فى المباراة والسباق . وألهبنا أيدى التلاميذ وظهورهم بالعمل المرسوم المحدود فى هذا النشاط الذى نزعم أنه حر وطليق ! ! لأن المعرض ينتظرنا ولأننا نريد أن نرضى الرؤساء وننال الجوائز ، وعفاء بعد ذلك على كل غرض آخر من أغراض النشاط المدرسى .

والتدبير المنزلى فى مدارس البنات جعل ضمن البرنامج لتدريب الفتاة على حياة البيت كى لا تكون غريبة على شؤون المنزل حين تأوى اليه ؛ ولتنتفع بما درست فتطبقه فى دارها ببصيرة وإتقان لا يتهيآن للفتاة الجاهلة .

كان ذلك هو القصد العملى ، ولكن المدارس أحالته الى مظهر أجوف لا ينطبق على الحياة العملية فى شىء ؟ ويكفى أن تعلم أن "خرط البصل" لا يتم فى المدرسة إلا بالشوكة والسكين لأن هذا هو المثل الذى يحقق المظهر الشاذ الذى يلفت النظر ، أما ربة بيت أو الطباخ فلا يخرط البصل إلا بيده وبالسكين ضنا بالوقت أن يضيع فى عمل تافه صغير !

ويكفى أن تكون مدعوا مرة فى حفلة تقيمها مدرسة معلمات فترى كل طبقا من الحلوى من صنع التلميذات فيعجبك ، فتسأل عن تكاليفه فيقال لك : " ستة وتسعون قرشا" ! أى نعم ، الفتاة التى تتخرج من مدرسة المعلمات لتتزوج موظفا صغيرا لا يزيد مرتبه على ثمانية جنيهات لا تستطيع أن تصنع له طبقا من الحلوى إلا بستة وتسعين قرشا ، أو بأربعة وعشرين لأن الطبق الكبير كان يكفى ثمانية أشخاص !

ذلك هو " التدبير المنزلى " فى مدارس البنات . شىء للمظهر والزينة لا للعمل والمرانة .

والمدارس الصناعية مفروض أنها أنشئت لسد حاجة السوق من الصناع المهرة المثقفين قبل أن تنشأ للزينة والمعارض . ولكن التدريب فى هذه المدارس يتجه إلى تحقيق الكماليات وإلى صنع الأشياء الفاخرة وحدها، لا إلى إنتاج المصنوعات التى تروج فى الأسواق. وحسبك زيارة لمعروضات هذه المدارس المرتفعة الأثمان لتدرك الشرود فى توجيه هؤلاء الطلاب . فأنت لا تستطيع أن تشترى أثاث حجرة مكتب مثلا فى حدود خمسة وعشرين جنيها ، ولا حجرة مائدة فى حدود ثلاثين جنيها أو أربعين ، ولابد أن تسمع أرقاما ذات صفرين على اليمين، فهل للترفين وحدهم عمل هؤلاء الصناع ؟

لا شك فى أن هذا هو الذى جعل خريجى هذه المدارس غير رائجين فى سوق العمل ، فلا بد من تدريبهم بعد تخرجهم على مصنوعات السوق حتى يستطيعوا الانتفاع بما درسوا فى المدرسة . وهذه لفة طويلة هم أولى بالوقت الذى تستغرقه فى حياتهم المحدودة .

وكراسات التلاميذ وأعمالهم فى الدروس قصد منها إلى تعليمهم وتصويب أخطائهم . ولكنها فى نظر المدرسين مجهولة لاطلاع النظار والمفتشين والرؤساء قبل كل شىء ، فيجب أن يكفلوا لها النظام بأى ثمن ، ولو على حساب غرائز التلميذ وتدريبه العلمى . وتبلغ الدرجة أن " يسود " التلاميذ فى كراسات يصححها المدرسون ثم " يبيضوا " المصحح فى كراسات أخرى يراها الرؤساء وتظهر فيها النظافة والتنميق .

والتعليم للتثقيف . ولكنه فى مدارسنا موجه كله للامتحان . فلا على المدرسة من إرهاق التلاميذ واتباع أخطر الطرق وأخطأ الوسائل فى تربية عقليتهم وشخصيتهم لضمان النجاح فى الامتحان ، ذلك المذبح الرهيب الذى تقدم فيه القرابين من شخصيات التلاميذ وعقلياتهم ومن ثقافاتهم أيضا .

وهؤلاء التلاميذ الذين يتعرضون لكل هذا الذى ذكرته وهم فى طور التعليم ، والذين يشبون وهم مؤمنون بالمظهر وبالإعلان ، بعيدون عن حب الواجب وطلب الحقيقة ، هم رجال الغد ، وهم الموظفون فى الديوان ، والآباء والأمهات فى المنازل ، واللبنات الجديدة فى المجتمع المنظور .

وهم لا يتعرضون للانطباع بهذا الطابع فى المدرسة وحدها . ذلك أن روح المظاهر والأشكال تصاحبنا فى المنزل، فحجرة الاستقبال هى الحجرة الأولى فى نظامنا المنزلى. أما حجرات النوم وحجرة المكتب فقلما نمنحها هذه العناية ، وأما المطبخ فآخر ما نفكر فى جعله لائقا بالساعات التى تقضيها ربة المنزل فيه . والسبب فى العناية بحجرة الاستقبال دون سواها هو روح الإعلان وحب المظاهر ، مع أن استعمالها ومدة وجودنا فيها قليلان بالقياس إلى الحجرات الأخرى .

ونحن نعلن عن أفراحنا وعن مآتمنا ، ونتباهى بأسماء المجاملين فى الأولى والمعزين فى الثانية ، وتقيم السرادقات الفخمة ، وندعو من لا تربطنا بهم صلة من قرابة أو صداقة ، لأنه لا يهمنا أن نفرح أو أن نحزن ، ولكن تهمنا مظاهر الفرح ومظاهر الحزن المصطنعة المتكلفة.

وتصاحبنا هذه الروح كذلك فى المجتمع والأعمال العامة ، فالبرامج الحزبية والبيانات الوزارية ، والمشروعات الحكومية أو الأهلية كلها موجهة للدعاية وللاعلان وليست ثمرة للاقتناع بفائدتها أو العزم الحقيق على تنفيذها . وكذلك تفعل الجماعات الأدبية والعلمية مع الأسف الشديد .

وهناك مشروعات ضخمة تعلن عنها هذه الهيئات ، وهى واثقة أنها لا تملك وسائل تنفيذها بل قد تكون ممتنعة بعدم صلاحيتها ، ولكنها تصلح للدعاية والضجيج ولها مظهر خلاب وبريق ، فهى تعرضها لتؤدى هذه الغاية وحدها ، وتعتمد على ضعف ذاكرة الجمهور وعلى تقلب الأوضاع والأيام ووجود المعاذير والعراقيل .

وبسبب تربية الطفل فى البيت والمدرسة هذا النوع من التربية ، وما يراه بعد ذلك من أعمال الهيئات فى المجتمع ، نراه قلما يتجه اتجاها عمليا وقلما يؤدى عملا لاقتناعه به اذا لم يكن له مظهر وضجيج وبريق . وذلك هو آفة التفكير والتنفيذ .

*

نحن فى حاجة الى تغيير هذه العقلية فى كل مكان : فى البيت ، حيث يجب أن نعنى بحجرات المنزل وأدواته بحسب قيمتها العملية لا بحسب مظهرها ، وحيث نكتفى فى أفراحنا ومآتمنا وحفلاتنا بما يحقق الغرض الأصيل منها من فرح أو حزن أو تعارف وينفى ماعدا ذلك من المظاهر الفارغة الجوفاء .

وفى المدرسة ، حيث نوجه الدراسة والألعاب الرياضية والنشاط المدرسى إلى الأغراض المقصودة النافعة للتلاميذ ، ونحدف من تفكيرنا العمل للمناظر والمفتش أو الحفلات والمعارض أو الامتحان والمباريات .

وفى النشاط الحكومى والاجتماعى ، حيث ينبغى أن نجعل همنا للافادة والحقائق لا للإعلان والمظاهر .

يجب أن نتعلم العمل الصامت الذى يعلن عن نفسه ، وأن نتعود أداء الواجب لأنه واجب لا لأنه يصلح للضجيج والتمويه ، وأن نقتصد فى الإذاعات والبيانات قبل أن نحقق ما يستحق الإذاعة والبيان .

يجب أن يكون الحافز للعمل نداء يهيب بنا من أعماق النفوس وقرارات العقائد ، لا رغبة فى إرضاء الرؤساء أو تصفيق الجماهير .

محمد على علوبة

مشايخ الطرق الصوفية

فى ميدان الخدمة الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة على جمال الدين باشا

العقيدة قوة تصنع المعجزات متى أحسن توجيهها والانتفاع بها ، والزعماء والمصلحون عرفوا هذه الحقيقة فاتجه همهم أولا إلى تكوين العقيدة و إنمائها وتقويتها ، حتى إذا تم لهم هذا وجهوا تلك القوة الخارقة وجهة العمل فلم تبال ما فى طريقها من مناعب وحواجز ، ولم تقف فى سبيلها قوة من القوى المادية .

ولو كنت شيخا من مشايخ الطرق لانتبهت إلى هذه الحقيقة وعرفت أن "المريدين" من حولى قوة ضخمة لأن العقيدة هى أخص ما يطبع جماعات الصوفية ؛ والتضحيات التى يبذلها الأتباع تنفيذا لرغبات الشيخ أو اكتسابا لرضائه تضحيات لاتبعثها إلا العقيدة الجارفة القوية ، ولعرفت كيف أنتفع بهـذه القوة ، وكيف أوجهها إلى خدمة أغراض الدين الاجتماعية والخلقية ، دون أن أتكلف شيئا سوى رسم البرنامج و بيان الوسائل وتوجيه الجهود .

للطرق الصوفية مراسم وطقوس معروفة . وليس لى من اعتراض على هـذه المراسم والطقوس ، فهى شعائر من شأنها أن تقوى العقيدة وتزيد من الحماسة لها . والطبيعة الإنسانية تريد مظاهر مادية وحركية ترمز بها إلى العقيدة الباطنية الوجدانية : فرفع اليد بالسلام على طريقة خاصة ولبس شارة معينة وما إلى ذلك من الطقوس يزيد التحمس والحرارة للعقيدة فى النفس ، وما حلقات الذكر وأمثالها إلا نوع من هـذه الشعائر . وهى كذلك تصريف لطاقة جسدية زائدة و إشباع لقوة خياليـة فائضة ربما أدى كبتها إلى وسائل أخرى غير مأمونة لتصريفها والتعبير عنها .

ولكننى لم أكن لأقنع بهذه الطقوس وأعدهـا غاية ما ترمى إليه الطريقة ، فالإسـلام ليس دين الشعائر والطقوس وحدها ، بل إنه ماشرع الشعائر والطقوس إلا تمكينا للعقيدة وتمييزا لأصحابها ومرانا على الطاعة والنظام و إعدادا للتهذيب والتوجه إلى الخالق بالأعمال .

إنمـا الإسلام دين العمل والاجتماع و إصلاح الحياة الدنيا والتمتع بها والمحافظة على نظامها وتهيئة وسائل الخير لها ، وقد عد ذلك كله من وسائل الصلاح فى الآخرة وموجبات الجزاء فيها . فكل انزواء عن المجتمع واقتصار على إقامة الشعائر مخالف لروح الدين ونصوصه ، ومعطل لغرض أصيل من أغراضه .

يجب إذن ان يكون للطرق الصوفية بجانب المراسم والطقوس وظيفة عملية اجتماعية خلقية ، وأن تستغل كل مالديها من القوى — وهى كثيرة — لأداء عمل نافع للمجتمع مما يحث عليه الدين و يتواصى به المؤمنون و يجعل لهذه الحياة قيمة ومثلا أعلى .

ولو كنت شيخا من مشايخ هذه الطرق لوجدت بين يدى قوة لعقيدة ، وقوة الكثرة ، وقوة المال . ولاستغلت ذلك كله استغلالا يكفل لهذه الطرق البقاء والدوام ، ويشعرنى بالقوة الحقيقية والسلطان ، ويجعلنى ذا أثر عملى فى مجرى الحوادث والأمور فى البلاد !

ففى أى الاتجاهات كنت أوجه هذه القوى جميعا ؟

فى مصر طفولة مشردة هى منبع من منابع الإجرام والبغاء . هذه الطفولة المشردة التى هى ذرة المستقبل و جزء من الثروة القومية العامة ، لا تجد اللقمة ولا الخرقة ولا تجد كذلك اليد الناعمة ولا القلب الرحيم ولا الإرشاد السليم ، وتضيق إصلاحيات الأحداث بها كما تضيق الملاجئ وتنبذهم هذه وتلك فى سن المراهقة — صبيانا وصبيات — فيعودون إلى التشرد والجريمة والبغاء ويخسرهم المجتمع ويخسر بهم خسارة كبيرة .

وفى مصر سجون تقذف كل يوم بأفواج من الناس بعد انقضاء العقوبة ، فيهم الصانع أو العامل الذى سدت فى وجهه سبل الكسب بعد وصمته بالجريمة والسجن وينبذه المجتمع خوفا منه وحذرا و ريبة ، وفيهم المظلوم الذى لم يستطع إظهار براءته فخرج ناقما على المجتمع شاكا فى كل عدالة وخير ، يتربص الفرصة للانتقام ، وفيهم المجرم الذى اعتاد الجريمة وألف السجون فهو يرتقب يوم خروجه ليرتكب الجريمة من جديد و يعود الى السجن من جديد .

وفى مصر مدمنون للخمر والمخدرات والقمار ، تهدم أجسامهم تلك الآفات وتذهب بأموالهم وتسىء إلى زوجاتهم وذرياتهم ، وتؤذى كرامة المجتمع كله وتوهن من بنائه ، وتؤهل للجريمة بعد فقد الوظيفة أو ضياع الثروة بسبب هذا الإدمان .

وفى مصر عصابات وساقطات يتهيئون جميعا للبغاء وتجارة الرقيق الأبيض لأن العشرة الأولى تقودهم إلى الثانية وهذه إلى الثالثة ، وهذه الى الماخور أو المنسر ، ولا يجدون من يأخذ بيدهم ويحميهم من تتابع العثرات أو يردهم الى المجتمع أطهارا شرفاء .

وفى مصر تعطل وفقر مدقع فى أوساط وبيئات لا تصل إليها أيدى الحكومة والجماعات الخيرية القائمة . وتعد هذه الهيئات أوكارا للفساد والجريمة . لأن النور والرحمة والهداية والمعونة لا تصل إليها ولا تومض لأهليها ومضة الرجاء .

وفى مصر .. وفى مصر ما لا يستطيع قلم أن يصفه من مزالق ومباءات و بؤس وظلام ، وفى هذا كله يجد رجال الطرق الصوفية عملا و يجدون لذة فى هذا العمل حين يوجهون التوجيه المستنير اللائق بالدين و بالقرن العشرين .

لو كنت شيخا لجعلت من طقوس الطريقة أن يلتزم كل " مريد " هداية احد العصاة وكسبه إلى جيش الفضيلة ، ولجعلت للمريدين مراتب والقابا ترتفع بنسبة الذين يهديهم ويرشدهم ويعيدهم إلى المجتمع أبرارا ويحثهم على وسائل العيش الشريف ويهيئ لهم السبيل ، ثم لضممت العصاة التائبين إلى زمرة المريدين ، وحتمت عليهم الإرشاد والهداية بدورهم والاستكثار من التائبين !

ما الذى يكلفنى هذا الاتجاه ؟ إنه لا يكلفنى شيئا سوى التنظيم والإشاد والتوجيه . إنه لا يقلل من سلطتى الروحية على أتباعى بل يزيدها قوة ، ولا يقلل من عدد المريدين حولى بل يزيدهم كثرة ، ولا يقلل من إيرادى بل يزيده وفرة . إنه يشعرنى أننى بناء فى هذا المجتمع المتهدم ، مدعم فى هذا الكيان المختل ، عامل لله والوطن والضمير .

ولو كنت شيخا لرتبت أتباعى ومريدى فرقا بحسب ميولهم واستعداداتهم وأوضاعهم :

ففرقة تقف أمام أبواب السجون تتلقف الخارجين الذين لا يجدون لهم مقرا ولا عملا ولا شفاعة ، فتمسح بالإرشاد والنصح والمؤانسة ما وقر فى نفوسهم من الحقد والكراهية للمجتمع والوحشة والغربة فى الشعب ، حتى إذا استأنسوا وأمنوا سعت الفرقة لإلحاقهم بالأعمال التى كانوا يزاولونها بضمانتها وإرشادها ، ثم ظلت على الاتصال بهم وتتبع أخبارهم فى محال أعمالهم والتوصية بهم ، حتى يحسوا أن وراءهم من يهتم بهم ، وحتى يخجلوا أن يعودوا سيرتهم بعد هذا البر الذى لقوه والعطف الذى لمسوه .

وفرقة تقف قريبا من الخمارات ودور الإدمان والقمار والمواخير تتلقف المدمنين والمفسودين وتتحين الأوقات التى يثوبون فيها إلى رشدهم وتستيقظ فيها ضمائرهم فتمدهم بالنصح والإرشاد وتزورهم وتستزيرهم وتعقد بهم صلة وصحبة حتى لا تدع لهم فرصة للانتكاس ، فالإجرام والدعارة عادة تقاوم بعادة مثلها ولا يفيد النصح المجرد فيها كثيرا إلا بطول العشرة وتقضية الأوقات فى ملهاة شاغلة .

وفرقة تجوس خلال الأزقة والحارات فى تلك الكهوف المروعة التى تقطنها جماعات من الشعب شعثاء غبراء مريضة هزيلة تنخر فيها الأدواء الجسمية والخلقية ، فتحاول هذه الفرقة انتشال هؤلاء الآدميين من وهدة الجوع والعرى والفساد والجهل ، بالتعليم القليل والإرشاد الأولى والصدقة المعينة والمرأة الصالحة على مثال ما تفعل " محلة الرواد " .

وفرقة تبحث عن العمال والصناع المتعطلين ، وتسعى فى تشغيلهم ، وقد تمر وتثرى حتى تستطيع إقامة بعض المصانع لهم فتنفعهم وتنتفع بهم ، وتجعل مصانعها هذه دورا للرزق والتهذيب وملاجئ تقى العمال شر التعطل وشر الغواية .

هذا هو جيش الخلاص الذى نحن فى مسيس الحاجة اليه. ومشايخ الطرق الصوفية بما يملكون من كثرة الأتباع وقوة العقيدة ووفرة الموارد هم الذين يستطيعون تكوين هذا الجيش العظيم ، الذى استطاع قس انجليزى واحد بقوة عقيدته ورغبته فى الخير وفهمه لحقيقة الخير الذى يرمى اليه الدين أن يكونه فى انجلترا .

لقد نشأ هذا الجيش صغيرا محدودا فى عام ١٨٦٥ فما جاء عام ١٩٢٠ حتى كانت له فروع فى ثلاث وسبعين مملكة ومجلات ومؤلفات تنشر بخمسين لغة، وحتى افتتح خمسة عشر بيتا لاستقبال خريجى السجون ، ومائة وستة عشر بيتا تستقبل النساء وتهيى لهن وسيلة العمل الشريف ، وستة وتسعين بيتا للطفولة المشردة ؛ وتسعة وثلاثين بيتا للأمومة، ومائتين واثنين وثمانين ملجأ ومأوى للعجزة والمحتاجين ؛ ومائة وثلاثة وسبعين مصنعا يعمل فيها المتعطلون ؛ واشترى اثنين وسبعين ضيعة يعمل فيها من لا يحسنون صناعات المدن ؛ وقام بربع مليون زيارة للبيوت فى سبيل تحقيق أغراضه .

هذا هو "جيش الخلاص" ... ... فآه لو كنت شيخا من مشايخ الطرق الصوفية !

على جمال الدين

من حكم الإمام على

— وانى لأخشى أن يأتى على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه. ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى، سكانها شر أهل الأرض : منهم تخرج الفتنة ، وإليهم تأوى الخطيئة ، يردّون من شذ عنها فيها ، ويسوقون من تأخر عنها اليها .

— من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه. فمن قام لله فيها بما يجب عرضها للدوام والبقاء ، ومن يقم بما يجب عرضها للزوال والفناء .

لعب الأطفال

صناعة نحن فى حاجة إليها

كان المعلم فيما مضى ينهى الصبيان عن اللعب كما لو كان اللعب رذيلة يجب الاقلاع عنها للاكباب على الدروس. ولكن الرأى الحديث فى التربية يتجه نحو الاكبار من قيمة اللعب كما قد اتجه من قبل نحو الكف عن ضرب الأطفال . وهناك بين رجال التربيـة من يظن أن اللعب يأخذ الآن من وقت الصبى أكثر مما يجب فى حين أن غيرهم يعتقدون أننا ما زلنا بعيدين عن أن نقدر اللعب قدره الحقيق فى التربية . وظهور " رياض الأطفال " فى عصرنا والتسليم بأنها ضرورية للتنشئة الأولى للطفل هى بعض هذا الاتجاه فى الاكبار من قيمة اللعب . لأن هذه المؤسسات تعلم الأطفال من ناحية استغلالها حبهم لمختلف الألعاب .

وقد تباينت الآراء فى الأسباب التى تبعث الأطفال على اللعب ، وهو كما نعرف نشاط لا يقتصر على الطفل الانسانى، لأن صغار الحيوان تلعب أيضا. فهناك الرأى القائل بأن اللعب هو فيض النشاط وأن الطفل يلعب لأن قوته المدخرة أكبر مما يستطيع جسمه أن يحتوى من القوى . وهناك من يزعم أن اللعب نوع من التعليم الذاتى . كما نرى مثلا فى القطيطة تلاعب الورقة وتجاذبها وتطاردها كأنها فأر . فهى تتمرن فى طفولتها على الطرق التى تقتنص بها الفأر حين تكبر وتشتد عضلاتها وتستقل عن أمها . فاللعب هنا يعد محاكاة بدائية للعمل القادم أو تمرينا ابتدائيا لتأدية هذا العمل فى المستقبل . فقد يركب الطفل العصا ويزعم أنه فارس محارب كما تهتك الطفلة عروستها وتزعم أنها ابنتها . فكأننا هنا إزاء نشاط معين يراد به الاستعداد للمستقبل .

على أننا إذا كنا نجهل الأسباب الفسيولوجية أو السيكلوجية التى تبعث على اللعب عند الأطفال، فإننا نستطيع أن نعرف الفوائد التعليمية والأخلاقية التى تعود عليهم من اللعب المدبر المنير . فالطفل يحتاج إلى اللعب كى لا يلصق بأمه . وهو حين يلعب ويحب لعبته يستطيع أن ينفرد ويبتعد عن أبويه أو يزامل أخدانه ويتعاون معهم فى لعبة معينة . وهنا تتحقق فوائد لعل أهمها :

١ — الاستقلال وتحقيق الفطام النفسى بينه وبين امه .

٢ — تنشيط ذهنه بالتفكير فى لعبته .

٣ — القدرة على الانفراد والقدرة على التعاون مع أنداده .

وكل هذه الصفات يحتاج إليها المجتمع ولا يمكن أن تغرس بأحسن من اللعب . ومن هنا تجب العناية باللعب باعتبار أنه بعض التربيـة . ويحسن بالآباء أن ينظروا فى ألعـاب أبنائهم وفى اختيار اللعب التى يشترونها لهم . فإن اللعبة يجب أن توجه الطفل بتنشيط ذهنه أو توجيهه وجهة معينة .

ولم تخل أمة قط من اللعب . فان المصريين فى عصر الفراعنة قد تركوا لنا كثيرا من اللعب التى وضعوها الى جنب المتوفين من أطفالهم . ومن ينظر الى معارض المخازن التجارية أيام عيد الميلاد المسيحى لا يجد شيئا معروضا غير اللعب التى تتراوح أثمانها من بضعة قروش إلى بضعة جنيهات . كما أنها تتباين فى النوع ، فمن اللعب الميكانيكية المتحركة التى يقـدح الطفل ذهنه لكى يقودها ويسيرها ، الى أخرى ساكنة مزينة يبتهج الصبى باقتنائها ويسر بعرضها .

وهناك المكعبات الخشبية الصغيرة التى يمكن أن يبنى بها بيت مصغر كما أن هناك آلات لحرب من دبابات الى مدمرات وهى تثير خيال الطفل وتحثه على السؤال عن الحرب القائمة فى طلعة ذكية وفضول مثمر . وقد شاع الصلصال حديثا بين الأطفال يؤلفون منه ما شاءوا من أشكال ، وهو بالطبع ليس صلصالا بالمعنى اللغوى ، وإنما هو يصنع من مواد لا تلوث الطفل وله قوام مطاط لا يلصق شيء .

وأعظم مايجب أن تلتفت اليه عندما تختار لعبة للطفل أن تقيه من الأذى . ولسوء الحظ تصنع اللعب الآن من السليولوز الذى يشتعل إذا اقترب من النار واشتعاله قد يؤدى إلى إحراق الطفل . فيجب ألا يدخل هـذا السيلولوز بيوتنا سواء أكان المصنوع منه لعبة أم مشطا أم فرشاة أم أى شيء آخر للخطر الذى ينشأ منه .

وصناعة اللعب من الصناعات التى تنطوى على معنى أو مغزى خطير . لأنها تدل على حب الأطفال والعناية بهم . وليس من الضرورى أن تكون هذه الصناعة دقيقة الفن تعتمد على الآلات المركبة المعقدة . فهى حين تكون كذلك لا ينتفع بها غير القليل من الصبيان وهم لا ينتفعون بها إلا بعد أن يحطموها ويتعرفوا آلاتها الداخلية ، أما سائر الأطفال فيقنعون بظاهرها . ونحن فى مصر قد أهملنا هذه اللعب ، وليس لنا منها غير لعب الحلوى أيام الموالد .

وكثير من الفن والدقة والذوق يسبغ على هذه اللعب حتى لتثير اعجابنا ولكن صنعها من الحلوى يجعل فائدتها للطفل وقتية . إذ هى لا يمكن أن تصان فى البيت بعيدة عن النمل الذى يهرع اليها ويعمل فيها عمله المخرب . كما أن الطفل يحتاج إلى مقـدار كبير من التماثيل لكى لا يأكلها . ثم هى بعد ذلك تجذب الذباب وتلوث الطفل وقد تغريه بالتهامها فتؤذى صحته .

وبقليل من العناية يمكن مدارسنا الصناعية أن تعلم — فى أقسام النجارة — تلاميذها صناعة اللعب من الخشب. وأحسن اللعب هو ما يبعث الطفل على الحركة والعمل لأنها تجبره على التأليف والاختراع. فهناك المكعبات الصغيرة التى يصنع منها المنزل والدكان والحديقة والقلعة والمنارة وخزانة الكتب ونحو ذلك. وكل ما يطلب فى هذه القوالب أن تكون متساوية مختلفة الألوان لكى يتناسق بها البناء. وهناك الأثاث الصغير من الخشب أيضا.

وعندنا من فراء الأرانب وريش الطيور ما يمكن استغلاله فى إيجاد عدد كبير متباين من اللعب. وقد أثبتت لعب الحلوى التى تعرض فى الموالد أن سليقة الابتداع عند صانعينا ليست ناقصة وكل ما يعاب عليهم انهم يقتصرون على صنع اللعب من الحلوى لا من المواد المتينة التى تحمل التناول والتداول.

ومن الظلم لأطفالنا ألا نسعدهم بما يسعد به أطفال الأمم الأخرى من اللعب الجميلة الرخيصة وقد كانت صناعة اللعب فى ألمانيا قبل الحرب الكبرى تبلغ قيمتها الملايين من الجنيهات. ولعلها تبلغ ذلك أيضا فى اليابان والولايات المتحدة. ومن الخمول الفاضح أن نهمل هذه الصناعة فى مصر، وأن نظل نستورد هذه السعادة المجسمة للأطفال من الأقطار الأجنبية.

والنصف الثانى؟

جريدة "لاكسيون فرانسيز" مشهورة بين صحف فرنسا بعنف حملاتها. وقد حملت مرة على مجلس بلدى مدينة باريس فقالت إن نصف أعضائه لصوص. فهما هم بمجلس بمقاضاتها أمام المحاكم توسط بعض أصدقاء الطرفين فى الصلح وقبلت الجريدة أن تكذب ما كتبت وأن تعتذر عنه. وفى اليوم التالى صدرت "لاكسيون فرانسيز" وفيها هذا الاعتذار الغريب :

"كتبنا أمس أن نصف أعضاء المجلس البلدى لصوص. وهذا غير صحيح. والحقيقة أن نصف أعضائه ليسوا لصوصا ...".

العدو الأكبر للسعادة

لحضرة صاحب العزة الأستاذ محمد كامل سليم بك

السكرتير العام لمجلس الوزراء

فى يوم من الأيام زارنى صديق وفاجأنى بقوله إنه سئم الحياة وصمم على الانتحار. ظننته أول الأمر مازحا ، ولكنى ما كدت أتفرس فى وجهه قليلا حتى وجدت عينيه زائغتين ، وملامحه طافحة بسيل من الكآبة والبؤس ، ولونه قاتما يميل إلى الصفرة ، فزال من نفسى كل شك فى أمره ، واستولت علىّ دهشة اليقين من عزمه ، وقلت له فى جد ألم : " أمثلك أنت يفكر فى ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء ؟ هل أنت مصاب بمرض غير قابل للشفاء ؟ فأجاب بالنفى . قلت له : " هل أفلست فأصبحت لا تملك شيئا؟ أم ارتكبت جريمة افتضح أمرك فيها أو أخذ ضميرك يوبخك عليها ؟ قال : " لا هذا ولا ذاك ولا ترهقنى بالسؤال ، فما حضرت إلا لأوصيك بأولادى الصغار " ثم سكت وسكتّ فى جو رهيب ، وكانت فترة السكوت فرصة للتفكير ، من ناحيتى على الأقل .

صديقى هذا رجل لن يرى الثلاثين من عمره مرة ثانية لأنه تجاوزها من زمان طويل وزحف إلى حدود الأربعين فبلغها أو زاد ، وهو باعترافه فى صحة ويسر ، أو على الأقل فى غير مرض أو عسر ، وهو فى أمس من عقاب القانون وتوبيخ الضمير ، وهو باعتراف الناس رجل مثقف مهذب عظيم النشاط والذكاء ، وهو باعتراف رجل شديد الحياء سيئ الظن بالناس جميعا . فما الذى دهاه أخيرا حتى حمله على التفكير فى الانتحار وارتكاب العار الذى ليس بعده عار ؟

هذا ما عقدت حبل العزيمة على كشفه والاهتداء إلى سره الدفين ، فقلت له : يا عجبا ! إنى سألت ذات يوم خمسة من أصدقائى عن رأيهم فى السعادة ، فقال أحدهم إن السعادة هى الصحة ، وقال الثانى إنها المال ، وقال الثالث إنها العلم ، وقال الرابع إنها الشهرة وحسن السمعة ، وقال الخامس إنها خلاصة الصحة والمال والعلم والشهرة مجتمعة . على هذا الأساس كان يجب أن تكون سعيدا لأن عندك من هذه العناصر نصيبا موفورا ، فلماذا أنت شقى كل هذا الشقاء ؟ فابتسم صاحبى ونظر إلىّ وقد لان جانبه وتدفق بالشكوى مما يلقاه من همه الثقيل ، وأطلعنى على كل التفاصيل .

وإذا خلاصة ذلك كله خلافات حادة على ميراث ، ثم مخاوف عدّة تملأ صدره من الحاضر والمستقبل : فهو يخاف على نفسه من الأمراض عند ما تعبث به السن ، ويخاف من أخطار الحرب وويلات الغارات الجوية التي قد تمتد إلى مصر في يوم من الأيام. خلافات ومخاوف هي كل ما هنالك. ولو كنت مكانه لما كان لها في نفسي كبير وزن . ولكن صاحبي قد شقي بها وأصبح حزينا يائسا : حزينا لأنه طمع في أمور لم يحصل عليها ظنها تغنيه وقد تضنيه ، وظنها تسعده وقد تشقيه ، ويائسا لأنه امتلأ خوفا ورعبا ، فهو محروم من راحة البال ، محروم من الشعور بالأمن والطمأنينة ، وهذا في الواقع سرّ السعادة ولبابها . فما زلت به أناقشه حتى استطعت أن أردهما إليه بعد أن وفقت بالتحليل والتعليل إلى أن أكشف له عن نواحي الخطأ والشطط في استجاباته للمؤثرات التي سببت حزنه ويأسه . وأخيرا اتفقنا على اتباع سياسة جديدة اعتدلت بها النظرات ، واستقامت بها التقديرات ، وقلنا هي تجربة جديدة تستحق على كل حال أن تجرب . وإنه ليسعدني الآن أن أصرح بأن التجربة قد نجحت بعد أن مضى عليها عام كامل. وصاحبي اليوم حي يرزق ، أنعم ما يكون بالا ، وأسعد ما يكون حالا .

* * *

لقد سقت هذا الحديث ولي من ورائه قصد واحد ، هو استخراج ما عسى أن يكون فيه من عبر ، فما ينبغي أن تمر الأحداث من غير أن يستفيد الإنسان من دروسها وعبرها .

العبرة الأولى : هي أن الحزين اليائس يستطيع أن يعيش ويسعد إذا وجد في الوقت المناسب من يرشده ويهديه ، ويعالج أسباب همه وما يعانيه ، ولكن الحزين اليائس لسوء الحظ لا يدرك هذا ولا يتصوره ، ويسرع إلى ارتكاب جريمته الشنعاء ونفسه ثائرة ثورانا عظيما يختل معه كل توازن ، ولا يعود يرى الأمور على حقيقتها . فالخير في نظره يتضاءل حتى يفنى ، والشر يتضاعف حتى يطغى ، فيبالغ في تصور مصائبه ومتاعبه الحاضرة ، ويجزع ويهلع من مصائب موهومة تنتظره في المستقبل ، ويحاول الفرار منها كما يفر الجبان المذعور . وإن قلبي ليذوب أسى وأسفا كلما سمعت أو قرأت أن طالبا انتحر لأنه سقط في الامتحان ، وأن امرأة انتحرت لأن زوجها تركها إلى غيرها ، وأن شابا انتحر لسبب رآه خطيرا لا يحتمل ، ويراه الناس تافها سخيفا . هؤلاء جميعا كانوا اليوم يعيشون وينعمون بالحياة ، كما يعيش صاحبي اليوم وينعم ، لو أنهم لجأوا إلى الناصح الهادئ

الرشيد قبل أن يتعجلوا الفناء . فالحذر الحذر من اليأس والقنوط ، والحذر الحذر من التفكير فى الانتحار لأى سبب من الأسباب . فلهذا وذاك علاج وشفاء، يحمى من الشقاء والفناء .

ونصيحتى التى أبعث بها إلى كل حزين يائس ، وكل قانط يائس ، هى " لا تيأس إذا المرض أصابك ، وإذا الحزن دهمك ، وإذا الإخفاق صدمك ، وإذا الصديق خدعك ، وإذا العدو غلبك ، وإذا الحظ نكبك . إذ مهما اضطربت الأمور وأظلم الجو ، فإنك بالصبر والعمل والشجاعة منتصر لا محالة " .

وأما العبرة الثانية التى يمكن استنباطها فهى أن الإنسان لا يسعد بالماديات بقدر ما يسعد بالمعنويات ، أو قد يشقى بالمعانى والأوهام رغم توافر أسباب النعيم المادى حوله . فلو أن السعادة تتوقف على صحة الجسم وسلامة الأعضاء ، لكان صاحبى سعيدا لا بائسا ، ولو أن السعادة تتوقف على العلم أو المال أو الشهرة ، ما كان صاحبى شقيا . وكثيرا ما وجدت بين الأتقياء من المرضى من هم أكثر رضا وقناعة وسعادة من الأصحاء ، ووجدت بين الجهلاء والفقراء والمغمورين من هم أكثر هناءة وسعادة من المتعلمين والأغنياء والمشهورين .

فالسعادة إذن لا تنال بالصحة ، ولا تشترى بالمال ، ولا تكتسب بالعلم أو الشهرة . وإن كان لهذه العوامل كلها نصيب محدود فى تحصيلها . إنما تتوقف السعادة على الحالة النفسية ، أى حالة العواطف ، ثم على نظرة الإنسان إلى الحياة واستجاباته لمؤثراتها . فإذا كانت النظرة حاطئة والنفس مضطربة ، فلا سعادة ولا سلام مهما كان عند الإنسان من متع الحياة ، وأن خير الوسائل وأنجعها للحصول على السعادة هى أن يكون الانسان مفيدا للمجتمع ثم يعمل فى الوقت عينه على اسعاد من حوله فى الدائرة التى يعيش فيها سواء أكان ذلك فى بيته أم فى دائرة عمله ، فإن سعادتهم ترتد اليه فيسعد كما يسعدون .

أن للسعادة أعداء كثيرة تعمل على اتلافها . فهل تعلمون أيها الناس أكبرها وأخطرها وأكثرها شيوع ؟ هل تعلمون أيها الناس العدو الأكبر الذى ينغص الحياة ويقوض السعادة ، ويمحوها محوا ولو كان الإنسان أغنى الأغنياء وأعظم الناس صحة وعلما وجمالا وكمالا ؟ إذا كنتم لا تعرفونه فاعرفوه لتجتنبوه . أو قاوموه لتقهروه . ذلك العدو هو " الجبن أو الخوف الشديد " . والخوف صور وألوان ، تصاحبه فى كثير من الأحيان ، وهى القلق والاضطراب والهلع والجزع والذعر واليأس . ومحال أن تعيش السعادة فى مثل هذا الجو المسموم . وهنا يعرض سؤال يحتاج إلى جواب وإيضاح ، وهو : " هل الخوف كله عيب فى الطبيعة ونقص فى الفطرة ومرض يحتاج إلى المقاومة والعلاج ؟ . والجواب على ذلك بلا ونعم .

فهناك خوف وخوف ، خوف صحى طبيعى ، وخوف مريض شاذ . والخوف فى أصله عاطفة غريزية أودعت فى الإنسان للمحافظة على كيانه وحياته ، ولا يوجد إنسان فى الدنيا يستطيع أن يزعم أن الخوف لا يعرف إلى قلبه سبيلا إلا إذا كان يستطيع أن يدعى أنه لا يحب ولا يكره ولا يجوع ولا ينام .

على أن هناك فرقا هائلا بين خوف الشجاع وخوف الجبان ، فالشجاع حين يخاف يعرف كيف يضبط خوفه فى حدود بفضل ما عنده من العزم والفهم أو المبادئ العالية . ثم هو يستفيد من خوفه فلا يثور ، وإنما يفكر فى دقة لتلافى الخطر ثم يعمل فى حذر وإتقان .

وأما الجبان حين يخاف فإنه يضطرب ويطيش ، ويهلع ويجزع ، وقد يصرخ ويبكى ولا يعرف غير الهرب والفرار .

الخوف الأول صحى وطبيعى ولابد منه ، وهو مصدر الدقة والحذر والاتقان . وأما الخوف الثانى فهو الخوف المريض الشاذ الذى يشف عن مرض فى النفس وشذوذ فى الطبيعة ، أو جهل لا يليق بالرجال والنساء ، ومن شأنه أن ينغص الحياة ويضاعف الآلام كما ينغص حياة صاحبه وضاعف آلامه . وهذا النوع من الخوف هو ما أعتبره العدو الأكبر للسعادة . وله مظاهر تثير الضحك أولا أنها تثير العطف والرثاء . فمن الناس من يخافون من الميكروبات فى كل ما يأكلون أو يشربون أو يلمسون . ومنهم من يخافون مجرد المرور على الكبارى خشية أن تنهدم ، ويخافون ركوب الطائرات خشية أن تسقط ، ويخافون ركوب البواخر خشية أن تغرق ، ويخافون ركوب القطار ليلا خشية أن يصطدم أو ينقلب ، ويخافون الظلام والسير فى الميادين الواسعة إذا خلت من الناس والسيارات ، ويفزعون لسماع صفارة الإنذار من الغارات الجوية فزعا شديدا ، ويصور لهم الخوف أن القنابل ستسقط عليهم ، فإذا انطلقت الصفارات مؤذنة بزوال الخطر وعودة الأمن ظلوا خائفين من الخطر متشككين فى الأمن . هؤلاء جميعا يعيشون وكأن كابوسا يجثم على صدورهم ، ويقضون أيامهم وأعوامهم فى اضطراب نفسى لا يعرفون معه الاستقرار والاطمئنان والسعادة .

هذه أمثلة لخوف المريض الشاذ فى أشد حالاته ، ولكن لهذا الخوف مظاهر أخرى أقل حدة وشدة تبدو فى الحياة العادية اليومية فتنغصها وتحرم الانسان من الطمأنينة وراحة البال .

فالخجل أو الحياء الشديد يربك صاحبه فى المجتمعات ويمنعه من الخطابة إذا أراد ، بل من مجرد الحديث وإبداء الرأى . وكم من أمة مصرية منعها الحياء من اظهار مواهبها

ومقدرتها على الغناء والعزف على البيانو حتى أمام صديقاتها والمعجبين بها . والتردد يربك صاحبه ويمنعه من البت بقرار حاسم فى شؤونه الخاصة ويتركه كالريشة فى مهب الريح لا تستقر على حال . والتشاؤم يشقى صاحبه ويلبسه منظارا أسود فلا يرى إلا الظلام ويصبح كل هاجس أو خاطر سببا للإزعاج ، ويصبح توقع الشر طبيعة ثانية ، فيتألم من الحوادث عند وقوعها وقبل وقوعها . هذه الحالات وما إليها تنبعث عن هذا الخوف الكريه الذى أعتبره العدو الأكبر للسعادة . ولقد أثبت علم النفس أن هذا النوع من الخوف إنما تبذر بذوره الخبيثة فى زمن الطفولة أو فى مطلع الشباب . وما يزرع فى هذه السن المبكرة يكون أفتك أثرا وأشد خطرا وأطول عمرا وأصعب علاجا من أى خوف آخر .

فالطفل الذى يضرب فى قسوة وجفاء ، أو يعيّر لنقص فى خلقته ، ويهدد بالعقاب والتعذيب بمناسبة وبغير مناسبة ، أو يتعرض لسخرية المدرس وإيلامه أمام زملائه التلاميذ ، يعيش حياته كلها فى خوف من الناس وذعر من الاجتماعات ، وإذا قابل فى مستقبل أيامه من هو أكبر منه قوة وأعظم نفوذا وسلطانا ، شعر بالاضطراب والانزعاج فى حضرته ، ولم يستطع أن يبصر أفكاره فى الحديث ، ولا أن يظهر كفايته على حقيقتها . ثم هو فى الوقت عينه يشعر بالرغبة الشديدة فى إرضاء هذا الكبير أو الرئيس إذ يصور له الخوف والطمع أنه إن لم يفعل تعرض لسخطه واضطهاده وعقابه الشديد . والأم التى تضرب ابنتها لسبب تافه ثم تعود فتصالحها وتدللها إنما تضع لها أساسا فاسدا من اضطراب الأعصاب والشعور بعدم الأمان . ومن الأمهات والمربيات من يشعرن بالفزع من الرعد إذا قصف ، والظلام إذا حلك ، والكلب إذا هجم . وهذا الخوف المنوع يشقين كثيرا ، وإذا بحثنا عن تاريخه وأصله وجدناه قد زرع فى نفوسهن منذ كنّ أطفالا فلا حيلة لمن فيه . ولكن عليهن ألا يظهرن هذا الخوف أو الفزع أمام أطفالهن وإلا انتقل إلى نفوسهم الصغيرة وألف أعصابهم ولازمهم طوال حياتهم . ولهذا كانت مسئولية الآباء والأمهات والمربين والمدرسين فى تنشئة الأطفال مسئولية جسيمة ليس أعظم منها ولا أخطر على الصحة والسعادة فى مستقبل الأيام .

وعلاج الخوف فى الكبر عسير جدا ، ولكنه مجهود يجب أن يبذل على كل حال وإلا استحالت الحياة جحيما . وما على المرأة التى اعتادت الخوف والرعب ، والرجل الذى تعوّد الخوف والذعر ، إلا أن يسائل كل منهما نفسه ويحاسبها على الوجه الآتى فى كل موقف يدعو إلى الخوف الشديد :

لماذا أنا خائف الآن ؟ وما الفائدة العملية التى أكسبها من وراء هذا الخوف ؟

وما الضرر الذى يصيبنى إذا كنت لا أشعر بالخوف ؟ وما الخطر علىّ إذا كنت أشعر شعورا طبيعيا الآن ؟ هذا التساؤل إذا تكرر المرة بعد المرة فى مواقف الخوف فإنه يخفف من حدته ، وقد يزيله بالتدريج ، فتعود النفس الى حالتها الطبيعية على مرور الزمن . فإذا كان الخوف مع ذلك متأصلا تأصلا عميقا فى أغوار النفس بحيث لا يجدى معه هذا التساؤل وهذه المحاسبة ، فعلى الخائف المذعور أن يحدد الظروف و يعين المواقف التى يشتد خوفه فيها . وليتناقش فيها مع أصدقائه ، أو يقرأ قصص الشجعان ومواقفهم ، وليراقب سير الشجعان من أبناء وطنه ، وليحاول احتذاء مثالهم فى أقوالهم وأفعالهم ، وهو واجد من غير شك نتيجة طيبة من وراء هذه الدراسات .

وإنه ليسرنى فى هـذا المقام أن أصف منظرا بديعا رأيته فى أحد الفنادق الكبرى منذ سنوات عدة ، وهو مع ذلك حافظ لحدته وروعته فى نفسى كأنه وقع أمس . فقد كنت جالسا أتناول الشاى وعلى مقربة منى أسرة انجليزية مؤلفة من رجل وزوجته وولدهما الذى لم يتجاوز الخامسة أو السادسة من عمره . أشار الرجل الى الخادم فحضر ، وطلب منه و يسكى بالصودا لنفسه ، وطلب لزوجته شايا كاملا بالفطائر والشطائر (الجاتو والسندوتش) ، ولولده كوبا من عصير البرتقال . عاد الخادم بعد قليل حاملا صينية كبيرة وضعها أمامهم وعليها هـذه الأصناف . وما هى إلا فترة وجيزة حتى انحنى الطفل لينتشل منديله الذى سقط على الأرض ، و بينما هو يهم بالاعتدال صدم رأسه الصينية صدمة قلبتها بكل ما تحمل على ملابس والده ووالدته . توقعت حينذاك زمجرة وسخطا من الوالد ، وتو بيخا وتأنيبا من الوالدة ، وصراخا أو عويلا من الطفل ، ولكن شيئا من ذلك لم يقع على الإطلاق ، بل ساد الجـو سكون رهيب ولم ينطق أحدهم بكلمة واحدة . وتحرك الوالد حركة بسيطة لإزالة ما وقع على ملابسه من قطع الفطائر والشطائر ، وأخرج منديله لتجفيف ما ابتل منها . ووقفت الوالدة لحظة لتلتقط ما تجمع فى حجرها من السوائل والنواشف ، وقد استحال ثوبها الأبيض فى بعض نواحيه لونا ذهبيا بفضل الو يسكى والشاى وعصير البرتقال مجتمعة . ووقف الطفل مبهوتا لا يتحرك ولا يتكلم . ثم دعى الخادم ورفع الصينية بما عليها من حطام ، وتسلم حسابه وانصرف ، وظل السكوت الرهيب مستمرا . مرت دقائق قليلة ثم التفتت الأم الى صغيرها وقالت فى هدوء عجيب " أرى أنك لم تقل لوالدك ولى إنك آسف على ما وقع " ، فالتفت الطفل إلى والده وقال " أنا آسف جدا يا أبى " ثم التفت إلى أمه وقال : " أنا آسف جدا يا أمى " فابتسم الوالدان وانتهى الموضوع بسلام . ظلوا جميعا ساعة كاملة يتحدثون ويستمعون الى الموسيقى وانصرفوا دون أن يشربوا شيئا أو يطلبوا طلبا آخر ، وكان هذا كل العقاب الذى وقع على الطفل الصغير . فيـاله من درس بليغ ! إن طفلا كهذا يشب فى مثل هـذا الجو

ويعامل هذه المعاملة من أبوين هادئين رشيدين لخليق أن ينمو بأعصاب سليمة وطبيعة مستقيمة لا أثر للخوف فيها ، ويواجه الحياة بأحسن عدة وفى أحسن حال .

حاذروا أيها الناس من الخوف الشديد أن يتسرب إلى أطفالكم ، وعالجوا الخوف الشديد فى نفوسكم ، ولا تتحدثوا فى مجالسكم الخاصة بما يثير المخاوف فى صدوركم إذا أردتم أن تكونوا سعداء ، واجعلوا أحاديثكم وحكاياتكم من نوع ينشر الطمأنينة والأمان والشجاعة فى نفوسكم جميعا .

ولأضرب لكم مثلا على ذلك القصة الآتية :

كان الدوق ولنجتون يقضى فترة آخر الأسبوع فى قريته فى الريف ، وبينما هو فى مكتبه ليلا يطالع ويكتب وإذا بلص دخل عليه شاهرا مسدسه فى وجهه وقال : "ياعزيزى ولنجتون ، انى أشعر أن الله كلفنى بمهمة قتلك ، ولذلك حضرت" فالتفت اليه الدوق وخلع نظارته فى ثبات تام ، وقال له فى ابتسامة هادئة : " هل حضرتك مستعجل على تنفيذ هذه المهمة ؟ أنا عندى الآن بعض رسائل يهمنى الفراغ منها . فهل يمكنك أن تخرج وتعود بعد نصف ساعة " فخرج اللص مذهولا ولم يعد .

وأحاديث الشجاعة والشجعان كثيرة فانشروها بينكم ففيها دواء وفيها شفاء .

هذا ما ينبغى أن يكون ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

محمد كامل سليم

جبان

فر أعرابى من ميدان القتال والمعركة ناشبة فاستقبلته امرأته عاتبة وقالت : "واخجلتاه يا أبا عبيد ! ماذا يقول الناس فيك بعد اليوم ؟ "

فقال أبو عبيد : " خير لى أن يقولوا فر لعنه الله ، من أن يقولوا قتل رحمه الله ... " .

المحسوبية في مصر

وآثارها في حياتنا القومية

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

أشكر لمجلة الشؤون الاجتماعية أن أتاحت لى فرصة للتحدث إلى قرائها عن أخطر داء من أدوائنا ، وأشدها فتكا بالأخلاق ، وتأصلا فى النفوس ، واستعصاء على العلاج ، ذلك هو داء المحسوبية والمحاباة .

لم يغادر هذا الداء أى فرع من فروع الحياة فى مصر ، إلا نفث فيه سمومه ، فظهرت أعراضه فى حياة الفرد وحياة الأسرة وفى مختلف شؤون الدولة ، وبدت عواقبه الوخيمة فى إنتاجنا المادى والعقلى ، ونجم عنه معظم ما نشكو منه الآن من مظاهر الشذوذ والانحلال الدينى والخلقى .

فقد كان من آثار المحسوبية ، أن أسند كثير من أعمال الدولة ووظائفها إلى من لا يحسنون القيام بها ، فكثرت من جراء ذلك الأخطاء ، واضطربت أداة الحكم ، وتعطلت مصالح ، وضاعت حقوق ، وأغفلت واجبات ، وأوغر هذا صدور الناس ، ونزع من نفوس الشعب الثقة بالمديرين لشؤونه .

وكان من آثارها كذلك أن أقصى كثير من أرباب الكفايات عن الأعمال التى يحسنونها وتظهر فيها كفاياتهم ، لا لشىء إلا لأنهم حرموا نعمة السند من ذوى الجاه ، ولم تسعفهم رحمة المحسوبية ، فتعطلت بذلك مواهبهم ، وخمدت جذوة نشاطهم ، وتضاءل إنتاجهم ، وخسرت الأمة من وراء ذلك أيما خسران .

وكان من آثار المحسوبية أن صدف كثير من الموظفين وغيرهم عن إتقان أعمالهم وتجويدها إذ ألقى نظام المحسوبية فى روعهم أنه لن يقام وزن لهذا الإتقان ، ولن يقدمهم إخلاصهم لأعمالهم قيد أنملة ، وأن أنفع لهم وأجدى على مستقبلهم أن يبذلوا جهودهم فى ابتغاء الوسيلة الى العظماء والاتصال بذوى الجاه . فأهملت بذلك الواجبات ، ونزع من نفوس كثير من

الناس خلق الإخلاص فى العمل والشعور بالتبعة، وبذلت جهود كثيرة فى سفساف الأمور، ولو بذلت فى وجهها الصحيح لأفادت الأمة منها أكبر فائدة .

وقد أفسد نظام المحسوبية أخلاق كثير من الناس، فتردوا فى وهدة الرذيلة، واصطنعوا أساليب الكذب والخداع ، وأجادوا وسائل التملق والمداهنة والنفاق ، وتكونت لديهم من جراء ذلك عادة من أقبح العادات وأشدها تعارضا مع الفضيلة ، وهى إتيان الأشياء من غير أبوابها الصحيحة ، وابتغاء الأمور بغير وسائلها المشروعة .

وقد أفسد نظام المحسوبية أخلاق كثير من الرؤساء أنفسهم ، وأورثهم العجب والزهو والغرور وحب الملق من المرءوسين، فاختلت موازينهم ، وفسد تقديرهم للأشياء، وانحرفت أحكامهم عن جادة العدالة ، حتى أصبح المرءوس لا يقاس عند كثير منهم بعمله وكفايته، بل بمبلغ ما يتمتع به من سند عند العظماء ، وما يجيده من أساليب النفاق ، ويبدو عليه فى حضرتهم من مظاهر الذل والخضوع .

وقد أدى نظام المحسوبية إلى ضياع قسط كبير من أوقات الرؤساء والوزراء والشيوخ والنواب فى استقبال ذوى الحاجات لأمور تتعلق بالتوسط والشفاعة ، وإلى أن أصبح عامة الشعب يتوهمون أن لا وظيفة لممثلى الأمة غير التوسط والشفاعة ، وتوظيف من لا يستحق الوظيفة ، وترقية من لا يستحق الترقية ، وقضاء الحاجات عن طريق الاستثناء . وقد تطور هذا الوهم حتى صار البعض يظنون أن من الممكن بفضل المحسوبية أن يفلت المسيء من العقوبة على عمله ، فلا يلقى جراء ما كسبت يداه ، فكم مخالفة ارتكبت ، ونجا مرتكبوها من الحساب ، لانتمائهم إلى العظماء ، ومحسوبيتهم على الشخصيات البارزة . ومتى شعر الناس أنه من الممكن أن يفلت المسيء من العقوبة ، وأن من له ظهر لا يضرب على بطنه كما يقول المثل ، فقل على الأخلاق وعلى النظم الاجتماعية العفاء .

وقد أدى نظام المحسوبية إلى كثرة عدد الموظفين ، واستنزافهم لقسم كبير من موارد الدولة ، فكثيرا ما خلقت الوظائف خلقا لأشخاص المحسوبين ، وكثيرا ما حال دون إلغاء الوظائف التى لا حاجة إليها أنها مشغولة بأحد هؤلاء أو أنه يحتفظ بها لأحدهم... وهكذا ظل عدد الموظفين ينمو ثم ينمو حتى بلغوا نسبة لا نكاد نجد لها نظيرا فى أى أمة من أمم العالم ، وحتى أصبح أكبر قسم من موارد الدولة وقفا على مرتباتهم ، فتعطل من أجل ذلك كثير من مشروعات الإصلاح الاجتماعى ، وأصبح أهم وظيفة للحكومة أن تعول هذه الجيوش الجرارة من الموظفين .

وعلى نظام المحسوبية يقع قسط كبير من التبعة فى أزمة البطالة التى نعانى شرورها الآن . وذلك أن اعتماد كثير من المتخرجين فى المعاهد على المحسوبية ، وأملهم أن يصلوا من طريقها

الى وظيفة حكومية ، كل ذلك ينأى بهم عن الأعمال الحرة ، ويجعلهم يؤثرون البطالة حتى تنجح وساطتهم ، ويدفعهم الى التزاحم بالمناكب على أبواب الدواوين ، وهـذا حيز ضيق لا يتسع لعشر معشارهم ، وتحيط به ميادين البطالة من جميع الجهـات ، ولو لم يكن نظام المحسوبية سائدا فى مصر ، لابتغى هؤلاء وسائل العيش من طريق آخر ، فتخف بذلك وطأة البطالة ونجو مما يتهددنا به من شر مستطير .

وعلى نظام المحسوبية يقع كذلك قسط غير يسير من التبعة فى أزمة الزواج . فقد اتجه الشبان ، واتجهت عائلاتهم ، تحت تأثير هذا النظام ، اتجاها غريبا فى شؤون الزواج . فجعلوا من هذه العقدة الشريفة فى ذاتها وسيلة للاتصال بالعظماء ومصاهرة ذوى الجاه حتى يكون لهم من ذلك سند يصلون به الى غاياتهم فى الحياة . فكثر الطلب على بنات العظماء ، وقليل ما هم ، وقل الطلب على من عداهن ، وهن الأغلبية الساحقة ، فنشأ من جراء ذلك أزمة الزواج ، واضطربت الحياة فى كثير من العـائلات ، اذ لا يرجى استقرار لزواج قائم على غرض وضيع من هذا القبيل .

هـذا طرف يسير من آثار المحسوبية فى مصر ، ومنـه يتبين صدق ما ذكرته فى أول كلمتى ، من أن هذا الداء لم يغادر أى فرع من فروع حياتنا إلا نفث فيه سمومه الفتاكة .

أما علاج هذا الداء الوبيل فيبدو هينا يسيرا فى ظاهر الأمر ، ولكنه فى الواقع عسير كل العسر . فهو من الناحية النظرية لا يتطلب أكثر من أن توضع لجميع شؤون الدولة ، جليلها وحقيرها ، قواعد ثابتة مضبوطة ، لا ينفذ اليها الشذوذ ، ولا تحتمل الاستثناء ، ولا تسمح بمحسوبية أو شفاعة ، ولا تفرق بين طبقات الناس : تقدر كل امرئ حسب كفايته ، ومبلغ إجادته لأعماله وما يقـدمه لبلده من جهود لا حسب نسبه وجاهه وصلته بالعظماء ، تجزى المحسن باحسانه وتأخذ المسيء بإساءته ، وتقوم على أساس المساواة بين الناس فى الثواب والعقاب ، وتبعث نصوصها فى نفوس الشعب اليقين بأن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

هذا كله ممكن من الوجهة النظرية ، فما أسهل وضع القواعد وسن القوانين ، وما أسهل تحرى الدقة فى صيغ هذه القواعد ، ومواد هـذه القوانين . ولكن القانون شيء وتطبيقه شيء آخر . فكثير من شؤون الدولة فى الوقت الحاضر مقيد بقوانين من هذا القبيل ، ومحاط بسياج من القواعد العادلة : ولكن هـذه القواعد ، لسوء الحظ ، تتراجى وتنين أمام سطوة المحسوبية .

فلن يقضى على هـذا الداء العضال إلا اذا من الله على رؤسائنا وأولى الأمر منا بفضيلة العـدالة وخلق الأنصاف ، فلا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، ولا تثنيهم عن العدالة شفاعة

شفيع . وهنا يبدو وجه الصعوبة ، ويظهر الفرق بين الامكان النظرى والامكان العملى . فاذا كان من السهل أن تسن القوانين وتوضع القواعد ، فمن الصعب أن تكتسب الأخلاق وتتغير السجايا ، وخاصة اذا كانت هـذه الأخلاق والسجايا لا تواتيهما بيئتنا المصرية . فحياتنا الاجتماعية محاطة بظروف غريبة تحول دون نمو هـذا الخلق ، وأساليب التربية التى أخذنا بها فى المنزل والمدرسة والمجتمع ، تقف حجر عثرة فى هذا السبيل . فقد عودتنا هذه الأساليب التواكل والاعتماد على الغير والالتجاء إلى التوسل والشفاعة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ومراقبة الناس أكثر من مراقبة الله والضمير .

فخير علاج لذلك أن نعمل على تغيير أساليب التربية ، وخاصة فى المدارس بمختلف فروعها ودرجاتها ، فنعنى فيها بتكوين الأخلاق وبث الفضائل فى النفوس أكثر من عنايتنا بشرح المسائل وحشو الذهن بالحقائق ، وتنمية القوى العاقلة حتى ينشأ أولادنا مزودين بفضيلة العدالة وحلق الصراحة والاعتماد على النفس ومراقبة الله والضمير فيما يفعلون . فلا خير فى العلم إذا لم يقم على دعامة من الخلق الفاضل . وقد قدمت لنا الحرب الحاضرة أقطع دليل على ذلك . فما دعا إلا أن امتحنت هذه الحرب بنارها معادن الأمم حتى ذاب ما كان منها واهن الأخلاق ، على الرغم من أنه كان قد بلغ الذروة فى العلم والارتقاء الفكرى .

* * *

وفى انتظار هـذا الجيل الجديد الذى سنعمل على تنشئته على تلك الصورة ، ينبغى أن نأخذ نحن أنفسنا ما استطعنا بخلق العدالة والإنصاف وبغض المحاباة ، ولتكن لنا أسوة حسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جاءه مرة أسامة بن زيد يشفع فى رجل وجب عليه حد السرقة ، فانتهره عليه السلام وقال مغضبا : " أتشفع فى حد من حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " . وينبغى كذلك أن نرجع البصر فى نظمنا وقوانيننا فنصلح ما عسى أن يكون فيها من فساد ، ونكمل ما فيها من نقص ، وتزيل ما تشتمل عليه من مظاهر الرخاوة والمرونة . وحبذا لو أنشأت وزارة الشؤون الاجتماعية لجنة من كبار المصلحين لمحاربة المحسوبية وتطهير البلاد من شرورها ، فذلك لا يقل أهمية فى نظرى عن كثير من الشؤون التى تشغل نشاطها فى الوقت الحاضر ما

على عبد الواحد وافى

العائلة في الاصطياف

ليس الاصطياف من الكماليات في عصرنا و بيئتنا ، فان سكان المدينة الذين يقضون معظم النهار أمام مكاتبهم في ركود جسمي وتنبه ذهني يكاد يصل الى حد الهم والقلق ، لا يرون الشمس إلا في فترات قصيرة بين الترام والمنزل ولا يعرفون من الرياضة غير النشاط اليسير الذي يحتاجون اليه في انتقالات قصيرة — هؤلاء السكان في حاجة الى أشهر أو أسابيع يقضونها على الشواطئ حيث هواء البحر المعقم وأوزون النسيم المنعش ، وحيث الحركة والنشاط والمرح في بعد عن التكاليف التي تقتضيها حياة المدينة وتحصيل العيش .

والتعب الذهني أو العصبي ليست له أعراض واضحة كأعراض التعب الجسمي . وقد يحس أحدنا تعب الجسم وجعا أو هبوطا يكفه عن الحركة حتى يزاح . ولكنا لا نحس تعب الذهن ، وقد تبدو علينا أعراض ، ولكنا نتوهم منها أنها بعيدة كل البعد عن هذا التعب . فمن هذه الأعراض مثلا سرعة السأم الذي يصيبنا من عملنا اليومي وكراهتنا لنشاطنا ورغبتنا عن أي اقتراح جديد . بل يبلغ بنا هذا السأم أحيانا أن نكره السفر إلى المصيف ونعده مجهودا كبيرا حتى حين تتاح لنا فرصة الاصطياف . وذلك لأن مدخر العصبي قد هبط إلى حد النضوب فلا نكاد نحس النشاط للسفر والمرح .

وفي هذه الأيام قد أصبح السفر إلى أوربا مستحيلا كما أصبح الاصطياف في الاسكندرية قليل الاغراء لان الليالي التي كانت تحيي في السنين الماضية بالأنوار قد عمها الظلام لضرورات الحرب . ولكنا نخطئ هنا في مغزى الاصطياف حين ننتقص من قيمة الاسكندرية لليالي المظلمة . فان المصطاف الذي يسهر الليالي و يغشى القهوات والملاهي ويتأخر في نومه ويستيقظ بعد التاسعة من الصباح — هذا المصطاف لا ينتفع بمصيفه . لأنه يحيي هنا الحياة التي كان يحياها مدة عمله والتي هو محتاج منها إلى الراحة بالترفيه عن جسمه وعقله وأعصابه . وانما المصطاف هو الذي يغير أسلوب معيشته السابقة . فيبكر في النوم ويستيقظ عند بزوغ الشمس و يقضي معظم وقته على الشاطئ لكي تمتص بشرته الأشعة الأكتينية وهو الذي يلعب ويثب ويمشي حتى يعود آخر الاجازة وهو مزود بقوة مدخرة يقابل بها عناء العمل في السنة القادمة .

ومصايفنا لا تزال في حالة بدائية حتى أننا أحيانا نفاخر فيها بالنقص كأنه ميزة كما نفعل مثلا حين نقول في دعوى عريضة إن البيت من القش في رأس البر خير من البيت من الحجر

يجهز بوسائل الحضارة . والواقع أن هذا النقص يعد طرفة مستملحة عند المصطاف للمفارقة العظيمة بين كوخ من الخشب والحصير ، وبين منزل مؤثث بأدوات الحضارة العصرية . ولكن ليس شك فى أننا بتقدم العمران سوف نبنى فى مصايفنا الصغيرة منازل كبيرة متعددة الطبقات تتسع لعشرة أمثال من تتسع لهم الآن وتتوافر فيها جميع الوسائل التى تؤدى الى راحة المصطافين . ومصايفنا فى الوقت الحاضر هى مدن الشواطئ الثابتة والزائلة مثل الاسكندرية ورأس البر وما اليهما من مصايف دونهما فى الذكر والسعة . وهى أيضا قرانا الريفية أو العزب الخاصة. وميزة البحر على العزبة كبيرة وخاصة فى الأشعة الاكتينية التى تلوح البشرة وتكسب الجسم صحة من فيتامين د . فاننا حين نجد الأطفال قد شحبوا أو قلت رغبتهم فى الطعام أو تراخوا فى كسل وفتور نعطيهم زيت كبد الكود . هـذا السمك الذى يباع فى القاهرة مجففا مملحا مجردا من أحشائه باسم " البكلاه " فان كبده تخزن هذا الفيتامين من أشعة الشمس . فاذا اصطاف الطفل أو الصبى على الشواطئ استخاص من الشمس هذا الفيتامين ولم يعد يحتاج الى هذا الزيت الذى ينفر منه .

وليس الريف عندنا محروما من هذه الأشعة الأكتينية . ولكنها ليست فيه بالوفرة التى نجدها فى الشواطئ . ثم الشواطئ بعـد ذلك خالية من أبابيل الذباب التى تحتشد فى قرانا وعزبنا . وكذلك الشأن فى البعوض الذى كثر لوفرة مياه الرى التى عمت التربة وجعلت توالده مستمرا على طول السـنة . بل كذلك تمتاز الشواطئ من الريف بخلوها من الديدان الثلاث البهارسيا والانكلستوما والاسكاريس التى لا يخلو منها ريفنا للسبب نفسه وهو وفرة المياه .

ولكن مع العناية يمكن للأبوين أن يقيا الأبنـاء من كل ذلك . فاذا عنى الصغار بألا يخرجوا إلى الحقل الا بالأحذية و بألا يستحموا فى الترع و بألا تتلوث أقدامهم بالطين فان خطر هذه الديدان يزول. كما أن العناية بتوافذ الغرف بوضع شباك تقى من الذباب و بتجهيز الأسرة بالكلل تكفل الوقاية من الذباب والبعوض . و يمتاز ريفنا بعد ذلك بما فيـه من الأطعمة الطازجة سواء من اللبن أو البيض أو الخضراوات أو الفواكه . وهذا الى نضرة الحقول التى قد تزيد فى جمالها المنعش على جمال البحر .

ولكى نجعل اقامتنا فى المصيف مفيدة — سواء أكان الريف أم الشواطئ — يجب كما قلنا أن نغير أسلوب معيشتنا التى تعودنا فى المدينة . وأهم هذا التغيير أن نستيقظ مبكرين نستمتع ونتنفع بأشعة الشمس ثم يجب ألا نستسلم للرخاوة والراحة والسكون . بل علينا أن ننشط بالمشى والوثب ونحو ذلك — كل بما فى مقدوره وما يتفق وحالته الصحية . كما يجب ألا ننسى أن أعظم المنتفعين بالمصيف هم الصغار . وهؤلاء يحتاجون الى الارشاد لكى يزدادوا هنـاء وانتفاعا باجازاتهم مع تحـذيرهم من الأخطار والأضرار المحيطة بهم . ونحن الكبار نميل فى

المصيف الى الاطمئنان والدعة وتؤثر القعود على المشى . ولكن الصبى تدفعه سليقته الى الارتياد كما يبعثه الفضول على التعرف الى كل جديد . ويجب أن تستغل فيه هـذه النزعة . فعند الشواطئ يشجع على إيجاد مجموعة من صدف المحار كما يجب أن يرى الصيادين وشباكهم ويتعرف الى مختلف الأسماك . والصبى الذى رأى الدولفين فى وثباته على الأمواج أو الذى حظى برؤية اللجاة على الشاطئ لن ينسى هذه الفرحة التى وثب فيها الى عالم مجهول . وهو حين يعود الى مدينته محملا بنحو ثلاثين نوع من صدف المحار المختلف سيحس سائر أيام السنة أنه اقتنى شيئا عظيما . وكذلك الشأن فى الصبى الذى قضى إجازته فى الريف ، فإنه يجب أن يشجع على إيجاد مجموعة من الزهر والورق والبـذور بحيث يمكنه التعرف اليها وتعيين أسمائها بمحض النظر . وجمع الورق يحتاج الى كراسة والى سائل للالصاق . وكذلك الشأن فى الزهور التى لا يجمع منها غير الورق أو ما يستغرب و يستظرف من أجزاء الزهرة . وهناك الصبى الجرىء الفضولى الذهن الذى يجمع بيض العصافير . وفى الريف المصرى من الثقافة الزراعية ما يمكن أن ينتفع به كل صبى مثل طرق الحرث والرى والزرع والحصاد والتذرية والعناية بمواليد الماشية وحلب الجاموس وصنع الخبز وتربية الدجاج وسائر هذا النشاط الحيوى الذى لا يرى له شبيها فى المدينة .

وعسى أن يكون اضطرارنا للاصطياف فى الريف هذه الأعوام باعثا لنـا على تحسينه . فإن كثيرا من العائلات الثرية تعيش فى القاهرة مع أنه ليس لعائلها أى عمل فيهـا ، إذ هو يعيش بما تغله له أرضه . و بعده عن قريته أو عزبته يسىء ادارتها و ينقص غلتها . وهو حين يقضى أشهر الاصطياف هذه فى الريف سيضطر الى اصلاح مسكنه والعناية بمرافقه فيطيل فيه مقامه ولعله يؤثره على مسكنه فى القاهرة . ولو تم له ذلك لوجد فى زيادة دخله من أرضه ما يجعله يشكر الظروف التى جعلته يصطاف فى الريف .

وعندما ننظر الى الاصطياف من هذه النواحى لا نجد أنه مفيد للصحة معيد للعافية فحسب بل هو أيضا مثقف منير يوجه الصبى الى متع نافعة قد تقيه فى المستقبل من الاستماع السيئ .

توزيع الثروة فى مصر

بقلم الأستاذ مريت بطرس غالى بك

قال صديق الأستاذ توفيق الحكيم فى مجلة المصور ذات يوم إن المشاكل الاجتماعية "لن يكون لها وجود ما لم تصبح كالمسألة السياسية تقوم على أساسها الأحزاب وتسقط بسببها الوزارات". ولئن صح هذا القول، فإنى أرجو من أعماق قلبى أن نوفق فى المسألة الاجتماعية أكثر مما وفقنا فى المسألة السياسية. والواقع أن المشاكل الاجتماعية موجودة، وهى ماثلة أمام أعيننا فى شتى نواحى الحياة العامة والخاصة. ولم ينتظر كثير منا قيادة الأحزاب السياسية فى هذه الناحية، بل اتجهوا إليها وشرعوا فى دراسة فروعها المختلفة. ولا شك عندى فى أن أهم ماجدّ فى حياتنا العامة منذ بضع سنوات هو تلك العناية التى نرى آثارها منذ حين فى الأبحاث والمقالات الكثيرة التى تدور حول مشكلاتنا الاقتصادية والاجتماعية.

وإذا جاز لنا أن نأسف على ما أنفقناه منذ عشرين عاما من وقت وكلام وورق وحبر وحماس فى مجادلاتنا الحزبية، وإذا جاز لنا أن نأسف على عدم اتفاقنا عشر هذا النشاط فى سبيل الإصلاح الاجتماعى، فلنُسر ولنغتبط الآن باتجاه الأذهان نحو مشكلاتنا الاقتصادية والاجتماعية. لكنه لا يسعنا رغم ذلك إلا أن نلحظ أن كثرة الكلام والكتابة من أشخاص غير ملمين بالموضوع الإلمام الكافى قد تضر بالمصلحة العامة. وسواء أكانوا مدفوعين بالغيرة على تخفيف آلام البؤساء، أم مندفعين تحت تأثير مصلحة شخصية أو أسباب حزبية، فإنه يخشى من هذه الحركة غير المنظمة أن تساعد على نشر بعض الأفكار السطحية — المنطقية فى ظاهرها والخاطئة فى باطنها — فيتمسك بها الرأى العام، ويصعب عليه بعد ذلك أن يحيد عنها أو يتركها. ويخشى أيضا من هذه الحركة أن تولد آمالا بعيدة التحقيق، فتغرس بذور الاضطراب الاجتماعى فى صفوف الأمة.

وأبعد مثل لتلك المسائل التى من طبيعتها أن تثير اهتمام الرأى العام، والتى يجب أن يتناولها الكتاب بشىء من الحذر، هو موضوع توزيع الثروة. وكل ما أريد أن أتجه إليه اليوم، هو رسم الخطة التى يحسن السير على مقتضاها فى دراسة توزيع الثروة فى مصر، وإبعاد بعض الاقتراحات التى كثر الكلام فيها منذ حين، والتى أخشى أن تولد آمالا لا يمكن تحقيقها. فلنحاول إذن وضع مسألة توزيع الثروة فى نصابها الحقيق، ذلك لأن السؤال الخاطئ يؤدى

غالبا إلى جواب خاطئ كما أن السؤال الموضوع وضعا حسنا يساعد على الإجابة السديدة . وكل أملنا أن نحدد المشكلة تحديدا تاما ، ليعين ذلك على حلها ومعالجتها فيما بعد ، إن لم نوفق نحن الآن فيما نقدمه من علاج .

أرى أن لا فائدة من الدخول فى تقدير الثروة الأهلية بوجه عام ، والبحث عن توزيع إيرادها بين طبقات الأمة . ولقد حاول بعض الإحصائيين هذا التقدير ، فكانت نتيجة أبحاثهم ذات مغزى عظيم ، إذ برهنت على انخفاض مستوى المعيشة فى مصر عنه فى بعض البلاد المتمدينة إلى حد مخيف ، غير أن هذه التقديرات لا تعطينا معلومات صحيحة عن نسبة الفقر فى القطر ، فلا يمكن أن نستخرج منها نتيجة عملية . وإذا أردنا أن نكون عمليين فى بحثنا ، وجب علينا فى بادىء الأمر أن نعين بشىء من الدقة الحد الفاصل بين الفقر والغنى ، أو بعبارة أصح بين الفقر والكفاية .

والوسيلة لهذا أن نعيّن أقل إيراد ممكن لتحقيق أسباب الحياة فى مصر ، ثم نعتبر من طبقة الفقراء كل شخص لا يتوافر لديه هذا المقدار ، بصرف النظر عن وظيفته أو مستواه الاجتماعى . وقد قام الدكتور ولسن ، الأستاذ بكلية الطب ، ببحث دقيق عن مشكلة التغذية فى مصر ، عين فيه تكاليف الحياة لأسرة مكونة من أربعة أشخاص — هم رأس العائلة وزوجه وطفلان (وهذه هى الحال المتوسطة لتقسيم السكان ، اختارها الإحصائيون أساسا لبحوثهم . ويمكن أن يحل محل الأطفال فى هذا التقسيم أم عجوز مثلا أو أخت صغيرة أو قريب عاجز عن الكسب ، ولا يتغير المتوسط بهذا فى شىء) . فقدر القوت الضرورى على منوال المألوف فى الطبقات الشعبية فى المدن وفى الريف ، ثم قدر نفقات الملبس والمصروفات الثرية أقل تقدير ممكن . فعلى هذا الأساس قدر الدكتور ولسن نفقات الأسرة المكونة من أربعة أشخاص بستة قروش فى اليوم ، أو مائة وثمانين قرشا فى الشهر ، أى ما يوازى إيرادا سنويا قدره ثنتان وعشرون جنيها . فلنأخذ هذا التقدير أساسا لبحثنا ، وقد لوحظ فيه أنه حد أدنى لا يمكن خفضه دون الإضرار بالوظائف الجسمية والعقلية ، ولنعتبره الحد الفاصل بين الفقر والكفاية .

فعلينا أن نطبق هذا التقدير على المنتفعين بمختلف المرافق الاقتصادية ، لكى نرى نسبة الفقراء بينهم ، ثم نبحث بعد هذا عن الصلة بين فقرهم وتوزيع الثروة فى البلاد ، وعن العلاج الممكن إذا ما حاولنا توزيعا آخر أقرب إلى المصلحة العامة .

ولن أحاول الدخول فى موضوع الثروة الصناعية وكيفية توزيع ملكيتها وإيرادها ، لأن المشاكل الصناعية فى مصر قريبة من مثيلاتها فى البلاد الأخرى ، ويمكن الاستفادة من تجارب البلاد التى سبقتنا فى هذا المضمار لنسير على ضوئها فى طريق الحكمة والاعتدال . وعلى هذا

نترك الكلام عن أجور العمال وتوزيع الإيراد الصناعى بين العمل ورأس المال وغيرها من المشاكل الاجتماعية المتعلقة بالصناعة .

وسنترك أيضا المشاكل المتعلقة بمستخدمى الدولة والتى يمكن تلخيصها فى عدة أسئلة : (أولا) هل يؤدى الموظفون للمجتمع خدمات تتناسب وحصتهم فى إيراد الأمة (وهى المخصصة لهم بواسطة الضرائب) ؟ (ثانيا) هل يمكن القول بأن حصتهم فى هذا الإيراد فوق مايؤدّون من خدمات ؟ ثم نتساءل (ثالثا) عما إذا كانت الأموال المخصصة لهم موزعة بينهم توزيعا عادلا أم لا ؟ وبعد ذلك نبحث عما إذا كان مستوى المرتبات الحكومية يعلو على مستوى المعيشة العام فى القطر ، وإذا كان أعلى بالفعل ، فهل هذا من المصلحة أم لا ؟ — هـذه بعض المسائل المتعلقة بتوزيع الثروة فيما يختص بمستخدمى الدولة ، كانت تقتضى بحثا طويلا لا يتسع له هذا المجال .

بقيت أمامنا مسألة توزيع الثروة الزراعية ، وهى التى يجب أن نتوسع فيها قدر الإمكان وإذا كانت مشكلاتنا الصناعية شبيهة بالمشكلات الصناعية فى أغلب بلاد العـالم ، فليس الأمر كذلك على الإطلاق فيما يتعلق بالزراعة . والواقع أن مشكلاتنا الزراعية ، وخاصة المتعلقة منها بالشؤون الاجتماعية ، مطبوعة بطابع خاص لا نكاد نرى له مثيلا من حيث الخطورة ومن حيث التعقد فى أى بلد آخر .

وتتلخص أهميتها فى أن الزراعة تمثل الجزء الأكبر من ثروة مصر ، وأن المشتغلين بها والمنتفعين منها يمثلون السواد الأعظم من الأمة . هذا إلى أن مشكلة ازدحام السكان فى بلادنا تبدو مخيفة ومرعبة حقا عند ما تقرن بمدى انتاجنا الزراعى .

أما عن نسبة الفقراء فى الزراعة حسب التقدير الذى اخترناه أساسا لمناقشتنا ، فليس من السهل أن نعرفها بالدقة . واذا اكتفينا بشهـادة العين بدا لنا أن عدد الذين لا يحصلون على الايراد الضرورى لمجرد الحياة الطبيعية هو بغير شك كبير جدا . وكلنا يعلم حال الفلاحين فى أغلب مناطق مصر ، وكلنا يستطيع أن يرى بنفسه النقص فى تغذيتهم ، وفتك الأمراض بهم ، وضعفهم الجسمانى ، ومستوى معيشتهم المنخفض الى حد لا مثيل له فى أى بلد من البلاد المتمدينة ، ان لم يكن على مايقال فى بعض الهند والصين .

غير أنه لا يمكننا الاكتفاء بشهادة العين إذا أردنا أن نرسم سياسة حكيمة وخطة ثابتة ، ولا بد لنا من أن نبحث عن نسبة عددية للفقراء فى المتصلين بالزراعة — وليس هذا كما قلت بالأمر السهل . ولقد شرعت جمعية الدراسات الاجتماعية منذ حين فى بحث واسع عن أسباب الفقر فى مصر ، نرجو أن يعطينا بعض المعلومات الهـامة فى هذا الباب . وكم كنت أود أن

تقوم السلطات الحكومية المختصة باحصاء ودرس دقيقين لمعرفة نسبة الذين لا يحصلون على ذلك الإيراد الأدنى الذى جعلناه الحد الفاصل بين الفقر والكفاية . ولا يصح أن تبخل الحكومة مطلقا بمالها ومجهودها فى سبيل الحصول على هذه المعلومات ، وإلا بقى دائما شىء من الإبهام يحيط بكل تصرفاتنا وتدابيرنا الاقتصادية والاجتماعية .

ومهما يكن من هذه الأمانى ، وعلى الرغم من أن هـذه المعلومات ليست فى متناولنا ، فإنا نحاول مع ذلك أن نكوّن لأنفسنا فكرة عن نسبة الفقر فى مصر — ولو على وجه التقريب . ذكر الدكتور حافظ عفيفى باشا فى مؤلفه "على هامش السياسة" أن من أهل هذه البلاد نحو أربعة ملايين شخص يعيشون بإيراد يقل عن جنيه واحد فى الشهر . فإذا قدّرنا أن كلا منهم يعول أسرة من ثلاثة ، يصبح أمامنا اثنا عشر مليونا من أهل مصر يعيشون بايراد يقل إلى حد بعيد عن هذا الإيراد الأدنى الذى حددناه .

ولقد قمت منذ سنتين ببحث عن وسائل معيشة الاهالى فى عزبتين ، إحداهما فى الوجه البحرى ، وعدد سكانها مائتان وستون نفسا ، والأخرى فى الوجه القبلى ، وتشمل ما يقرب من أربعمائة نفس ، فتبين فى كلتا العزبتين أن نسبة الذين بلغ إيرادهم حد الكفاية حسب تقدير الدكتور ولسن ثلاثون فى المـائة فقط . أما السبعون فى المـائة الباقون ، فكان إيرادهم يقل ، وفى الغالب يقل كثيرا ، عن حد الكفاية الضرورية .

وذكر حضرة صاحب العزة مدير المنوفية فى تقرير له ذات يوم أن نسبة الذين لا يملكون شيئا كبيرة جدا فى مديريته ، وأن متوسط دخل الواحد من هؤلاء لا يزيد على أربعة جنيهات فى السنة .

ولا داعى فيما أعتقد لأن أعرض نماذج أخرى من الإحصاءات التى قام بهـا بعض الأفراد ، حين رأوا أن الإدارات الحكومية المختصة لم تعن بجمع البيانات اللازمة لمثل هذه الدراسات . ويكفينا أن نستخلص مما سبق فكرة عن نسبة الفقراء فى بلادنا ، وهم كما نرى السواد الأعظم من سكان القطر .

أما أسباب هذا الفقر المدقع فيمكن تلخيصها فى عبارة واحدة ، هى الزيادة المطردة فى عدد السكان مع زيادة قليلة فى المرافق الاقتصادية . وفى نظرى أن الفقر أنتشر دائما بعد عام منذ بداية القرن الحاضر ، وسيستمر فى الزيادة والانتشار اذا تركت الأمور على علاتها — كما أنى أرى أن علاج المشكلة دون النظر فى ضبط زيادة السكان أمر مستحيل قطعا .

غير أنى أكاد أخرج عن الموضوع الذى حددته وهو موضوع التوزيع ؛ فلنعد اليه ، ولنبحث عما إذا كان التوزيع الحالى عاملا من عوامل انتشار الفقر . وإذا تحققنا من ذلك

تماما ، بحثنا عن التدابير التى تكفل للعدد الأكبر من الأمة اشتراكا مناسبا فى الثروة الزراعية . دون الإخلال بحياة البلد الاقتصادية .

وطبيعى إزاء الحالة المؤلمة التى وصفناها أن يتجه التفكير السطحى الى توزيع الثروة ، كأن يقال مثلا : ما دام هناك أشخاص يتمتعون بأملاك واسعة و إيراد يزيد كثيرا عن حاجتهم ، فالحل سهل وهو يتلخص فى أن نأخذ من مال الأغنياء ما نوزعه على الفقراء ، وهكذا نحقق مستوى كافيا لمعيشة المصريين عموما . ولكن المسائل ليست من السهولة بهذه الدرجة !

ولا شك أن خطأ هذه الفكرة يبدو واضحا عندما نذكر أن الإيراد اللازم لتكاليف المعيشة على أدنى مستوى هو اثنان وعشرون جنيها فى السنة لأسرة مكونة من أربعة أفراد ، أى ما يوازى ربع ثلاثة أفدنة فى المتوسط . فاذا قدرنا أن فى القطر المصرى ثلاثة ملايين أسرة ، بناء على أن المشتغلين بالزراعة من السكان يبلغون نحو اثنى عشر مليونا ، تصبح المساحة المطلوبة تسعة ملايين من الأفدنة ، ومعروف أن مساحة الأرض الزراعية فى مصر خمسة ملايين وثلث مليون فقط .

إذن فالفكرة المقترحة لا سبيل الى تنفيذها عمليا ، وعلى هذا لا يجوز لنا مطلقا أن نفكر فى تشريع شبيه بتشريع رومانيا الذى كثيرا ما يقترح تطبيقه على الظروف المصرية وهو قانون نزع ملكية الأطيان الزراعية الذى أقره برلمان بوخارست سنة ١٩١٨ على اثر انتهاء الحرب العالمية . والفارق بين ظروفنا وظروف رومانيا أن مساحة الأرض الزراعية فيها تسمح بضمان قسط كاف لكل شخص ، وذلك كانت العبرة كلها فى التوزيع وحسبنا فى هذا أن نذكر أن قانون رومانيا نزع جزءا من الملكيات التى تزيد على مائة هكتار فيما تذكر ، فكانت مساحة الأطيان المنزوعة ملكيتها على هذا الأساس كافية لتوزيع عشرة هكتارات ، أو ما يوازى أربعة وعشرين فدانا على كل راس أسرة . وقد اردت أن أوضح هذا الموضوع لأنه يجب القضاء على تلك الأفكار الخاطئة التى يخشى اذا انتشرت أن تسبب أزمة اجتماعية خطيرة واضطرابات عنيفة فى القريب العاجل .

ولكن هذا ليس معناه أن التوزيع الحالى لا أثر له فى انتشار الفقر ، ففى الإمكان معالجة هذه الناحية لرفع مستوى المعيشة عند عدد محدود من المزارعين فقط . وقد رأينا أنه لا يمكن إيجاد الأرض الكافية لجميع المشتغلين بالزراعة ، فيجب إذن أن نضع مشكلة توزيع الثروة الزراعية فى قالب غير الذى ألفناه فى مناقشاتنا الى الآن : فبدلا من أن نبحث وراء توزيع عادل بين جميع سكان القطر — وهو محال كما رأينا — يحسن بنا أن نعمل قدر الإمكان على إيجاد طبقة من الفلاحين ثابتة راضية عما هى فيه ، تلك الطبقة التى هى العمود الفقرى للأمم الحية الناهضة . فقد اجمع المؤرخون وعلماء الاجتماع على أن وجود طبقة موسرة من صغار

الفلاحين هو خير ضمان للثبات فى نظام الدولة ، فى السلم والحرب ، لأن هذه الطبقة تخرج أحسن الجنود الذين يدافعون عن حرمة الوطن .

ويحسن بنا أن نميز هنا بين توزيع الملكية الزراعية وتوزيع الإيراد الزراعى زيادة فى الإيضاح وضبط الأفكار . ولسنا فى حاجة إلى أن نلاحظ أن الإيراد الزراعى يختلف عن الملكية الزراعية ، فكثيرا ما يساهم فيه أشخاص لا ملكية لهم . وفى مقدورنا أن ندخل بعض التعديلات على كل واحد منهما على حدة . فنستطيع مثلا أن نوزع الملكية الزراعية توزيعا يقضى على كثير من الملكيات الكبيرة ، ويسمح بانتشار الملكيات الصغيرة ، دون أن نمس إيراد هذه الملكيات كيفما كان مستغلوها ، وقد نحاول من طريق آخر أن نتصرف فى الإيراد الزراعى نفسه مع إبقاء الملكيات الكبيرة والصغيرة لأصحابها ، وبذا يمكننا أن ننمى دخل بعض الأفراد المستوى ، وإن لم تكن لهم ملكية شرعية قائمة .

ومما يلاحظ أن المشتغلين بهذه المشكلة الاقتصادية والاجتماعية قل أن يفرقوا بين هاتين الناحيتين ، بل تتجه اقتراحاتهم فى أغلب الأحايين نحو الملكية الزراعية ، دون أن يفكروا فى توزيع الإيراد الزراعى على أسس جديدة . ويخيل الىّ أن الجمهور أكثر استعدادا لقبول إصلاح يمس الايراد الزراعى منه لقبول تغيير يجور على الملكية أو يغير نظمها المألوفة .

وعلى هذا سأحاول أن أعرض الوسائل التى يمكن إدخالها على نظام الملكية الزراعية لتلافى بعض ما نحس به من نقص . واذا ما فرغت من هذا ، انتقلت الى الإيراد الزراعى ، مبينا أيضا ما يصح أن ندخله عليه من تغيير يسمح برفع مستوى المعيشة ولو نسبيا .

وعند ما نتكلم عن توزيع الملكية الزراعية ، نشعر فى الحال أننا فتحنا بابا على شهوات ونزعات لا آخر لها . فمازالت الملكية الزراعية ، حتى فى عصرنا الصناعى ، نوعا عزيزا من الملكية يشتهيه الفلاح فى كوخه والأمير فى قصره . وطبيعى أن تشغل الدولة بملكية الأرض الزراعية ، خصوصا فى بلاد تمثل فيها هذه الملكية أهم مورد للثروة الأهلية ، فإذا دعت الضرورة الى تدخلها فى ذلك ، كان واجبها دائما أن ترعى مصلحة المجموع ، ولو أدى ذلك إلى تضحية مصلحة بعض الأفراد .

ولا نتوسع فى وصف التوزيع الحالى فى مصر ، فكلنا نعلم الأرقام التى تنشر لمناسبة أو لغير مناسبة . ولقد أخذ الكتاب والخطباء يكررون أن ثلاثة وتسعين فى المائة من مجموع الملاك يملكون عشرين فى المائة من الثروة الزراعية وسبعة فى المائة يملكون ثمانين فى المائة منها ، ويقولون إن هذا هو سبب انتشار الفقر ، وأنه يجب العمل على إزالته بغير خوف أو تردد . ولكن يجدر بنا أن نتحفظ قليلا فى تقبل هذه الإحصاءات الرسمية والتسليم بها ، وعلى

الباحث أن يدقق فى درس هذه الأرقام والاستناد إليها فى استنتاجه واقتراحاته . وأكتفى فى هذا الباب بإبداء ملاحظتين تساعدان على وضع الموضوع فى نصابه الصحيح :

(أولا) إن تقسيم الملكيات إلى كبيرة وصغيرة لاينطبق على الواقع تماما، ذلك لأن عددا من الملكيات الكبيرة صورى ، فان إيرادها ، و إن وضعت تحت اسم مالك معين ، موزع فى الواقع بين أشخاص كثيرين . وأوضح مثل على هذا ، المستحقون فى وقف أو المساهمون فى شركة من الشركات الزراعية .

واذا شئنا أن نحصى كبار الملاك الفعليين ، وجدناهم محدودين إلى درجة واضحة . ومن الخطأ أن نظن أن كل أصحاب الملكيات الصغيرة فقراء ، أو أن مستوى معيشتهم دون الكفاية ، فإنهم كثيرا مايضمون إلى هذه الملكية موردا آخر من وظيفة أو متجر أو صناعة عليها المعوّل الأول فى كيان حياتهم .

(ثانيا) هناك ظاهرة أخرى تستلفت النظر وتستدعى علاجا فيما يتعلق بتوزيع الملكية، ألا وهى أنا نلاحظ فى تطور الملكيات الزراعية منذ بداية القرن الحاضر حركتين عكسيتين وشبه متعارضتين . فمن ناحية نرى الملكيات الكبيرة ، من فئة مائة فدان فأكثر ، آخذة فى النماء، وقد زادت مساحتها الاجمالية كما زاد عدد الملاك فى هذه الطبقة، ومن ناحية أخرى نرى أن الملكيات الصغيرة جدا ، من فئة أقل من فدان واحد ، قد زادت أيضا ، حتى ليوجد الآن نحو مليون وثلاثة أرباع مليون من الأشخاص يمتلك كل منهم عشرة أسهم فى المتوسط . ومن المؤسف جدا أن الملكيات المتوسطة، من عشرة أفدنة الى ثلاثين فدانا، قد نقص عددها فى نفس المدة ، فأخذت طبقة من الملاك المتوسطين تتلاشى شيئا فشيئا ، وهم الذين كانوا فى الماضى عاملا من عوامل الثبات والنظام والحياة الاجتماعية فى القرى .

و يرجع هذا التطور الى سببين : فإما أن حب الظهور وجاذبية الحياة فى المدن والرغبة عن البقاء فى الريف جعلت هؤلاء الملاك المتوسطين يبتعدون عن مزارعهم ، و يتكبدون مصاريف فوق طاقتهم للإقامة فى المدن ، فكان مصيرهم الاستدانة والإفلاس وراحت أملاكهم تنضم الى أملاك كبار الملاك الذين لهم من المال الزائد عن حاجتهم مايسمح لهم بشرائها . وإما أن هذه الملكيات المتوسطة قسمت مرة بعد أخرى بفعل نظام الوراثة ، مما أدى الى الزيادة التى نشاهدها فى الملكيات الضئيلة .

ولقد قلت إنه من المؤسف أن تتلاشى الملكيات المتوسطة ، وهى التى يجب تعميمها وتقوية مركزها قدر الإمكان . فالملكيات الزراعية الكبيرة جدا أصبحت فى الواقع لا تلائم التطور الاجتماعى الحديث ، أما الملكيات الصغيرة جدا فلا فائدة منها لأنها لا تكوّن وحدات اقتصادية صالحة للاستغلال على الوجه الكامل . ولعل المثل الآتى يوضح الفكرة التى

أقصد إليها : لنفرض أنا نريد أن نبنى بناء عظيما ، فلو تخيرنا له الأحجار الكبيرة جدا ، صعب علينا نقلها ورفعها إلى حد ربما أخل بميزانية المشروع ، وإذا اخترنا الصغيرة جدا ، خفنا من عدم تماسكها مما يخل بمتانة البناء وضخامته . فأقوم طريق فى هذه الحالة أن نتخير أحجارا متوسطة الحجم تتحقق فيها الصلابة وسهولة النقل . فثروتنا الزراعية مثل هذا البناء الذى أردنا تشييده ، والأحجار هى الملكيات الزراعية التى تتعاون وتشترك فى إنماء المرافق الزراعية ، كما تتعاون الأحجار ويشد بعضها بعضا فى البنيان .

وقبل أن نبحث عن الطرق التى توصلنا إلى تعميم الملكيات المتوسطة وإيجاد تلك الطبقة الثابتة من الملاك المزارعين ، علينا أن نبحث عن المساحة التى يحسن تعيينها لهذا الغرض . وقد قررنا أن أقل مساحة لازمة لمعيشة طبيعية هى ثلاثة أفدنة ، ولكن هذا ليس معناه أنه يحسن تعميم هذه الملكيات الضئيلة ، بل ينبغى لنا أن نختار مساحة أوسع من هذا القدر الأدنى ، حتى تكفل لصاحبها الاستقلال الاقتصادى الضرورى ، وتعطيه من الإيراد ما ينفقه فى تحسين مستوى معيشته عن الحد الأدنى الذى وصفناه . ورأيى أن المساحة التى يحسن تعميمها تتراوح بين خمسة وعشرة أفدنة (وأميل إلى الرقم الثانى ، وعلى كل حال فإن هذه نقطة يحسن تركها للإخصائيين ليدرسوها بالدقة اللازمة) — فنقرر أولا أن هذه هى المساحة التى نريد تعميمها بشتى الوسائل الممكنة ، دون الإخلال بالنظام الاقتصادى الحالى إلى حد يرجع بالضرر على نواح أخرى كثيرة لا محل هنا لاستعراضها .

ويظهر أنه قد آن الأوان أيضا لأن نضع حدا أعلى للملكيات الزراعية ، لا بقصد أن ننزع ملكية ما يزيد عليه — لأن ذلك من العبث كما رأينا — ولكن لأنا سنستخدم ذلك فى بعض وسائل العلاج التى نقترحها . ويلوح لى أن مئتين وخمسين فدانا للشخص الواحد مساحة مناسبة لإدارة منظمة وإنتاج زراعى كامل . وعلى هذا فلا بأس من أن يكون هذا القدر هو الحد الأعلى الذى نقترحه لملكياتنا الزراعية ، والذى يجب أن تتجه وسائل العلاج كلها إلى ما جاوزه . أما هذا القدر ، فمن المصلحة الاقتصادية والاجتماعية أن يتوفرا لدى طائفة من الناس ، يشرفون على إنتاجنا الزراعى وينمونه ، ويستطيعون بذلك أن يساهموا فى أسواق الإنتاج الزراعى العالمى .

والآن وقد اتضح أمامنا الموقف ، أعرض طائفة من المقترحات ، لا أعدها العلاج الحاسم ، ولكنى أرجو أن يكون فيها ما يفتح السبيل للمشتغلين بهذه المشكلة ، على أن قدرا منها سبق أن أشير من قبل ، وإن كان لم يوضع موضع التنفيذ بعد ، ولم يرسم رسما جليا .

وفى مقدمة ما أقترحه : أولا توزيع جميع الأملاك الحكومية ، ما عدا الأراضى التابعة للمنافع العامة أو اللازمة لإجراء التجارب الزراعية . فتوزع تلك الأراضى الزراعية على

اقطاعات متساوية مساحتها عشرة أفدنة ، ولا يسمح مطلقا باستثناء في هذه القاعدة — ولا أظنني في حاجة الى أن أعود مرة أخرى الى الأسباب التي تدعو الى التشديد في التنفيذ . أما ثمن الأرض والآلات وبعض المال اللازم للبدء في الاستثمار ، فيدفع على آجال بعيدة وبدون فائدة ويجوز لأي مزارع أن يتقدم لشراء هذه الاقطاعات ، على شرط ألا يمتلك أرضا سواها . ويحسن بالطبع أن تعرض هذه الاقطاعات على المزارعين في المناطق المزدحمة بالسكان ، واذا تقدم عدد من المزارعين يقل عن عدد الاقطاعات الموجودة ، كان على السلطات المختصة أن تتخذ ما ترى من وسائل الاغراء لإتمام التوزيع .

والخطوة الثانية أن نضع نص التشريع لتوزيع الأراضي المستصلحة أولا فأولا على أثر إتمام مشروعات الري وإصلاح الأراضي البور . ويقرر نهائيا أنه لا يجوز بحال من الأحوال بيع تلك الأراضي المستصلحة لكبار الملاك ، بل يجب توزيعها كلها في إقطاعات مساحتها عشرة أفدنة، ولا يستثنى من هذه القاعدة إلا بعض الاقطاعات المخصصة لخريجي كلية الزراعة والمدارس الزراعية . حسب المشروع الذي وضع من قبل ، ويشترط فيمن يتقدم لتلك الاقطاعات ألا يمتلك أرضا سواها وأن يقيم فيها للعمل والإشراف عليها .

ونذكر بهذه المناسبة مسألة الغاء الأوقاف الأهلية التي مضى عليها زمن معين ، وإعادتها إلى سوق الاقتصادية ، حتى لا تحرم البلاد من الانتفاع بهذه المساحات الواسعة التي أصبحت لا تفيد مستحقيها لكثرة عددهم . ويسرني أن ألاحظ أن هذه المسألة قد أثيرت في السنوات الأخيرة ودرست في مواطن عدة ، ولكن لا يفوتني أن أشير أيضا إلى الأهواء والشهوات التي كثيرا ما تحكمت في موضوع دقيق كهذا . وجدير بنا أن ندرس مشكلة الوقف الأهلي ، وقد سلمنا جميعا ببعض عيوبه على الأقل ، وأن تقوم هذه الدراسة على النزاهة وتوخي المصلحة العامة قبل كل شيء . وإذا ما انتهينا إلى علاج ، فأرجو ألا تنقصنا الشجاعة لتنفيذه ، خصوصا ومشاكلنا الاجتماعية تتعقد يوما بعد يوم . وفي الوقف الأهلي وإلغائه ما يساعد على علاج بعض هذه المشاكل ، وربما كان الأساس الذي وصفناه من قبل للملكية المتوسطة ، وهو عشرة أفدنة ، صالحا لأن يطبق على تلك الأوقاف التي ينبغي توزيعها ، وليس بعزيز علينا أن نعوض على المستحقين ما يفوتهم من إيرادهم بمورد آخر ، كسندات على الدولة أو ما أشبه ذلك .

وهنا نقطة أخرى هامة جدا في هذا الصدد، وهي الأداة التي يعهد اليها بتنفيذ المشروع . وأميل الى إنشاء إدارة مستقلة في ميزانيتها وفي تصرفاتها المالية ، تحقيقا للتنسيق اللازم في العمليات الكثيرة والمعقدة التي يقتضيها مثل هذا العمل والاستقلال المالي من السهل إيجاده إذا خصصنا لتلك الادارة إيراد بعض الضرائب الخاصة ، كما سنبين ذلك بعد قليل .

وفي مقدورنا أن نستعين بعدد من موظفي الحكومة الموجودين لتكوين هذه الادارة ، وليكونوا مثلا موظفي مصلحة الأملاك التي يستغنى عنها بناء على هذه المقترحات .

ومهمة هذه الادارة ، التي يمكن أن نسميها مثلا معهد النهوض الزراعي ، أن تعين الاقطاعات وتوزعها ، وتعمل على تحصيل أقساطها ، وتمد المزارعين بالسلفيات اللازمة ، وترقب تنفيذ مشروع تنفيذ صحيحا ، وتنظر في مصالح صغار المزارعين بوجه عام . ولسنا في حاجة الى أن نشير إلى أن إدارة كهذه نرجو لها أن تقف كل جهودها على ما خلقت له ، وأن تتجه نحو صغار المزارعين ، ونحو صغار المزارعين وحدهم .

ذلك لأن بعض منشآتنا التي خلقت وكان القصد منها خدمة صغار المزارعين أيضا ، قد تحولت تحولا عكسيا ، وأصبح معظم المستفيدين منها من كبار الزراع . ومن أبلغ الأمثلة على ذلك بنك التسليف الزراعي أو بعض الجمعيات التعاونية . ونحن نعلم أن هذا البنك كان منجما لكبار الزراع قبل غيرهم . وهناك جمعيات تعاونية خلقت بأموال الأغنياء ليستفيدوا منها فوائد كان ينبغي أن تقتصر على الفقراء . وإنا نكتفي بأن أسرد هنا ما يقرره مدير المنوفية في تقريره الذي أشرت إليه من قبل : فهو يلاحظ أن الجمعيات التعاونية في مديريته " قد أخفقت تماما في المهمة التي أنشئت من أجلها " ، " وإن المتولين أمرها من الأعيان لا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة ، فكأن هذه الجمعيات لم تنشأ إلا لمنفعة طائفة معينة ضئيلة جدا ، وليس هذا هو الغرض الذي دعا إلى إنشائها " . وزرشكر سوف العمال

ونقطة أخرى غاية في الأهمية هي حماية تلك الملكيات الصغيرة التي نعمل على تعميمها . وهنا يمكن اقتباس نصوص مفيدة من قانون رومانيا ومن الاقتراحات التي قدمت أثناء مناقشته . وأهم تلك النصوص عدم جواز التجزئة في الاقطاعات لأي سبب كان . ففي حالة وفاة صاحبها عن أكثر من وارث واحد ، تنتقل الملكية الى أحدهم فقط (وقد نص القانون على طريقة اختياره) ، أما الورثة الباقون فيعوضون تعويضا ماليا بسلفة من الإدارة المختصة التي أشرنا اليها . كذلك في حالة البيع لا تجوز التجزئة ، ولا يجوز البيع إلا لشخص لا يمتلك أرضا سواها . وهناك اعتبارات عديدة متعلقة بحماية الاقطاعات ، لا يتسع المجال للتكلم فيها .

الآن وقد فرغنا من توزيع الملكية ، يجدر بنا أن ننتقل إلى مشكلة توزيع الإيراد . ولا يخفى أن ازدحام المزارعين في مساحات ضيقة يؤدي إلى كثرة الأيدي العاملة ورغبة عدد كبير من المستأجرين في استغلال الأرض المعروضة . ولهذا نتيجتان حتميتان : أولاهما ارتفاع قيمة الإيجار ارتفاعا يفيد المالك ويضر المستأجر الصغير ، وثانيتهما هبوط الأجور الزراعية إلى درجة لا تكفي لسد حاجات العمال الزراعيين الضرورية . وهاتان النتيجتان لا مندوحة منهما ،

لانهما خاضعتان لقانون العرض والطلب. فمادامت الأرض المعروضة للتأجير ضيقة وما دام طلابها كثيرين ، فلا بد من أن يرتفع إيجارها عن المتوسط ؛ وما دام العمل الزراعى قليلا والعمال كثيرين، فمن الضرورى أن تخفض أجرة هؤلاء العمال . و بقدر ماتفيد هذه الظروف المالك تسيء إلى صغار المستأجرين والعمال الزراعيين ، ويختل بذلك التوازن بين العمل ورأس المال .

وهذه الحال تتطلب علاجا ، و إن يكن غير يسير فى تنفيذه على الأقل . ذلك لأن الحلول التى يمكن أن تقترح فى موقف كهذا لاتخرج عن واحد من ثلاثة : إما أن نتدخل فى نظام التأجير ، فنضع لكل منطقة حدا أعلى يتناسب مع ظروفها الاقتصادية والاجتماعية، ولا يسمح مطلقا بأن يتجاوزه الملاك فى عقودهم وتعاملهم . وربما بدا حل كهذا يسيرا ، ولكنه فى الواقع عرضة لصعوبات كثيرة ، أهمها أن تحديد هذا الحد الأعلى سيتأثر بظروف كثيرة ليس من السهل ضبطها ، وسيتطلب إشرافا مستمرا كل عام، والحياة الاقتصادية لا تستقيم إلا إذا كانت طبيعة مألوفة . على أن الصلة بين المالك والمستأجر لا يمكن أن تحدد بالعقد وحده ، فقد يتعاقد الطرفان على قدر ما ، ويتفاهمان فيما بينهما على قدر آخر . و إما أن نضع حدا أدنى للأجور الزراعية ، يتفاوت أيضا بتفاوت المناطق ، ويلحظ فيه على قدر الامكان كفاية العامل الزراعى ومتوسط أيام عمله الشهرى . وربما كان هذا الحل أيسر تنفيذا وتشريعا من الحل السابق .

على أن هذا العلاج ليس حاسما ولا خاليا من الصعاب ، فانه يتطلب أن نلحظ الإنتاج الزراعى فى جملته ، فلا نرفع أجور العمل الى حد يخل بهذا الإنتاج و يرهقه . و إذا كنا نلحظ العامل فلا يصح أن نهمل المالك الصغير والمستأجر ، خصوصا أن رفع أجرة العمال وانخفاض قيمة الإيجار سيؤديان حتما الى انخفاض قيمة الملكية الزراعية . ومن جهة أخرى لا ننسى أن رفع الأجور سيقود الى استخدام الآلات الزراعية ، أو الى حمل العمال على إنتاج أوفر ، وكل هذا يضيق دائرة العمل أمام المجموع . ولنا أن نتساءل فوق هذا عما إذا كان رفع أجور العمال الزراعيين الى الدرجة الممكنة يسمح حقيقة بتحقيق المستوى اللازم لمعيشتهم.

وهناك علاج آخر ربما كان أقرب هذه الوسائل جميعا الى التنفيذ وأقدرها على تحقيق نتائج عاجلة لا تتولد منها مشاكل أخرى اجتماعية واقتصادية كثيرة .

وهذا العلاج هو فرض ضريبة إضافية على الملكيات الكبيرة التى تزيد على مائتين وخمسين فدانا ، فتحصل عن كل مساحة تزيد على هذا المقدار ضريبة خاصة بجانب الضريبة العادية ؛ وما يتحصل من هذا يوقف على رفع مستوى المعيشة الذى ننشده ، فيوضع تحت تصرف معهد النهوض الزراعى الذى تحدثنا عنه من قبل ، لينفق فى تحسين حال صغار الزراع

والعمال . وليست الضريبة الإضافية المخصصة لذلك بمقصورة على هذا ، بل يمكن أيضا أن يفرض رسم أيلولة إضافى على كل ما يزيد عن مائتين وخمسين فدانا للوارث الواحد .

ويخيل إلينا أن هذه الطريقة تسمح بتحقيق شيء من التوازن فى توزيع الإيراد الزراعى، وقد أخذ بها بعض البلاد كالبرتغال فيما نعلم ، ولا نظن أن هناك ما يحول دون تطبيقها فى بلدنا . ومهما كانت النتيجة المترتبة عليها لقلة عدد الملاك الكبار ، فإن ما سنحصله منها سيساعد على تحقيق بعض الاصلاح المنشود . ولا نظن أن ضريبة كهذه تتطلب تكاليف جديدة لجبايتها ، فإن القائمين بجباية الضريبة الأصلية يستطيعون تحصيلها ؛ وبهذا نبعد كل نفقة يمكن أن تؤثر على ما يحصل منها .

وقصارى القول بعد هذا كله إن إيرادنا الزراعى قابل للتنمية بما نستطيع إدخاله عليه من وسائل وحاصلات حديثة ، وما نصبغه به من صبغة علمية وفنية ، وفى هذا الإيراد ما يسهل قبول الحلول الآنفة الذكر ، وما يفيض شيئا من المال على من يتقاسمونه سواء كانوا من الملاك أو المستأجرين أو العمال الزراعيين .

* * *

وأختم هذه الكلمة بأن ألفت النظر إلى شرط ضرورى للقيام بمشروع من هذا النوع، هو ألا نأخذ المسائل المختلفة المتعلقة به منفصلا بعضها عن بعض ؛ لأن فى التدابير الجزئية فى مثل هذه الأمور خطرا محققا وضررا أكيدا . فان وحدة النظر والبرنامج فى الشؤون القومية على اختلافها وتعقدها هى الشرط الأساسى لنجاح مشروع من هذا القبيل. أما مواصلة العمل والاستمرار فى التنفيذ فهما شرط آخر لا يقل عن الأول أهمية . ونرجو من الله أن يهدينا إلى الحكم الثابت والادارة الحسنة التى تحقق هذه الشروط .

ومع تأكدى من أنه يلزمنا أن نعيد النظر فى بعض أوجه توزيع الثروة الزراعية ، فإنى لا أرمى بحال من الأحوال إلى انقلاب سريع نقدم عليه دون أن نعلم عواقبه تماما . وإنما أرمى إلى تطور منظم يوصلنا إلى التغيير اللازم بخطوات معروفة ومقدرة من قبل أحسن تقدير.

وأشعر أنى لمست فى هذه النظرة السريعة صميم مشاكلنا فى الحاضر والمستقبل . وأغلب ظنى أن هذه الأفكار التى نتبادل الرأى فيها اليوم فى المجتمعات الهادئة المنتخبة ، سوف يجيء يوم غير بعيد تلقى فيه على بساط المجادلات السياسية والحزبية ، فعسى ألا نفقد عندئذ حكمنا السليم وتفكيرنا الهادى . وإنه ليحسن بنا أن نكون فكرة واضحة فى المسألة التى نحن بصددها اليوم ، حتى يمكننا اتخاذ التدابير اللازمة قبل تضخم هذه المشكلات التى تزداد خطورة وشدة عاما بعد عام ما

مريت بطرس غالى

السخط دليل الحيوية

والحافز إلى مستقبل جديد

بقلم الكاتب الاجتماعى الأستاذ سيد قطب

قال لى أحد الأصدقاء الذين يتابعون ما أكتب هنا فى " مجلة الشؤون الاجتماعية " وفى " مجلة الرسالة " وسواهما : "مالك ساخطا على كل شىء فى مصر؟ أليس فيها ما يعجبك ثم ألا ترى فى هذا السخط الدائم مدعاة للتشاؤم واليأس وفتور الهمم عن الإصلاح ؟ "

ولست أرى رأى الصديق فى السخط الحى الصادق الذى تبعثه الغيرة القلبية والتطلع إلى ما هو خير . فالسخط سخطان : سخط الذليل الفاتر الذى يرمى إلى التحلل من أداء الواجب ومن الجهد لتغيير الواقع ، وهو سخط مؤذ مائع يتظاهر به بعض الناس ليظهروا أنهم أفضل وأرفع من الوسط الذى يعيشون فيه ، ولا غرض لهم من ورائه إلا هـذا التظاهر التافه الرخيص . وسخط الرغبة فى الإصلاح ، والألم مما هو كائن . سخط الوالد على ابنه المفسود يريد صلاحه ونفعه ويأبى أن ييأس منه وينفض يديه ولو لم يأت النصح والسخط بفائدة قريبة .

وأستطيع أن أقول : إن سخطى لم يكن قط من النوع الأول ، وإنما كان دائما من النوع الثانى ، وهو سخط أبعد ما يكون عن روح التشاؤم واليأس ، فالمتشائم اليائس يصمت وتهون لديه السيئات لأنها منتظرة مرقوبة ، وليس فيها ما يثير سخطه ، وليس له من رجاء ما يحفزه لمحاولة الإصلاح .

ونحن أحوج فى طور انتقالنا الحاضر إلى الساخطين المتبرمين بالواقع السيئ الناقص منا إلى الراضين القانعين الذين لا أمل لهم فى المستقبل ولا رغبة لهم فى الكمال .

وإذا لم نسخط على ما هو كائن فى مصر اليوم فمتى يكون السخط ؟ وكل شىء فى حاجة إلى التعديل والإصلاح أو على الأقل إلى الدراسة والتنظيم .

إن السخط على حالة المجتمع المصرى هو الذى خلق «وزارة الشؤون الاجتماعية» لتزيل أسباب سخطه وتحاول اصلاح المجتمع ، وتبنى مستقبلا جديدا للشعب يتفق مع وضعه الجديد .

والسخط على الوضع الحالى للريف هو الذى أنشأ التفكير فى « المراكز الاجتماعية » وكل اتجاه آخر لإنقاذ الفلاح . لا بل إن السخط على الاحتلال والحماية قبل ذلك كله هو الذى أنشأ المعاهدة وجاء بالاستقلال ، وهو الأساس الأول الذى نريد أن نبنى عليه كل إصلاح .

ألا وان الرضا بالواقع فى مثل هذه الأحوال لعنة من لعنات الجمود ومقدمة من مقدمات الموت . فليكن همنا الأول هو السخط والسخط دائما حتى يستقيم المعوج ويكمل الناقص وتعالج الأدواء . ولكن ليكن سخطا مثمرا يكشف عن العلة و يقترح الدواء ، ويلاحظ الممكن وغير الممكن من الإصلاح .

ما الذى نشكوه فى الوضع الحاضر وما الذى يسخط الراغبين فى المستقبل الجديد ؟

لنرجع القهقرى قليلا لنرى أننا عشنا نصف قرن فى الاحتلال لاشأن لنا فى أخص شؤوننا وأن وضع البلاد كله كان متناسبا مع هـذا الاحتلال : فى الاقتصاد والاجتماع والتعليم والأخلاق ، وكل مقومات الشعوب .

ثم لنذكر أننا لم نستقبل هذا الاحتلال أقوياء راسخى التقاليد ، فان خمسمائة عام من الاحتلال التركى كانت تسبق هذا الاحتلال الأخير وبينهما فجوة صغيرة لم يتسع الزمن فيها للاصلاح الكامل العميق الجذور ، لأن خمسة قرون كاملة حطمت كيان المجتمع المصرى واقتصادياته وأخلاقه وروابطه فلم تكن خمسون عاما بكافية لأن تحدث فيه أثرا عميقا ، وهى الفترة القصيرة بين الاحتلالين .

فماذا صنعنا بعد أن نلنا الاستقلال ؟

إننا لم نحاول تغيير هذا الوضع الذى تركنا عليه الاحتلال ، وخلق وضع جديد يناسب الاستقلال ، بل سرنا على سياسة الترقيع فى كل شىء ، فى الاقتصاد والتعليم والسياسة وكل شؤون الحياة . الترقيع فى نظام قديم وضع على أساس معين فلم يعد شىء منه صالحا للأساس الجديد . وكل مساعينا اليوم تنشأ عن هـذا الترقيع ، وعن عدم وضع برنامج ثابت معين فى جميع الاتجاهات كمشروعات السنوات الخمس أو العشر فى الأمم التى واجهت مثل مواجهتنا أو قريبا منه فى تاريخها الحديث .

ولنضرب لذلك بعض الأمثال :

١ — فى خلال الحكم العثمانى الطويل كان الوالى و" السنجق " والمفتش وأتباعهم هم السادة وكان المصريون هم " الفلاحين " وكانت الحكومة للحكام لا للمحكومين . ومن هنا أهملت القرية المصرية وأهمل ريف مصر لأن السادة الحكام لا يقيمون فى وسط " الفلاحين " . ومن هنا كذلك أهملت الأحياء الوطنية فى المدن وعنى بالأحياء الخاصة لأن هؤلاء السادة لاعلاقة لهم " بأولاد البلد " الساكنين فى تلك الأحياء .

وجاء الاستعمار الانجليزى فلم يكن يهمه تغيير هـذا الوضع إلا قليلا ، فأما الريف فظل على عهده مهملا على الرغم من حديث لورد كرومر عن " أصحاب الجلاليب الزرقاء " وعن التعليم الأولى ، لأن عقلية الاستعمار البريطانى عقلية سياسية واقتصادية لا يهمها التدخل فى شؤون الشعوب القومية وأوضاعها الاجتماعية أو الدينية والخلقية ، ولم يكن وضع الريف والمدينة ليؤثر على مصلحتهم فلم يعنوا بتغييره تغييرا جوهريا ، وأما الأحياء الوطنية فى المدن فظلت على عهدها كذلك لأن السادة الأجانب من جميع الأجناس حلوا محل السادة الأتراك وقوى سلطانهم فزادوا رفاهية فى أحيائهم وبقى " أولاد البلد " فى أوكارهم وحجورهم .

وكان هـذا الوضع مفهوما ومنطقيا أيام الحكم العثمانى وأيام الاحتلال الانجليزى على السواء . ولكنه لم يعـد مفهوما ولا منطقيا مع الاستقلال ومع حكومة الشعب ومع الحكم النيابى والدستور والبرلمـان .

فماذا صنعنا لينسجم الموقف الجديد مع الوضع الموجود ؟

لم نضع لنا سـياسة ثابتة تقوم على التعادل بين المدينة والقرية وبين الأحياء الأفرنجية والأحياء الوطنية ، ويظهر أثرها فى وضع الميزانية وفى العقلية الحكومية الديوانية ، وفى علاقة الموظفين بالجمهور ، وفى كل ناحية من نواحى التشريع والتنفيذ .

لم نضع هذه السياسة الثابتة المتناسقة ولكننا أخذنا فى الترقيع : مشروع من هنا ومشروع من هناك ، ثم تعجز الميزانية عن السير والتنفيذ فندعهما على الرف بعد طول التفكير والتحضير وشارع يشق فى حى وطنى ثم يترك فتقوم الأبنية كما يتفق على جانبيه كما حدث فى شارع فاروق مثلا ، وأحياء وطنية جديدة تنشأ ضيقة المسالك مزدحمة المبانى على الطراز الذى شققنا ذلك الشارع لنتقى مضاره . ولا سياسة لنا فى الهدم ولا البناء . . . وهكذا بالبركة وبلا قصد مرسوم .

٢ — وكان الغرض من التعليم فى أيام الاحتلال تخريج الموظفين الصالحين لأعمال الدواوين وخلق طبقة متعلمة ولكنها غير مثقفة ولا متينة الشخصية حتى تكون آلات فقط فى أيدى المسيطرين والرؤساء ، فاصطبغت البرامج ونظم المدارس وعلاقات التلاميذ بالمدرسين وعلاقة هؤلاء بالنظار والمفتشين ، وعلاقة الجميع بالرؤساء بهذه الصبغة التى لا تساعد على ثقافة كاملة ولا تكوين شخصيات مستقلة . ثم كان من مقتضيات السياسة فى بعض عهودها أن تميز هؤلاء الموظفين على الجمهور ، وأن تخلق لهم امتيازات وسلطات تشعرهم بهذا التميز ولم تكن هذه الروح جديدة فقد كانت امتدادا لسلطان الحكام من الأتراك ، ولوضع السادة والعبيد فى القرون الخمسة المظلمة .

وكان هـذا الوضع منطقيا ومفهوما كذلك مع الاحتلال ، ولكنه ليس منطقيا ولا مفهوما مع الاستقلال الذى يجب أن يجعل همه تكوين الشخصيات المستقلة وإنضاج

الثقافات القومية ، والتسوية بين الطبقات ورعاية حقوق الجمهور الذى يؤدى مرتبات الموظفين ؛ والتسوية بين جميع الأفراد فى فرص الحياة والنجاح لأن هـذا أساس الديمقراطية الصحيح ، لا أن يكون التعلم والتوظف والترقى وقفا على القادرين ومن يلوذون بالقادرين .

فماذا صنعنا لتنسجم نظم التعليم والتوظيف مع الوضع الجديد ؟

لم نضع لنا سياسة مرسومة ثابتة لأغراضنا من التعليم عامة ومن كل نوع منه خاصة ، لم نقم بإحصاء لما تتطلبه جميع مرافق البلاد من كل أنواع التعليم ثم نضع طاقة المدارس والكليات على أساس هـذا الإحصاء لمدة عشر سنوات مثلا أو عشرين ؛ بل لم ننتفع بالإحصاء العام للسكان الذى يبين عدد من يشتغلون بالحرف المختلفة ونوع ثقافاتهم فنعلم أن كثيرا من هذه الحرف يشتغل فيها جماعة ممن لم يتثقفوا ثقافة معينة لأنها لا تجد من خريجى المدارس من أعدتهم دراستهم لها ، بينما المئات والألوف يتخرجون فى مدارس لا توجد لها حرف تقابلها فى السوق .

لم نغير أسس النظم المدرسية وأسس العلاقات بين كل طبقة والتى تليها من جماعات وزارة المعارف لتمكين المنشآت الثقافية من تخريج شبان لهم طابع خاص فى ثقافتهم وشخصيتهم واستقلال تفكيرهم غير الطابع الذى كانت تخرجه على عهد الاحتلال .

لم نضع سياسة واضحة للعلاقات بين الموظفين والجمهور يظهر أثرها فى الميزانية العامة وفى المرتبات وسواها من شؤون التوظف ، ولا زال الباب الأول (باب المرتبات) يتزايد ويتضخم فى الميزانية على الرغم من كل مشروعات التخفيض ، والمرافق الحيوية لا تجد المال اللازم كالمراكز الاجتماعية فى الريف ، ولم تتح الفرص للجميع ، فلا يزال الفقراء محرومين من الصحة ومن العلم وهما سلاحان قويان للنضال والنجاح .

لم نضع هذه السياسة الثابتة ولكنا أخذنا فى الترقيع : مشروع لرفع مستوى اللغة العربية واللغة الانجليزية فى المدارس يسير فى اتجاه ، ومشروع النشاط المدرسى فى اتجاه آخر ، ومشروع لتعديل المناهج ومدة الدراسة طورا بالحذف وطورا بالإضافة فى اتجاه ثالث ، ومدرسة ابتدائية هنا ومدرسة ثانوية هناك حسب ضغط السكان . ومشروع لتخفيض الباب الأول وكادر جديد واستثناء من الكادر الجديد ... وهكذا بالبركة وبلا قصد مرسوم !

٣ — وفى أيام الحكم العثمانى وأيام الاحتلال الانجليزى كان المجتمع هو آخر ما يفكر فيه الحكام ، وما لهم وهذا المجتمع والبقرة الحلوب تدر لبنها سواء صلح هذا المجتمع أم فسد ، وسواء تشعث أم التأم ؟

وصحونا فى الفترة الأخيرة على مجتمع منحل مريض مفكك ، كل ناحية من نواحيه تحتاج إلى الإصلاح . اقتصاده مختل لأن متوسط الدخل الفردى يهبط إلى عشرة جنيهات

فى العام ولأن توزيع الثروة بين أفراده لا تدرج فيه ولا انسجام، وأخلاقه منحلة لأن طفرة التقليد قضت على كل مقوماته الصلبة وأعدته بشر التقاليد الغربية التى يشكو منها أهلوها فى هذا الزمان ؛ وتعليمه مقلوب لأن الجامعة فيه تتضخم وتمتد قبل أن يقف التعليم الأولى على قدميه، وكلاهما يجب أن يساير الآخر ويماشيه .

فماذا صنعنا لعلاج هذا المجتمع المريض ؟

أنشأنا وزارة الشؤون الاجتماعية ؛ ثم تركناها سنة بلا ميزانية ولا موظفين أصليين وسنة بلا مال تنفذ به مشروعاتها، والإصلاح الاجتماعى عمل ضخم يحتاج إلى وضع الميزانية على أساس خاص تظهر فيه العناية بالجانب الاجتماعى والمشروعات الشعبية ، ويحتاج الى علاج الأزمة الاقتصادية ووضع سياسة لتدرج الثروات والضرائب والى علاج الجهل وعلاج المرض ومقاومة التبطل ... و ... و ... والدولة كلها هى التى تستطيع لا وزارة الشؤون الاجتماعية وحدها التى لا ميزانية لها ولا اعتمادات تناسب هذه المهمة الضخمة .

* * *

ويطول بنا الحديث لو شئت أن أعدد ظواهر النقص التى تثير السخط فى وضعنا الحاضر . فهى بالإجمال قائمة على عدم اتخاذ سياسة ثابتة وبرنامج معين لفترة من الفترات . فلنقل كلمة فى أسس هذه السياسة التى ينبغى أن تكون .

١ — يجب أن تكون لنا سياسة اقتصادية ذات شعبتين :

الشعبة الأولى للعمل على رفع مستوى الثروة القومية العامة بخلق موارد جديدة وتنمية الموارد الحالية ، فإن عشرة جنيهات فى العام مبلغ حقير يتقاضى ضعفه الكناس فى سويسره فى كل شهر ، ومع هذا فذلك هو المتوسط وكثيرون ينحط دخلهم السنوى الحقيقى إلى ثلاثة جنيهات . وقد كتب الكثيرون فى هذا الموضوع ، ولكن كل كتابة ستذهب عبثا ما لم توضع سياسة ثابتة فى هذا الاتجاه .

والشعبة الثانية للعمل على حسن توزيع الثروة وتدرجها بإجراءات نظامية ، وأسهل هذه الإجراءات تدرج الضرائب بحسب الدخل وتدرج المرتبات فى الوظائف والتقريب بين الحد الأدنى والحد الأعلى فيها ، والتقليل من امتيازات الموظفين بحيث تتقارب مع الامتيازات التى يتمتع بها الجمهور إن كانت للجمهور امتيازات .

٢ — ويجب أن تكون لنا سياسة تعليمية ثابتة لا تتغير بتغير الوزارات، ذات شعبتين كذلك : الشعبة الأولى للعمل على أن تضمن نظم الدراسة والمناهج والنظم الإدارية تكوين ثقافات مستنيرة وشخصيات مستقلة ، ومرانة حقيقية فى كل فرع من الفروع . وهذا يحتاج إلى تغيير العقلية التعليمية لا إلى ترقيعها .

والشعبة الثانية للموازنة بين حاجات المرافق العامة و بين الدراسات المختلفة . والإحصاء هو الذى يعصمنا من الزلل . ولا أريد بهذا أن تكون الثقافة وقفا على العمل الحرفى ، فإن التعمق فى البحث والحياة للعلم وحده وظيفة من وظائف الدولة تنبغى مراعاتها .

٣ — ويجب أن تكون لنا سياسة اجتماعية ثابتة ، ذات أسس خلقية واضحة ، يجب أن نرسم فى أنفسنا صورة المجتمع الذى نريده ، وصورة الأسس التى يقوم عليها ، فنستطيع حينئذ رسم الطرق الموصلة إلى تحقيق تلك الصورة وقيام هذه الأسس .

يجب أن نسأل أنفسنا : ماذا نريد ! أنريد مجتمعا شرقيا مستنيرا ، أم غربيا مقلدا ؟ أنريد أن نجعل الدين أساسا من أسس هذا المجتمع أم التعاليم المدنية وحدها ؟ ماذا نريد من المرأة ؟ أنريدها أما وربة البيت أم نريدها محامية وموظفة ؟ . . . إلى آخر هذه الأسئلة التى ينبغى أن نجيب عليها ثم نرسم سياستنا على أساس هذا الجواب ، ونضع القواعد التى تقوم عليها الأسرة والنظم التى تسير عليها الطفولة ، والوجهة التى يتجه اليها الشباب ، فى البيت والمدرسة والمجتمع .

٤ — ويجب أن تكون لنا سياسة ثابتة فى إصلاح الريف و إصلاح أحياء الفقراء ، سياسة نضع ميزانيتنا على أساسها ، وتشريعاتنا الصحية والبلدية كذلك ، فلا تكون الظروف هى المتحكمة فى مشروعاتنا ولا يكون الريف نافلة نتوجه اليها بعد تحقيق ما نعده ضروريا فى أعمالنا .

٥ — وأخيرا يجب أن نتعلم السخط وأن نعلمه للحكومة وللشعب على السواء . ولكن السخط المثمر الذى تبعثه الرغبة فى الإصلاح ، لا سخط التدلل الذى تبعثه الميوعة والتحلى عن الواجبات .

سيد قطب

مكتبة القرية

إذا نجحنا فى استدراج الريفى إلى النور، وإخراجه من عزلته العقلية، نكون قد صنعنا شيئا كثيرا لإصلاح الريف، وتهيئة الأذهان فيه لقبول هذا الإصلاح، بل حفزها إلى المطالبة به .

وفى الريف بعض القارئين ممن تخلصوا من قيود الأمية ، كما أن فيه بعض الطلبة الذين يبعث بهم إلى المدينة فى أثناء العام المدرسى ثم يعودون إليه فى الصيف فينقطعون عن كل ما يتعلق بالثقافة ويقضون العطلة فى ركود عقلى يكترهم فى الريف المحروم من كل وسائل التسلية والمتاع .

فلو كان فى القرية مكتبة صغيرة لأمكن أن تساعد هؤلاء وهؤلاء على الاتصال بالعالم والخروج من هذه العزلة المكروهة ، والوحشة الدائمة .

وينبغى ألا تبعد المكتبة كثيرا عن الثقافات المنتشرة فى الريف ، وعن العقلية الريفية بوجه عام ، وللريف ثقافة خاصة وعقلية خاصة يعرفهما كل من عاش فيه فترة من الزمان .

ولو وكل إلىّ إعداد هذه المكتبة لاتجه اختيارى أول ما يتجه إلى تزويدها بطائفة من الكتب الدينية المبسطة فى الأحوال الشخصية وفى المعاملات والعبادات والأحاديث النبوية التى تتناول مسائل اجتماعية ، وبعض كتب حديثه للتفسير تتفق فيها آيات خاصة مما يتناول الفضائل الدينية والإنسانية والاجتماعية وتشرح شرحا عصريا قريبا من مستوى الأفهام فى القرية .

ذلك أن كل ما يأتى للقروى من ناحية الدين يتقبله قبولا حسنا ويتلقاه بالثقة والاطمئنان فاذا نحن تركنا بين يديه هذه الكتب الموسومة باسم الدين ، دون توجيه شخصى ، فربما كان أثرها فى التهذيب والإصلاح أجدى وأنفع .

وبجانب هذه الكتب الدينية يقوم الركن الثانى من أركان الثقافة الريفية ، من تلك القصص المعروفة جيدا فى الريف المصرى : قصة عنتر بن شداد ، وقصة كليب والزير سالم ، وقصص أبى زيد الهلالى سلامة ، وسواها .

ولا ينكر الأثر التهذيبى والثقافى لهذه القصص إلا من لا يعرف الريف المصرى ، فهى تؤثر أولا فى الذوق بما فيها من نظم وخيال ، وهى تنمى أخلاق الشجاعة والشهامة والاهتمام بالمثل العليا ، ثم تمدهم فى الوقت ذاته ببعض المعلومات التاريخية والجغرافية عن طريق التسلية . وعلى ذكر التسلية اذكر أنها مطلب يجب أن يكون أساسيا فى الريف ، فالحياة هناك كابية حزينة

وقد انتشرت المخدرات والمكيفات لانعدام وسائل التسلية البريئة فكل وسيلة من هذه الوسائل ذات قيمة خلقية ولو لم تكن وراءها ثقافة ولا معرفة .

ولا زلت أذكر شغفنا ونحن صبيان فى القرية بهذه القصص وشغف الريفيين جميعا حينما كان " الكتبى " المتنقل يحل قريتنا ومعه " جوالق " محشوة بهذه الكتب ، فيجلس فى سوق القرية و يصفها أمامه على الأرض ويبيح لنا الاطلاع عليها نظير مليمات قليلة ، أو يبيعها لبعض الموسرين من الصبيان ، فينطلقون بها فى المجامع والسهرات ، يحيلون وحشتها أنسا بهذا القصص اللذيذ المحبوب .

على أنه يمكن أن نضع بجانب هـذه القصص قصصا أخرى حديثة فى أسلوب قصصى سهل أو فى صورة أزجال ، فهذا النوع من النظم قريب من عقلية الريفيين ولغتهم ، ونضمنها وصفا لأمراضهم الاجتماعية وطريقة إصلاحها ، وندع هذا يفعل فعله فى نفوسهم ويشوقهم للإصلاح و يفتح له نفوسهم .

والكتب التى تتناول المسائل الصحية المبسطة وتبتعد بها عن اللغة العلمية الجافة ، يجب أن تؤلف جانبا مهما من مكتبة القرية ، وكلما كانت فى أسلوب قصصى أو على صورة الحوار أو مصبوغة بالصبغة الدينية كان أثرها أكبر وأنجع ، لأن الريفى لا ينفر من شىء نفوره من النصائح الصحية المجردة ، وطالما قابلها بالسخرية والتهكم أو بالتشكك وعدم التصديق .

والفلاح المصرى ماهر فى المسائل الزراعية ، ولكن فى الدائرة التقليدية ، فقد يبز المتخصصين فى الثقافات الزراعية فى زراعاته المعروفة ولكنه لا يفكر فى التنويع والتجديد . فيجب أن نضع بين يديه كتبا زراعية توجهه إلى وسائل جديدة لاستغلال أرضه وتربية حيوانه ودواجنه : والعرض الاقتصادى لهذه الوسائل أكثر وجوه العرض جاذبية ، فاذا نحن وضعنا بين يديه أرقاما عن محصول الفدان من الزراعة الجديدة وسعر هـذا المحصول بجانب النفقات المنتظرة للانتاج نكون قد سلكنا منتصف الطريق لحفزه على تجربة وسائلنا الجديدة .

ولا يصح أن تخلو المكتبة من جريدة يومية أو جريدتين تصلان القرية بالعالم ، وتنميان فى نفوس الريفيين حب المشاركة العامة ، بل تغرسان روح الوطنية بتوسيع معنى الوطن فى أذهانهم حتى يشمل المملكة كلها بدل القرية أو المديرية .

هذا الى بعض المؤلفات الاجتماعية والتاريخية والأدبية العامة لمن هم فى مستوى ثقافى أرفع ولمن يرغبون فى زيادة ثقافتهم وهم فى الريف من المتعلمين ، حتى لا تكون القرية كهفا منقطعا عن العالم فى بطون التاريخ .

الحفاء في ماضيه وحاضره

لحضرة صاحب العزة محمود حسيب بك

مدير البحيرة

الاحتذاء قديم والحفاء حادث . فقد أجمع الباحثون من علماء التاريخ على أن الاحتذاء وجد منذ العصور الأولى وتطور مع مراحل الزى من ابتداء مرحلة اكتساء الإنسان الى مرحلة التفنن فى الزى (عصر المودة) وهى المرحلة الحالية . ويؤيد قدمه كتاب الله اذ قال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام " فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى " فقيل لأنه فى الوادى الطاهر فهو فى أمان من الجراثيم والحشرات ، وقيل إن النعل كانت من جلد غير مدبوغ أى لم تتم طهارته . وفى ذلك ما يحقق وجود الحذاء فى عصر موسى كما ثبت وجوده فى إبان ذلك العهد عند الأشوريين . كذلك ثبت أن الإنسان فى العصر البرونزى اتخذ قطعا من الجلد مناسبة لشكل القدم يضعها تحت قدمه و يربطها بأياف من الشجر ثم فكر بعد ذلك فى اتخاذ الحذاء من خشب النخيل وأليافه ومن الغاب حتى صنعه من جلد الحيوان وعندئذ بدأ الإنسان فى أن يأخذ الحذاء شكل القدم فأضاف اليه جوانب وجعل لظهر القدم غطاء حتى أصبح كشكل الصندل الذى اتخذه قدماء المصريين ولا يزال بلآن

ولم يبتكر كعب الحذاء إلا فى القرن السادس عشر وكان ذلك فى فرنسا وصنع بأشكال متعددة ومختلفة سمى أحدها بكعب لويس الخامس عشر كما سمى به طراز الأثاث وتغالوا فى ارتفاعه بعد ذلك وخاصة للسيدات حتى وقتنا هذا .

ولهذه المناسبة أذكر أن بعض الباحثين فى هذا الشأن أكدوا الضرر من ارتفاع الكعب لأنه كلما زاد ارتفاعه أمال الجسم إلى الأمام فيضطر صاحبه إلى بذل مجهود كبير لتستقيم قامته ، وهذا المجهود يوازى ثقلا مخصوصا يزداد نسبيا بارتفاع الكعب كالنسبة بين السير العادى والصعود .

فإذا كان الإنسان من قديم العهود قد عمد بفطرته إلى الاحتذاء حماية لقدمه من وعورة الصحر وأذى الحشرات واصطدامها بالحصى والأشواك فأولى به أن يحتذى وهو فى عهد الحضارة والنور وقد عرف حقيقة الجراثيم والأمراض .

ولقد لبس المصريون القدماء الحذاء فى كل العصور وإذا رجعنا إلى نصف قرن مضى نوجدنا أن نسبة الحفاء فى مصر كانت قليلة جدا توازى نسبة الاحتذاء اليوم ، فكان الكل محتذيا أحذية مناسبة لعمله ، وكان للجمال والحراث وغيرهما أحذية خاصة تلائم عملهم وتصح

من الجلد المدبوغ بالملح والقرض وتخاط بنفس الجلد وتصنع فى القرى وكان للرجال والنساء والأولاد أحذية مختلفة الأشكال .

لكن الحال قد تبدلت الآن حتى أصبح الحفاء غالبا . ويرجع ذلك إلى أسباب كثيرة لايتسع المقام لذكرها كلها فا كتفى بأن أذكر منها التطورات الاجتماعية والصناعية وظهور الأحذية الحديثة والجلود ذات الألوان المختلفة التى تغالى المنتجون فى صنعها حتى صنعت من جلد الثعابين ، فتاقت نفس الفقير والفلاح ومتوسط الحال إلى الانتقال طفرة واحدة وإلى اقتناء تلك الأحذية الثمينة التى ليس فى مقدوره شراؤها ولا فى مصلحته استعمالها ؛ فلا هو وفق إلى شرائها ولا هو بقى على حالته مكتفيا بحذائه البسيط ، وكان أولى به أن يتدرج بدل أن يطفر هذه الطفرة . لذلك انتشر الحفاء وأصبح عادة للفقير وراده الكسل استمرارا فيها .

وهى عادة مزرية تدل فى مظهرها على البؤس والفقر وما إخالها فى بلادنا ترجع إلى الفقر ولا إلى طبيعة العمل . فمن جهة الفقر يستطيع أى فرد من أبسط الطبقات أن يقتنى حذاء إذا اقتصد شيئا مما ينفقه على نفسه يوميا فى المكيفات والكماليات التى أصبحت شائعة وصارة به لاسيما إذا كانت تستنزف معظم كسبه . وكثيرا ما نرى وخاصة فى الريف بعض النساء والرجال يلبسون ملابس ثمينة وهم حفاة الأقدام وبعضهم يتأبطه دون أن يلبسه .

وأما من جهة طبيعة العمل فقد ثبت طبيا وعمليا أن الأمر على العكس . فالاحتذاء يمنع الضرر عن القدم من جراء تعرضها للجراثيم والحصى والأحجار ويقيها الحرارة والبرودة ولا يعوق الحذاء صاحبه عن العمل فلا ترق قدمه ولا يقوى على العمل لاستعماله الأحذية التى لا تلائمه .

ولا توجد تلك العادة فى البلاد الأخرى حتى التى تليناف الثروة والمدنية فهى عادة تحدش كرامة الأمة مع ما فيها من ضرر صحى يحتم علينا الاقلاع عنها كما يأمرنا الدين .

ورب قائل يقول إن الفلاح فى حاجة إلى إصلاحات كثيرة من أهمها رفع مستوى معيشته وتحسين تغذيته وإصلاح مسكنه ، وأنا أرى أن الحفاء فى مصاف هذه الحاجيات إن لم يكن فى مقدمتها وربما أدى الاحتذاء إلى الوصول إلى كثير منها لأنه إذا عنى الشخص بنظافة قدميه أصبحت له طبيعة ثانية تحتم عليه العناية بما فى ملابسه وجسمه . ولقد ثبت أنه إذا انقطعت جراثيم الأمراض الناشئة عن الحفاء لأثمرت فى جسم الإنسان أية تغذية لأن تلك الجراثيم تمتص معظم الغذاء .

وفى رأيى أن الوصول إلى هذه الغاية المنشودة وانتزاع هذه العادة الضارة المزرية لا يكونان إلا بتوفير المال وتيسير السبيل إلى الحصول على الأحذية وحض من فى مقدوره الاحتذاء على الاقلاع عن عادة الحفاء .

أما المال فيجب على كل غنى أن يبذل فى هذا السبيل كل ما يمكنه وأن يجود بالمال بنفس طيبة كريمة ، فالبر يبارك المال والعطف على الفقير سبب إلى إصلاح البلاد .

وأما حث المقتدر على الاحتذاء فإنى أرى من اختباراتى الإدارية أن السواد الأعظم من الأهلين وخصوصا الفلاح عنيد بطبعه لا يميل إلى عمل كل ما يؤمر به فلا يفيد معه التشريع وخصوصا فى مثل هذا الإصلاح الاجتماعى . فالقوانين كثيرة ومنها ما يمس صميم مصلحته وثروته وصحته ومع ذلك نراه يخالفها .

وأذكر على سبيل المثال أنى وجدت منشورات لوزارة الداخلية من سنة ١٨٨٠ أى منذ ستين سنة مضت خاصة بالتنبيه إلى النهى عن عادة إلقاء الأحجار على القطارات والنهى عن اطلاق الأعيرة النارية داخل المساكن فى الأفراح و بالرغم من تكرر تلك المنشورات لاتزال هذه العادة موجودة للآن مع مخالفتها للقوانين .

وأرى أنه لا سبيل للتشريع خصوصا قبل أن تهيأ الظروف لتوفير جميع المعدات اللازمة وتيسير الحصول على الأحذية حتى لا يكون لأحد عذر بعد ذلك . قال الله تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" . وليس هذا كل شىء فى الوصول إلى مكافحة الحفاء، فقد يسودنا الاعتقاد بأن المشروعات فى مصر لا تنجح إلا إذا تولتها الحكومة. وهذه فكرة يجب أن تتغير ويجب أن يكون الشعب بنفسه عاملا على الإصلاح الاجتماعى حاضا على التبرع له متوثبا إلى تنفيذه مسارعا إلى تعميمه ،وأن يقوم أفراد الشعب بإجراءات عملية فيوجه ويبذل النصح بشتى الطرق يتضافر كل قادر بماله أو بجاهه أو بقلمه أو بأى وسيلة للمساهمة بمجهود مستمر مخلص.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره" وقال " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا " .

وأرى أن يقوم رجال الإدارة بأكبر مجهود مستطاع فى هذا السبيل فهم محتكون بكل الهيئات وذلك يمكنهم من القيام بهذا العبء ، إذ أرى أن الحاكم الإدارى يجب أن يعتبر نفسه خادما للجميع ،فى عنقه مصلحة كل من وكل بخدمتهم وان يستغل نفوذه ومحبة الأهلين له وتقديرهم لخدمته ووثوقهم بعدله ليعمل على راحتهم وحثهم على ما ينفعهم وان ينصب نفسه مصلحا اجتماعيا ومرشدا إلى وجوه الخير والنفع ومبتكرا لأساليب الارتقاء بالأهلين ومعاونا لهم على تقوية الروابط بين أغنيائهم وفقرائهم حتى يسود التعاون الاجتماعى فيخفف الإنسان آلام أخيه الإنسان . وبذا ينفذ الحاكم مهمته ويؤدى أمانته ،وهكذا يجب أن يكون شعور جميع رجال الإدارة كل فى دائرة عمله وكل بأسلوبه وطريقته وكل جهة حسب ظروفها والمعول فى ذلك على المثابرة والجد وكل مجهود مخلص فى هذا السبيل له فائدته وثمرته ما

محمود حسيب

جولة فى ميادين العلم الحديث

لحضرة الأستاذ أحمد عبد الخالق بك

مراقب مصلحة مصايد الأسماك

لقد امتد النشاط الإنسانى إلى كافة النواحى العلمية والعملية، فمن الذرة ، أدق جزئيات المادة ، إلى الشموس والسدم ، أضخم أجزاء هذا الكون ، ومن دراسة الاحياء على اختلاف أنواعها إلى دراسة الانسان سيد المخلوقات ودراسة عقله وأطوار نفسه .

والإنسان مع ما وصل إليه من سلطان لا يزال منصرفا إلى الاستزادة من معلوماته والكشف عما استغلق عليه من أسرار هذا الكون وخفاياه .

من ذلك شعوره اليوم بأن العالم الذى يعيش فيه مستهدف لنقص فاحش فى كمية الأقوات التى يتغذى عليها بسبب الزيادة المطردة فى عدد إخوانه بنى آدم ، فأكب على درس المشكلة المنتظرة درسا شاملا رأى على أثره أن بين جدران معامل الكيمياء حل هذا اللغز العجيب. هو يعلم أن الغذاء الكامل للانسان السوى لا بد أن يكون مكونا من ثلاثة عناصر ، هى الأغذية الدهنية ، والأغذية الكربوهيدرائية أى النشوية ، والأغذية البروتينية أى الزلالية . فاذا استطاع أن يستنبط بالكيمياء تلك المواد الثلاث فقد تخلص الى الأبد مما يساوره من القلق على نفسه وعلى الأجيال من بعده ، واستطاع عندئذ أن يتناول ثلاث برشامات أو أربعا فى كل وجبة بدلا من هذه الكمية الكبيرة من الخبز واللحم والبقول وبدلا من هذا الغذاء المتعدد الألوان والوقت الضائع فى إعداد الطعام وطهيه — أخذ الإنسان حينئذ يفكر ويقدر ويعمل ولا يمل الى أن استخرج المواد الدهنية من البترول ، والمواد النشوية من خلط الهواء ببعض العناصر الكيمائية التى عولجت بالاشعة فوق البنفسجية ، ولم يبق عليه إذن الا أن يستخرج على مثل هذا النحو المواد الزلالية التى هى عبارة عن الجزء اللحمى من الوجبة وهى التى توجد فى اللحوم والبيض والسمك ونحوها ، والتى يتكون منها أديم الانسان ودمه .

وبعد تجارب عديدة ظن الإنسان على أثرها أن استخراج هذه المواد كيميائيا ضرب من المحال ؛ استطاع رجل المعمل مع المثابرة والجد أن يستخرج من الأحماض الاميلية مادة تحوى العناصر

الزلالية موجودة فى اللحم والبيض والسمك والجبن وهو ما أعلنته أخيرا إدارة جامعة Illinois بالولايات المتحدة وهى أحدث المعاهد التى عكفت على درس مسائل الطعام الصناعى . وأكبر الظن أنه لن يمضى إلا وقت يسير حتى يستطيع هؤلاء الرجال العاملون تحويل هـذا الحمض الأمينى الى مادة جامدة سائغة الطعم تهيأ على شكل برشامة أو قرص أو غير ذلك على النحو الذى تتناول بعض العقاقير . ويستطيع القراء أن يقدروا نتائج هذا اللون من الكشف فى الجيل القادم والأجيال التى تليه .

لم يقتصر تفكير الإنسان المعاصر فى تدبير الأغذية وتوقى المجاعات المقبلة على هذا النحو ، بل فكر فى استنبات بعض النباتات بطرق كيميائية . ذلك أن بعض علماء أوربا وأمريكا شرعوا فى إجراء تجربة لعلها من أهم تجارب هذا الجيل وأعجبها بأن عمدوا الى تجهيز أحواض من الزنك مستطيلة قريبة الغور طول كل منها نحو أربعة أمتار و عرض نحو مترين ترص بعضها فوق البعض على قوائم من الخشب وعلى أبعاد مناسبة فى مكان معرض لأشعة الشمس الحقيقية أو الصناعية .

تملأ هذه الأحواض الى نحو النصف بمحلول كيمائى مركب من الأملاح الضرورية التى تتكون منها طبيعة الأرض الزراعية . ويوضع فوق سطح المحلول إطار من السلك فوقه طبقة من القش المبلول ، و بين طيات هذا القش توضع البذور التى يراد استنباتها ، فلا تمضى بضعة أيام حتى تنبت هـذه البذور وحتى تمتد جذورها الى أسفل ، حيث المحلول ، باحثة عن غذائها بين الأملاح المذابة فيه . وبديهى أنه يمكن تنويع المحلول بحيث يحتوى المواد العضوية التى تناسب النبات المطلوب استنباته .

وبهذه الطريقة استطاع أحد النباتيين الانجليز أن يجنى من شجيرات طماطم مزروعة فى حوض مساحته نحو ثمانية أمتار مربعة ما زنته نحو أربعمائة وخمسين رطلا ، أى بمعدل نحو عشرين رطلا لكل شجيرة مع أن الشجيرة النابتة فى الأرض لا تعطى أكثر من ثمانية أرطال . وكان أول من استنبط هذه الطريقة الدكتور وليم جريك أستاذ علم النبات بجامعة كاليفورنيا ، وكان ذلك عند ما حرم فى سنة ١٩٣٠ من استعمال حقول الجامعة وصوباتها الزجاجية فى غرس النباتات اللازمة لشرح محاضراته بسبب ما كان يفرض على هـذه الحقول من ضرائب ودمغة ضجت منها إدارة الجامعة . فلما ضاق بالأمر ذرعا فكر فى استنبات النباتات اللازمة له بطريقة بعيدة عن الحقـل وبمنجى من أثقال الضريبة والدمغة ، فلجأ إلى هذه التجربة العجيبة التى لم تلبث بعدئذ أن صارت لونا من ألوان الزراعة العملية أطلق عليه لفظ Hydroponics أى الاستنبات المائى ووضعت له الأصول والقواعد الفنية ، وألفت فيه المؤلفات القيمة .

وما دمنا بصدد الغذاء والتغذية فمن الخير أن نعرض لأحدث ما قيل فى الفيتامين وأثره فى صحة الانسان أو عنته فمن المعلوم أن كلمة Vitamins مشتقة من كلمتين هما Vita أى الحياة و Amin أى ما تحتوى على المركبات الأمينية . ومن المعلوم أيضا أن "فونك" أطلق هذا الاسم على المادة المقاومة لمرض الـ Beriberi وهو نوع من مرض الاستسقاء منتشر فى بلاد الهند والبابان وسيلان وغيرها، وأن العلماء استهواهم هذا الاسم فأطلقوه تجاوزا على العوامل الخفية الموجودة فى بعض الأغذية التى تقى الانسان من الاصابة ببعض الأمراض أو التى تعينه على التخلص من بعضها الآخر . وأنهم اكتشفوا حتى الآن ستة أنواع من هذا الفيتامين تعرف بالفيتامينات A,B,C,D,E,G اكتشفت فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٩١٢ — ١٩٢٢ وعرفت خواصها والأمراض التى تجعل الانسان فى حرز منها والأغذية التى تحتويها.

ونحن نجد كل ذلك مفصلا فى الكتب المختصة فليرجع إليها من أراد تجنب هذه الفوضى فى أمراض التغذية ، تلك الفوضى التى تسود أغلب العالم والتى ينفق فيها الإنسان ساعات العمر طال أمده أم قصر . أما الجديد فهو أن رجال الكيمياء استطاعوا حتى الآن أن يحضروا كيميائيا الخمس الأول من هذه الفيتامينات ، وأن التجارب الحديثة دلت على أن كلا من المقدونس والقنبيط والكرنب الغض يحتوى على كمية من الفيتامين (C) المضاد لمرض الاسكربوط تعادل نحو ثلاثة أضعاف الكمية الموجودة منه فى أصناف الموالح والطماطم وهى التى كان يقطع إلى عهد بعيد بأنها أغنى أفراد المملكة النباتية احتواء هذا النوع من الفيتامين .

وبسبيل هذا الذى أسلفت سرد طرفا يسيرا من بحث أجراه الدكتور (Victor Rosine) وقرينته مسز روسين يؤخذ منه أن الناس ، من حيث علاقتهم بالغذاء ، ينقسمون إلى أحد عشر سبطا تنتسب إلى بعض العناصر الكيميائية وهم : سبط الجيرى ، والبوتاسى ، والفصفورى ، والصوديومى ، والكلورى ، والسيكونى ، والأوكسيجينى ، والنتروجينى ، والكربونى ، والهيدروجينى ، والكبريتى ، وأنه ينبغى على كل إنسان أن يدرس نفسه ليعرف الى أى سبط من هذه الأسباط ينتسب ، وأنه متى عرف ذلك وجب عليه أن يتناول الأغذية التى تناسب طبيعته . فعلى الجيرى أن يكثر من الأغذية الغنية بالجير كالتين والسبانخ والخس والخوخ وصفار البيض والخبز الأسمر ، وعلى البوتاسى أن يكثر من الأغذية الغنية بالبوتاس كالعدس والمقدونس ولحم الضأن والجزر ، وعلى الفصفورى أن يكثر من الأغذية الغنية بالفصفور كالسمك والبرتقال وهلم جرا .

ومن الغريب أن هذا البحث لقى فى بلاد العرب آذانا واعية وألفت فيه المؤلفات القيمة. ولهذه المناسبة تحضرنى رواية عن أدموند كين الممثل الانجليزى المشهور ، ذلك أنه

كان يتناول لكل دور يريد تمثيله طعاما خاصا . فكان يأكل لحم الضأن إذا أراد أن يمثل دور العاشق ، ولحم البقر اذا أراد أن يمثل دور القاتل السفاك ، ولحم الخنزير اذا أراد أن يمثل دور المستبد الطاغية .

ولكن لندع جنبا التوسع فى الأبحاث الخاصة بالغذاء والتغذية — وإن كانت من أحب الموضوعات إلى كل نفس ، ولندخل فى ميدان آخر من ميادين النشاط العصرى وليكن ميدان الوقاية من الأمراض .

فلقد خطا العلم الحديث فى هذا الميدان خطى واسعة عديدة يعرفها رجال الطب ويقدرون خطرها . ألم يخترع الدكتور Raymond السويسرى نوعا جديدا من الرئة تصنع من الحديد الخفيف وتعمل بواسطة جهاز كهربائى مثبت فيها عداد لتسجيل ضربات القلب ، ومقبض لدفع المعدة الى أعلى وأسفل على نحو ما تعمل الرئة؟ أو لم يصنع غيره قلبا ومخا من الحديد ؟

ألم يشهد زوار المعرض العالمى الذى أقيم أخيرا فى نيو يورك كتلة من الحديد والكهرباء على هيئة انسان طويل القامة ضخم الهامة يسأل عند الحاجة الى السؤال ويجيب عند الحاجة الى الجواب ، ويمشى ويقف ، ويخاصر ويراقص ، ويفكر ويقدر على نحو ما يفعل الانسان المدرك ؟ لقد جهزوه بشىء يشبه العقل الانسانى من حيث الأداء لا من حيث المادة والبناء . جهزوه بأسلاك وأزرار كهربائية بحيث يستجيب الى التليفون اذا دق ، والى الداعى اذا أراده على أن يؤدى شيئا ، والى المخاصرة والملاكمة وتفريق المتظاهرين . ولا ريب أن القراء متلهفون مثلى الى يوم ينتشر فيه استخدام هذا الانسان الحديدى الذى يسمونه الروبوط فنزيح عن كواهل سيداتنا وعن كواهلنا اثقال الخدم واثقال المخدومين.

ألم يعلن فى الأوساط العلمية منذ سنتين اثنتين أنهم بنوا فى اليابان مايعرف بغواصة الجيب وبالسمكة الطائرة ؟ وأن هذه الغواصة بالرغم من صغر حجمها نجحت نجاحا لايقاس به نجاح الغواصات الكبرى ، ففى إمكانها الهرب بسرعة فائقة بعد إلقاء الطوربيد على فريستها وذلك بسبب صغرها إذ لايتعدى طولها من المقدمة إلى المؤخرة ست أو سبع ياردات .

ألم يتوصل الإنسان بعد أن يئس من كثرة حوادث سرقة السيارات إلى اختراع جهاز دقيق تزود به السيارة فلا يكاد اللص يولج مفتاح الحركة حتى يدور المحرك ولكن ليقف بغتة وتغلق فى الحال أبواب السيارة من تلقاء نفسها و ينطلق صوت مزعج كزمارة الغارات كأنه يستعدى المارة على اللص ؟

وهل أتاكم نبأ ذلك العقار الذى جهز فى معامل May & Baker وأطلق عليه اسم B.I M ٦٩٣ (إشارة إلى اسم مخترعيه وعدد التجارب التى أجريت للوصول اليه) والذى

يقولون إنه يطيل الحياة ، لا لأنه يتغلب على البذور السبحية Streptococci التى يتسبب عنها التدرن الرئوى وكفى ، بل لأنه يستأصل كل الأمراض التى تصيب الأوعية الدموية ؟

وهل أتاكم أيضا نبأ العقار الآخر المعروف بالـ Sulfanilamide وينسبون إليه المعجزات ، وينعتونه بحق بأبى الطب الحديث ؟

للسلفانيلاميد تأثير عجيب فى طائفة من الأمراض الميكروبية كالحمى الشوكية وحمى النفاس والحمرة والتهاب الرئة ، وكلها أمراض معدل الوفيات فيها دائما عال . فهو فى الحمى الشوكية يزيد على التسعين فى المائة ، وفى حمى النفاس يزيد على الثلاثين فى المائة ، وفى الحمرة والتهاب الرئة يزيد على السبعين فى المائة . ولكن هذه المعدلات تنقص كثيرا على أثر استعمال السلفانيلاميد .

وقد وفق العلماء والكيميائيون إلى اكتشاف أقارب وأصهار لهذا السلفانيلاميد مثل العقار M. & B. ٦٩٣ الذى أشير إليه وعقار آخر يعرف بالـ Sulfathiazole يستعمل بنجاح تام فى الالتهابات الرئوية ، ولا يبعد أن يوفقوا يوما إلى عقاقير أخرى أعظم نفعا وأجل خطرا .

وللغدد حديث طلى تقرؤه فى بطون الكتب وتندر به فى كثير من الأحيان كحديث الكظرين Adrenal glands وهما فصان صغيران قائمان فوق الكليتين وزن كل منهما فى الانسان البالغ نحو أربعة جرامات ويستخلص منها الأدرينالين والغدة الدرقية Thyroid glands وهى قائمة على جانبى الحنجرة والقصبة الهوائية ووزنها نحو أوقية ويستخلص منها التيروكسين الغدة النخمية Pituitary gland ، وهى كتلة مستكنة فى منخفض داخل الجمجمة عند قاعدتها ووزنها لا يزيد على نصف جرام ، ويستخلص منها نوع من الهرمون يسميه بعضهم Phyone والبعض الآخر Proland يستعمل فى تنبيه النشاط الجنسى ، وفى معرفة ما اذا كانت المرأة التى تظهر عليها مبادئ أعراض الحمل حاملا أو غير حامل .

ومن غريب ما يقال إنه يوجد فى مياه اليابان نوع من السمك إذا أنت وضعته فى إناء فيه ماء ، ووضعت شيئا يسيرا من بول من يظن أنها حامل فى هذا الماء مدة أربع وعشرين ساعة لرأيت مسلك المبيض فى كل سمكة قد طال إلى عشرة أضعافه إن كانت حاملا والا فهى غير حامل .

وغدة البنكرياس وتعرف بالعقد ويستخرج منها الأنسولين ، والغدة التكفية Thymxs gland وهى جسم رخو قائم فوق القلب تزن عند البلوغ نحو أوقية ثم يضمر شيئا فشيئا حتى لا يبقى منه

إلا أثر ضئيل وتستخرج منها خلاصة تساعد فى سرعة النمو وتبكير النشاط الجنسى، ونستطيع أن نقدر نتائج الكشف عن هذه الخلاصة النكفية و بخاصة فى تربية الماشية والانعام .

ومن هنا نشأت حديثا مادة خصبية من الدراسات الطبية هى دراسة الهرمونات وتأثيرها الفعال فى كثير من الأمراض المستعصية . فكلمة هرمون اليونانية معناها "أثير أو أهيج" وقد أطلقها Starling على ما يستخلص من الأعضاء المفرزة داخليا أى الغدد لتقوم بتنشيط الأعضاء فى تأدية وظائفها الفسيولوجية .

و يبقى أمامنا غدة أخرى من هذه الغدد العجيبة هى الغدة الصنو برية Pineal gland أو الجسم الصنو برى اذا أردنا تعبيرا ادق فهى جسم قائم بين ثنايا الدماغ وتلافيفه ظن ديكارت الفيلسوف الفرنسى أنه مقر الروح فى الانسان وظل العلماء من بعده فى حيرة من أمره الى أن نشر شارل ريشيه فى سنة ١٩٢٧ بحثه النفيس "حاستنا السادسة" الذى برهن فيه بشتى التجارب التى أجراها أمام ملأ من العلماء ، أن للانسان حاسة سادسة تهديه الى معرفة شيء ضئيل من الحقائق الخفية عليه وذلك بواسطة اهتزازات لا تستطيع حواسنا العادية إدراكها ، والى أن نشر Joseph Sinel فى السنة نفسها كتابه القيم " الحاسة السادسة " الذى كتب مقدمته العلامة Macleod Yearsley العضو بكلية الجراحين الملكية و بجمعية الحيوان فى لندن وختمها بقوله "انى أستطيع أن أقطع بأن التجارب التى أوردها المستر سينل فى كتابه هذا قد أجريت بيقظة بالغة، وعلى أسلوب علمى قويم، وهى بهذه "اللطمة البارعة" تقضى قضاء مبرما على مزاعم الروحية والسحر" .

كان العلماء حتى ظهور هذين المؤلفين وما يحتمل من وجود غيرهما ، فى حيرة من أمر الجسم الصنو برى الذين أشرنا إليه ، ولكن أبحاث المستر Sinel ذهبت بهذه الحيرة وفتحت ميدانا جديدا للبحاث والمفكرين سيكون بلا ريب إيذانا ببداءة عهد تحقيق علمى زاهر .

أفضت أبحاث المستر سينل إلى أن الجسم الصنو برى يشاهد فى أدمغة كافة الحيوانات الفقرية مع فرق واحد وهو أنه فى الأنثى الآدمية أكبر منه فى الآدمى ، وأنه فى الطفل أكبر منه فى البالغ ، وأنه فى الحيوانات الدنيا أكبر نسبيا منه فى الرجل . وقد خلص من ذلك ، ومن حقائق أخرى أسهب فى سردها، إلى أن هذا الجسم الصنو برى مقر حاسة سادسة هى حاسة الإنباء بالغيب والايحاء والاتصال بغير واسطة ظاهرة .

وهذا البحث يذكرنا ببحث آخر شبيه به ، قام به المسيو Jules Romains الكاتب الفرنسى المعروف ، وقد أشرف هو وطائفة من العلماء على التجارب التى اجريت فى سبيله ، فتبين له أن طائفة من العنبيات الدقاق توجد تحت البشرة الرقيقة المكونة لاديم الانسان، و يمكنه

أن يستعملها فى تمييز الأشياء ورؤيتها على نحو استعماله العين سواء بسواء . وقد تساءل الذين قاموا بهذه التجارب العجيبة عما إذا كان الوقت قد حان لأن يجد اخواننا الآخرون ممن حرموا نعمة النور عيونا أخرى لا تقل عن تلك حدة ومضاء .

*
* *

هذا طرف يسير من نواحى النشاط العلمى للانسان فى هذا العصر ، وأظن القراء بعد مشوقين الى الاستزادة من أنباء هذا النشاط ، فتمت نشاطه فى معرفة مسائل هذا الكون ، ومعرفة عمره وحجمه ، وأعمار نجومه وأحجامها وأبعادها ومدى إشراقها وحرارتها . وتمت نشاطه فى معرفة الأشعة السينية والكونية وصلة الأخيرة ببداءة هذا الكون ونهايته وما قيل فيها من أنها مصدر الحياة على حد قول Georges Lakhowsky فى كتابه المشهور Le Secret de la Vie وتمت نشاطه فى محاولة تحطيم الذرة للوقوف على ما بداخلها على غرار ما يفعل علماء التشريح فى جسم الإنسان ؛ وتمت نشاطه فى علوم الأحياء والطبيعة والكيمياء ، وما ابتدع من آلات وأعد من أجهزة لارتياد الجو ، والغوص فى أغوار المحيط وغير ذلك جميعا ، مما لن أعرض له ، لأنى لست الآن بسبيله ولأن هذا المقال يضيق دونه ولكنى سأعرض لناحية أخرى من هذا النشاط .

لم يقف المجهود العلمى للانسان فى عهده الحديث عند مسائل الكون والمادة بل تعداها الى مسائل أخرى لا تقل عن تلك أهمية وأثرا ، فقد عالج كلا من علمى الروح والفلسفة فأخرجهما من بين براثن المتأولة والمبتدعة وقربهما الى الأذهان بعد تبسيطهما واستخلاص صريحهما من الرغوة على نحو يحسه كل من تتبع تطور هذين العلمين قديما وحديثا . ولهذا العهد الحديث يرجع الفضل فى تطور علمى الاجتماع والنفس حتى صار كل منهما وبخاصة الأخير علما ذا أثر كبير فى تكوين الأفراد والأمم . ذلك أن علم النفس كان الى عهد قريب فرعا من فروع الفلسفة قل أن تفوز منه برأى قاطع فى تعليل عادات الإنسان وتفسير أسباب هدوئه أو قلقه وصبره أو جزعه . والآن وقد صار علما قائما بذاته ، صرنا نشهد أثره البين فى جميع نواحى الحياة ؛ ونرى العلماء والمفكرين أكبوا على درسه نظريا وتطبيقيا وصنفوا فيه ما لا يحصى من المؤلفات النفيسة . ولم يكتفوا بذلك ، فقد اصطنعوا الأجهزة التى تكشف عن دقائق النفس وقرارات التفكير . من ذلك الجهاز المعروف بجهاز هانز برجر ويسمى Electro-encephalograhp أى المصور الكهربائى للدماغ وهو عبارة عن مقعد وثير يمتد منه قطبين كهربائيان يوضعان بحيث يلامسان فروة رأس الشخص المراد اختباره . ومن هذين القطبين الكهربائيين يمتد سلكان الى سلسلة من مضخمات التيار فتحرك هذا التيار إبرة فى جهاز خاص ترسم أمواجا على شريط منساب .

وفى بدء التجربة يجلس الشخص على المقعد جلسة مريحة ثم يطلب إليه أن يستلقى و يغمض عينيه وألا يشغل عقله بشىء معين ، عندئذ ترسم الإبرة على الشريط موجات من نظم معين، ثم يطلب إليه أن يحل مسألة حسابية مثلا فلا يكاد يشرع حتى يتغير نظم الموجات إلى أخرى أقصر وأسرع تواليا كأن تعبئة الدماغ لقدرته الواعية عند عملية التفكير أثرت فى التيار الصادر منه إلى أن عاد إلى الهدوء فعادت صور الموجات إلى ما كانت عليه . وقد اصطلح هانز برجر على تسمية الموجات فى حالة الهدوء بموجات الفاو، وفى حالة التفكير بموجات بيتا . وقد تبين أخيرا أن هـذه الموجات الكهربائية تنبعث من دماغ الإنسان بلا انقطاع فى النوم واليقظة وفى الهدوء والتفكير وأنها تختلف باختلاف الأشخاص ، وتتأثر بالتفكير ، والانفعال ، والنوم، والتعبيرات الفسيولوجية ، والأمراض العقلية . وقد تبين أن الموجات التى تنبعث من دماغ المرأة أسرع من التى تنبعث من دماغ الرجل ، ولا يعنى هـذا أنهن يفكرن أسرع مما يفكر الرجل أو خيرا من تفكيره إذ لم يكتشف النفسيون بعـد أسباب هـذا الفرق بسبب حداثة البحث والتجارب . ولهذا البحث نواح أخرى لا يتسع هذا البحث لتفصيلها .

وقد أعود الى تناولها فى عدد قريب من أعداد هذه المجلة .

أحمد عبد الخالق

شكوى أديب

كان المرحوم مصطفى باشا العرب رئيسا لقلم الترجمة بالديوان الخديوى فى عهد المغفور له محمد توفيق باشا ، ويظهر أنه كان شديدا على مرءوسيه حتى أن أحدهم ، وهو المرحوم محمد عثمان جلال بك صاحب " العيون اليواقظ " رفع الى الخديو شكوى منظومة من هذا الرئيس يلتمس فيها نقله الى عمل آخر حتى لايشقى بهـذه الرياسة . وهذا مطلع قصيدة الشكوى :

الجوع والفقر والافلاس والجربُ ولا يكون رئيسى مصطفى العربُ

مكافحة الحفاء بين العمال

بقلم صاحب العزة راضى أبوسيف راضى بك

مراقب مصلحة العمل

سبقنى فى الكلام عن موضوع مكافحة الحفاء كثيرون من المفكرين والمهتمين بشؤون الإصلاح الاجتماعى فى البلاد، وقد تناول حضراتهم شرح فوائده الصحية والاجتماعية، وعلى هذا سأقصر كلمتى هذه على ناحية واحدة : وهى الحفاء بين العمال .

فالمشاهد بين عمال الصناعة أن عددا كبيرا منهم متعل. والسبب فى ذلك واضح ملموس وهو أن أجورهم أحسن نسبيا من أجور باقى الطبقات الأخرى الفقيرة . غير أننا بالرغم من هذه الظاهرة لازلنا نرى عددا كبيرا منهم لايزالون يمشون حفاة مع أن طبيعة عملهم تستدعى عناية كاملة بشؤونهم وخاصة من الناحية الصحية .

فطبيعة العمل وظروفه تحتم على كثير من العمال الوقوف والعمل فى أماكن أرضيتها من الأسمنت أو البلاط لمدة ساعات طويلة من النهار .

كما أن كثيرا من المصانع مثل ورش النجارة والحدادة وما إليها تتجمع على أرضيتها مسامير أو شظايا أو أشياء صلبة وغير ذلك من مخلفات الصناعة .

هناك أيضا المحال التى تتخلف على أرضيتها مواد كاوية مثل المدابغ ومعامل الأحماض المعدنية والحاصلات الكيميائية .

فالعمال الذين يعملون فى مثل هذه الظروف لا يصح إغفال أمرهم ولا التغاضى عما قد يصيبهم من خطر إلى أن يحين الوقت الذى يرتفع فيه أجرهم فيستطيعون حيازة النعال و يقبلون على شرائها من تلقاء أنفسهم ، بل يجب أن نعمل على أن نوفر لهم مايلزمهم منها درءا لما يصيبهم من أخطار أثناء العمل .

ونظرة سريعة إلى إحصائيات الإصابات التى تحدث لهؤلاء العمال نتيجة عدم انتعالهم تجعلنا نتفهم أهمية التوجيه الملكى السامى فى هذه الناحية ، إذ أن الإصابات قد بلغت من الكثرة بحيث توجب العمل على حماية العمال منها . فقد ظهر من إحصائيات الإصابات التى

تعدها مصلحة العمل أن عدد الإصابات التى أبلغ عنها وكان سببها الدهس أو الاصطدام بأشياء صلبة قد بلغ فى سنة ١٩٤٠ : ٢٣٥ إصابة من النوع الذى يستغرق علاجه أكثر من عشرين يوما و ٤٣٣٩ إصابة من النوع الذى يستغرق علاجه أقل من عشرين يوما أى أن مجموع الاصابات للسببين المتقدم ذكرهما هو ٤٥٧٤ إصابة فى عام واحد. على أن هذا العدد يدل فقط على الإصابات التى يقضى القانون بالإبلاغ عنها وهى الإصابات التى تستوجب عجز العامل عن العمل أكثر من ثلاثة أيام. أما الإصابات الأخرى التى تقعده عن العمل أقل من ثلاثة أيام، أولا تستدعى انقطاعه عن عمله فليس لدى مصلحة العمل من سبيل للتحقق من عددها و إن كان قد ثبت من تجارب الدول الأخرى إن الاصابات الواجب التبليغ عنها لا تزيد عن عشر عدد الإصابات التى تقع فعلا . فعلى هذا الأساس يمكننا أن نقدر أن عدد الاصابات الكلية التى تحدث بمصر فى عام واحد ويكون سببها الدهس أو الاصطدام بأشياء صلبة لا يقل بحال عن أربعين ألف إصابة. فاذا نظرنا إلى هذه الإصابات من جهة تأثيرها فى الانتاج الصناعى تبين لنا أنها تسبب فقد أيام عمل لا تقل عن أربعين ألف يوم باعتبار أن الإصابة فى المتوسط تستوجب انقطاع العامل يوما واحدا فقط .

وإذا عرفنا أن عدد الإصابات الناشئة عن جميع الآلات الصناعية أو آلات الإدارة بالقطر أجمعه لم يزد خلال عام ١٩٤٠ بأكمله على ٩٦٦ إصابة يقابلها ٤٥٧٤ إصابة يساهم الحفاء فى إحداثها الى حد كبير ، إذن لرأينا أن مقاومة الحفاء بين العمال لا تقل فى أهميتها عن الاشتراطات والاحتياطات المختلفة التى تضعها الجهات الحكومية للآلات والتى كانت سببا فى اهبوط بعدد الاصابات الى هذا الرقم الضئيل نسبيا .

لذلك كان من الطبيعى ، أن يتجه نظر القائمين بتنفيذ مشروع مكافحة الحفاء إلى حماية العمال من أخطار الحفاء، وعلى هذا فقد اقترحت اللجنة إصدار قرار وزارى يستند إلى القانون رقم ١٣ لسنة ١٩٠٤ الخاص برخص المحال الخطرة والمقلقة للراحة والضارة بالصحة يحتم على العمال الاستعال أثناء مزاولتهم عملهم فى المحال التى اشترط عند الترخيص بها أن تكون أرضيتها من البلاط أو الأسمنت أو ماشابه ذلك أو فى المحال التى تخلف على أرضيتها عادة مواد تضر القدمين سواء أكانت صلبة أم كاوية .

ولقد يوجه إلى هذا الإجراء بعض النقد لأنه منصب على انتعال العمال أثناء العمل فقط دون أن يهتم بهم بعد انصرافهم عن هذا العمل. ولست أجهل وجاهة هذا الاعتراض ولكن اليسر الذى أوحده المشروع فى إيجاد نعال بأثمان معتدلة بل رخيصة وما نعقده من أمل فى مساعدة أرباب الأعمال لعمالهم على شراء هذه الأحذية يسمحان لنا بأن نرجو أن تشمل نتيجة المشروع حماية العمال خارج المصنع كما تشمله فى داخله .

و بودى أن أنتهز هذه الفرصة فأتوجه إلى أرباب الاعمال وأصحاب المصانع برجاء التعاون مع الحكومة والشعب فى هذا العمل الانسانى حتى نستطيع إحاطة العامل بسياج من الضمان والأمان أثناء عمله فنحفظه سليما لنفسه ولأولاده ولعائلته ولصناعته التى يعتبر ركنا هاما من أركانها .

إن كثيرا من الدول التى سبقتنا فى الترفيه عن عمالها تحتم عليهم ارتداء ملابس واقية تتناسب وطبيعة العمل . ففى المصانع التى يشتغل فيها نساء نجدها تشترط لبس غطاء للرأس يقيهن خطر التفاف الشعر المتدلى على الأجزاء المتحركة من الآلات ، كما أنها تحتم وقاية العينين من خطر الشرر والشظايا المتطايرة أوالضوء الوهاج . وتلك الدول تشترط تزويد العمال فى بعض الصناعات بأجهزة واقية للجهاز التنفسى وتحتم توفير كل الضمانات التى تقى العامل من شر أخطار الصناعة وتحيطه كما أسلفنا بسياج من الأمان .

إنى ما رغبت التحدث عن المظهر ولا عن ضرورة انتعال العمال لرفع مستواهم الأدبى لأن هذا سيأتى بدوره متى ارتفع أجرهم وارتقى مستوى معيشتهم ، لذلك قصرت كلمتى على حفظ صحة العامل ووقايته من الأخطار التى تنتابه من جراء الحفاء ، وأكرر الرجاء فى أن يسود أصحاب الأعمال والعمال تعاون صادق فى العمل على تلبية التوجيه الملكى السامى بما يحفظ لعمالنا — وهم عماد الانتاج — صحتهم واطمئنانهم وثقتهم بالمستقبل إن شاء الله .

راضى أبو سيف راضى

أيهما أذكى ؟

سأل والد ابنه قال :

" أتذكر اليوم الذى صلينا فيه الجمعة بمسجد الحسين آخر مرة ؟ " .

ففكر الابن طويلا وقال : " والله لست أذكر ذلك تماما ولكنى يغلب على ظنى أنه كان يوم الأربعاء " ! !

مستوى حياة الفلاح

والوسائل العمليـــة لرفعه

بقلم الدكتور أحمد حسين
مدير إدارة الإصلاح بوزارة الشؤون الاجتماعية

يتحدد مستوى معيشة الفرد بمقدار ما يستطيع أن يسد من حاجاته ويشبع من رغباته، ويتحدد مستوى معيشة الشعب بمقـدار ما يستطيع السواد الأعظم منـه أن يسد من تلك الحاجات . ويختلف تحديد تلك الحاجات باختلاف الأشخاص وتفاوت مطالبهم، كما يختلف باختلاف الشعوب وما وصلت إليـه من تقـدم . فبينا يرى شخص ثرى أن ماء فيشى أو كارلسباد من الضروريات التى لا يستطيع الاستغناء عنها لإراحة الأمعاء أو للتخلص من الشحم ويسافر لذلك سنويا الى الخارج، نجد الكثير من الفلاحين لا يعتبرون توافر ماء الشرب الصالح ضروريا ما دام ماء النيـل والترع موجودا . وبينما نجد الشخص العـادى فى الولايات المتحدة يرى فى اقتنائه لسيارته الخاصة ضرورة من الضرورات نجد الكثير من عمالنا أو فلاحينا النازلين إلى العواصم يترددون كثيرا فى استعمال الترام فى انتقالهم باعتبار أن ذلك قد يكون ترفا أو تبذيرا .

وقد سمعت مرة أحد فقراء الفلاحين يصف وليمة فخمة شاهدها أو سمع عنها وهو مذهول من كثرة ألوان الطعام وفخامتها واجتماعها كلها على مائدة واحدة، وبدأ يسمى الألوان وهو يخشى ألا يصدقه سامعوه ، فذكر الشوربة والدجاج واللحم والمحشو والديك ثم سكت برهة وهز رأسه وقال " تصوروا بعد ذلك كله "ن ـيه وكان لازم يحلوا " .

على أنه مهما تكن درجات التفاوت فى تقدير احتياجات مختلف الأفراد والشعوب فهناك حد أدنى للضروريات التى لا يستغنى عنها إنسان والتى يجب على كل أمة أن تعمل على توفيرها لكل فرد فيها . وكل نزول عن هـذا الحد الأدنى لمطالب الفرد هو حرمان له من أبسط حقوقه كآدمى وهو فى الوقت نفسه هبوط فى مستوى حياة الشعب .

هذا الحد الأدنى هو أن يتوافر الغذاء الكافى ، كمية ونوعا ، والكساء الواقى والسكن الصحى الملائم وطرق الوقاية والعلاج من الأمراض وحظ من التعليم والتهذيب والترويح .

والآن فلنسأل أنفسنا : هل هذا الحد الأدنى فى مطالب الحياة متوافر للفلاحين المصريين؟

الجواب مع الأسف لا يمكن أن يكون إلا سلبيا ؟

ولنحدد أولا من هم أولئك الفلاحون الذين نعنيهم بالحديث .

إن كلمة فلاح كلمة شاملة تجمع ثلاث طبقات مختلفة، لكل منها ظروفها الخاصة ومطالبها، وهى طبقة ملاك الأراضى ، ثم طبقة المستأجرين الذين يفلحون أرض الغير ، ثم طبقة العمال الزارعين الذين يعيشون بالأجر وحده ولا نصيب لهم مما يزرعون أو ينتجون .

فأما كبار الملاك فلهم من بسطة أرزاقهم ما يكفل لحياتهم مستوى محترما ويضمن لهم أكثر من كفايتهم طعاما ولباسا وسكنا وارضاء لمختلف المطالب من ضرورية وكمالية .

إذن فليس هؤلاء ممن نعنيهم بحديثنا، وهم على كل حال قلة ضئيلة . وإنما نعنى صغار الفلاحين وفى مقدمتهم هذا العدد العظيم من العمال الزراعيين وهم أسوأ المصريين حالا لأن متوسط أجر الواحد منهم لا يصل الى ثلاثة قروش فى اليوم كما أنهم فى المتوسط لا يعملون أكثر من نصف أيام السنة . أى أن دخل الواحد منهم لا يتجاوز خمسة جنيهات سنويا . وهذا مبلغ لا يمكن أن يفى بأتفه المطالب اللازمة له هو ومن يعول من أفراد أسرته الذين لا يقدرون على العمل . وبجانب هؤلاء صغار المستأجرين ، وبخاصة فى المناطق المزدحمة بالسكان حيث ترتفع الإيجارات ، وليست هذه الطبقة بأسعد حالا من طبقة العمال ، إذ المتصلون بحياة الريف يعلمون أن أولئك المستأجرين الصغار قل أن يقدروا حتى على أداء حقوق الملاك قبلهم فضلا عن أن يفيض فى أيديهم ما يكفل مطالب حياتهم . ودفاتر حساب المستأجرين فى مختلف العزب والتفاتيش خير شاهد على غرقهم فى الديون .

وبجانب هؤلاء طبقة ثالثة تعد بين ملاك الأراضى وليست من هذا الوصف فى شىء .

إن ثلاثة أرباع ملاك الأراضى أى $1 \frac{3}{4}$ مليون تقريبا يبلغ مجموع ما يملكونه نحو ٧٠٠ ألف فدان . بمتوسط أقل من عشرة قراريط لكل منهم . وأكثرهم يملك دون هذا القدر . وهذه المساحات الضئيلة التى يضيع معظمها فى طرق المرور والرى والصرف والحدود والتى ربما كانت موزعة على عدة قطع لا يمكن استغلالها اقتصاديا ولا بد لملاكها من أن يعتمدوا فى معاشهم على ما يؤجرونه من مساحات أخرى . وأولئك لا يمتازون بكثير عن سابقيهم .

هذه الطبقات المختلفة من صغار الفلاحين تعيش فى مستوى بينه وبين الحد الأدنى لمطالب الفرد الضرورية مدى بعيد : تغذية ناقصة كما ونوعا وكساء لا يقى من برد ولا حر ، وسكن لا تتوافر فيه السعة ولا النظافة ولا غيرهما مما تقضى به التعاليم الصحية ، وفلاحنا بعد هذا مصاب بمجموعة من الأمراض الهدامة لا يملك منها وقاية ولا علاجا . وحسبنا أن نذكر ما يقدره بعض كبار أطبائنا من أن تسعين فى المائة من فلاحينا مصابون بالبلهارسيا ، وأن فى جسم كل فلاح ثلاثة أمراض على الأقل فى المتوسط .

وهذا الفلاح ، فوق ما تقدم ، محروم من التعليم والتثقيف ومن أبسط وسائل التسلية والترفيه التي تجلو بعض الكآبة المخيمة على حياة القرية المصرية .

فاذا عرفنا أن عدد كبار الملاك فى الريف ضئيل بل غاية فى الضآلة وأن سكان الريف يزيدون على ١٢ مليونا من الأنفس أدركنا أن عدد المحرومين من أبسط مطالب الحياة يبلغ نحو ثلاثة أرباع الشعب المصرى أى سواده الأعظم الذى يحدد مستوى معيشته و بهذا لامفر من الاعتراف بأن مستوى حياة الشعب المصرى هو دون الحد الأدنى الذى ذكرناه ، ولا يغير من هذه الحقيقة ما نرى من مظاهر النعمة والثراء التى تبدو فى الأحياء الغنية فى المدن والتى إن بهرت عيون السواحين وغيرهم فلا ينبغى أن تخدعنا نحن عن الواقع المؤلم .

هذه الحالة السيئة التى نحاول علاجها ليس الذنب فيها على عهد بعينه وانما هى وليدة عوامل وظروف كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ظلت تتطور وتترك أثرها على مر الأجيال ، وشجعها إهمال القائمين بالأمر فى مختلف العهود . فصارت المشكلة مزمنة كثيرة العقد وأصبح علاجها يقتضى كثيرا من الدرس ومن الجهد ، و إنه لمن الإسراف فى التفاؤل أن نتوقع إصلاح ما أفسدته الأجيال فى يوم وليلة أو بين سنة وأخرى .

على أننا إذا وصلنا من دراساتنا وتجاربنا إلى وضع البرنامج للإصلاح العملى السديد وأخذنا فى تنفيذه دون تسويف ولا تردد ولا بخل بجهد أو مال كان لنا أن نطمئن إلى أننا قطعنا أول وأشق مراحل الطريق وأننا واصلون بإذن الله إلى ما نريد .

وقد انتهى الباحثون إلى حصر علل الفلاح فى ثلاثة أمور : الفقر والجهل والمرض . وكل من هذه العلل الثلاث مرتبط بالآخر يتأثر به و يؤثر فيه ، فالفقر يعجز صاحبه عن أن يتعلم أو يتغذى أو يتداوى ، والمرض يضعف صاحبه عن العمل والكسب ، وهكذا .

لذلك كان من المقطوع به أن الحل الذى يتناول إحدى النواحى دون الأخرى لا يمكن أن يؤدى إلى الغرض ، ولا مناص من تناول جميع الأدواء فى وقت واحد .

و إنى أعتقد أن وزارة الشؤون الاجتماعية التى وجدت لخدمة الفلاح والعامل قبل كل شىء قد اهتدت إلى ذلك البرنامج العملى السديد الذى نريده حين اتجهت بها دراستها إلى مشروع المراكز الاجتماعية الذى دخل فى دور التنفيذ فعلا .

ولقد قام هذا المشروع على الأسس الآتية :

أولا — أن يخدم الفلاح فى مختلف النواحى الاقتصادية والصحية والاجتماعية فى وقت واحد .

ثانيا — أن يقتنع الفلاح نفسه بمزايا الإصلاح وضرورته حتى يقبل عليه و يساهم فيه و يستفيد منه فائدة صحيحة .

ثالثا — أن يكون عملها بسيطا قليل التكاليف حتى يتيسر تعميمه.

ويخدم كل مركز اجتماعى عشرة آلاف نفس يقيمون فى قرية واحدة أوفى قرى متجاورة.

ويتولى العمل فيه اخصائى زراعى اجتماعى من خريجى كلية الزراعة الذين تلقوا منهجا دراسيا خاصا فى الخدمة الاجتماعية الريفية، وطبيب يعمل طول الوقت ويعالج الفلاحين دون أن يتقاضى منهم أجر العلاج ولا ثمن الدواء ، وزائرة صحية اجتماعية من خريجات مستشفى قصر العينى تعنى بالحوامل والوالدات والأطفال وتقوم على ارشاد نساء القرية وخدمتهن صحيا واجتماعيا .

ويقيم هؤلاء الثلاثة فى القرية ويندمجون فى أهلها.

ويتناول نشاط المركز الاجتماعى العمل على زيادة دخل الفلاحين بإرشادهم إلى أحدث أساليب الزراعة وإقناعهم باتباعها وتشجيع وتهذيب الصناعات الزراعية التى تمكنهم من استغلال منتجات حقولهم على أحسن وجه . وتلقين القرويين والقرويات بعض الصناعات المنزلية الملائمة للبيئة ، وبهذا تتيسر لهم الاستفادة من أوقات فراغهم استفادة مثمرة .

ولأضرب للقارئ أمثلة مما أمكن تحقيقه فى تجربة الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية لإصلاح القرية فى ميدان الصناعات الزراعية والمنزلية :

أولا — يشتغل بعض أهالى قرية المنايل بتربية النحل فى الخلايا البلدية ويستخرجون العسل بالطرق العتيقة البعيدة عن النظافة . ولقد أمكن — بمعاونة مرشد فنى من وزارة الزراعة وبعض المصافى — تهذيب صناعة العسل واستخراجه نظيفا، فبيع الرطل منه بعشرين وخمسة وعشرين مليما بغير تكاليف وذلك بعد أن كان ثمنه لايزيد على خمسة عشر مليما .

ثانيا — أمكن ادخال صناعة تربية دودة القز لاستخراج خيوط الجراحة وتدر الملبة من بيض الدود على الأسرة ربحا يتراوح بين ستة وثمانية جنيهات فى مدى شهرين دون أن تتكبد نفقات ودون أن تبذل جهدا سوى جمع بعض أوراق التوت وتنظيف الحوامل الخشبية.

ثالثا — أمكن — بمعاونة مُدَرِّسَة من وزارة التجارة والصناعة تعليم بعض فتيات القرية أشغال الإبرة البسيطة والصوف لصنع الطواقى والشيلان وغير ذلك . ويقدر ما تستطيع الفتاة المجدة أن تكسبه بنحو خمسة قروش فى اليوم .

هذه الأعمال وما يشابهها هى ما نستعنى المراكز الاجتماعية بتلقينه للفلاح وتدريبه عليه، خصوصا أن الفلاح ليس مشغولا هو وأسرته طول الوقت وليست لديهم الخبرة ولا التوجيه لاستغلال وقت الفراغ .

كذلك ستعنى المراكز الاجتماعية بتشجيع التعاون لخدمة الفلاحين فى توريد لوازمهم وفى الحصول على القروض التى يحتاجون اليها لنفقات زراعتهم ثم فى تصريف حاصلاتهم بأسعار حسنة وشروط عادلة .

وستبذل هذه المراكز اهتماما خاصا بماشية الفلاح سواء لترقية نوعها أو العناية بها أو تشجيع تربيتها كوسيلة لتحسين تغذية الفلاحين وزيادة دخلهم عن طريق وفرة نتاجها ومعادها .

أما من الناحية الصحية فستهتم المراكز بإيجاد البيئة الصحية فى القرية وإرشاد الفلاحين وتزويدهم بما يعينهم على توقى الأمراض وذلك بدق الطلمبات لإخراج الماء الصالح للشرب وبحثهم ومساعدتهم على إقامة المراحيض الرخيصة وعلى ردم البرك وتنظيف شوارع القرية ومنازلها وأجسام سكانها .

وسيفحص طبيب المركز الاجتماعى كل شخص فى القرية سواء من يشكو مرضا أو من لا يشكو، وسيتولى معالجة كل حالة تبدو له حتى ولو لم تكن قد استفحلت بعد لأن المعروف عن فلاحينا أنهم لا يقصدون الطبيب إلا حين يتفاقم الداء . وستكون نتائج هذا الفحص الشامل خير معوان للوصول إلى الإحصاءات الصحيحة عن درجة تفشى الأمراض فى القرى .

وسيكون للحوامل والوالدات والأطفال أوفر نصيب من عناية المركز الاجتماعى .

أما من الناحية الثقافية والاجتماعية فسيتناول نشاط المركز خدمة هذه الناحية فى شتى الاتجاهات كعمل دراسات تثقيفية ليلية للكبار وتشكيل لجان محلية لتنظيم الإحسان وتوجيه الزكاة توجيها يكفل انتفاع المستحقين وحدهم بها وتكوين هيئات للصالحات وفض الخلافات وتوفير وسائل التهذيب والتسلية البريئة كالراديو والمحاضرات والاجتماعات وإيجاد نشاط رياضى ريفى .

وكذلك سيعمل المركز على تجميل القرية بتنظيف الطرق وتعبيدها وإنارتها وغرس الأشجار على جوانبها وتلافى أسباب الحرائق وغير ذلك .

هكذا يرى القارئ أن مشروع المراكز الاجتماعية يحيط بكل مشاكل القرية وأدوائها فى وقت واحد وأنه هو الصورة الملموسة لتعاون الحكومة والشعب على الإصلاح . ولا شك أن المضى فى المشروع سيعوّد الأهالى تدريجيا على الاشتراك فى أعمال الإصلاح فلا يكون عبئه ملقى على الحكومة وحدها فيتجاوز طاقتها ولا ينتج كل ما نطلبه من ثمرات .

وإنى لمطمئن إلى أن الشعب سيستسيغ هذا المشروع لأنه أول مشروع اقتنع الفلاحون بأنه عملى مفيد وهذا ما لمسناه فى زياراتنا للقرى . فلقد جاوز اهتمامهم بالمشروع حد الاقتناع والتبرع بالأراضى أو الطوب إلى التحمس الذى حملهم على أن يقيموا المبانى كاملة على نفقاتهم يساهم كل منهم فيها بقدر طاقته وثرائه . ولا يتأخر أفقر فقير منهم عن التبرع ولو بأتفه مبلغ أو بالعمل يساعديه .

ولقد زاد عدد القرى التى تطلب إنشاء مراكز اجتماعية وتتبرع بإقامة مبانيها على العدد الذى تسمح ميزانية الوزارة بإنشائه . وهذه بادرة سعيدة تبشر بخير كثير .

و إنى أنقل فى هذه المناسبة كلمة أحد أعيان الريف لوزير الشؤون الاجتماعية عند زيارته لقرية برما فى مركز طنطا وهى التى تقرر إنشاء مركز اجتماعى فيها :

قال حضرته "سيكون موظفو المراكز الاجتماعية أول رسل إصلاح وجهتهم الحكومة إلى صميم الريف للمس أدوائه محليا ، وسيكونون عيونها اليقظة التى تكشف لها كل ما يحتاج إليه الريف من خدمة أو عمل ، وستكون بحوثهم وتجاربهم خير معين لوزارة الشؤون الاجتماعية على رسم خطط الإصلاح "

* * *

وبعد فإن مشروع المراكز الاجتماعية و إن كان يتناول مختلف مشاكل الفلاح فى قريته و يعمل على معالجتها ، فهناك من المسائل ما لا يمكن حله فى نطاق القرية ، وهى المسائل المرتبطة بالدخل العام وتوزيعه وسياسة الدولة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه أيضا متعددة ومتشعبة النواحى وتحتاج فى تناولها إلى بحث دقيق ومراعاة لمختلف الاعتبارات ، فاننا إذا اتجهنا إلى ناحية واحدة نكون معرضين لخلل فى ناحية أخرى يزيد على مقدار ما أصبنا من نجاح .

وعندى أن أس البلاء هو الفقر العام . فقد قدرت لجنة المالية فى مجلس النواب فى العام الماضى أن متوسط دخل الفرد فى مصر لا يتجاوز تسعة جنيهات . فاذا راعينا التفاوت البعيد فى توزيع هذا الدخل تبين لنا أن دخل السواد الأعظم من المصريين هو دون ذلك بكثير .

أما عن الفلاحين بوجه خاص فقد قلنا أن أكثر من ١٢ مليونا من السكان يعيشون من الزراعة أى من نتاج خمسة ملايين فدانا وثلث مليون ، فلو فرضنا أن هذه الأرض موزعة بينهم بالتساوى لخص كلا منهم نتاج نحو عشرة قراريط وهو ما لا يمكن أن يتجاوز — مع التساهل — أربعة أو خمسة جنيهات تدخل فيها الأجور . هذا إذا كانت الأرض موزعة بينهم بالتساوى ومملوكة لهم فعلا بالفعل وهى موزعة توزيعا شاذا ، إذ يملك نصفها تقريبا نحو ١٣٠٠٠ شخص و يملك النصف الثانى نحو مليونين والباقون لا يملكون شيئا ؟

وهذا الدخل لا يمكن أن يفى كما أسلفنا بأزم ضرورات المعيشة .

ونعتقد أن علاج هذا الفقر العام لا بد أن يعالج بالتبعية أغلب ما بقى من علل الفلاح ، إذ الفلاح الميسور يتناول من الغذاء ما قد يزيد على حاجة جسمه و يضع على بدنه عددا من الجلاليب فوق ما يلزم كما أنه لا يتأخر فى إقامة منزل فسيح صحى أو إرسال أولاده إلى المدارس

أو استدعاء الطبيب عند الحاجة ولا يتخلى عن واجبه كمواطن مخلص فيساهم بماله فى الأعمال العامة كإقامة مسجد أو مدرسة أو غير ذلك .

ونأسف لقلة عدد هؤلاء الميسورين بجانب الملايين من الفقراء .

وهذا الفقر العام ناشئ فى الواقع عن استمرار الزيادة فى عدد السكان بما يعادل عشرة فى المائة كل عشر سنوات مع بقاء مساحة الأرض المنزرعة ثابتة تقريبا . وقد أدت زيادة عدد الفلاحين على حاجة الأرض الى اختلال ميزان العرض والطلب فانخفضت الأجور وارتفعت الإيجارات وأثمان الأراضى وهبط سعر الفلاح فى السوق وصار مجبرا على أن يقبل أى عرض وأى أجر مادام محتاجا الى القوت وما دام لا مهنة له غير الزراعة ولا باب ينفتح أمامه فى ميدان آخر لو أراد التحول عن الزراعة الى سواها .

ولقد رأيت بعينى فلاحين يشتغلون من مطلع الشمس الى الظهيرة فى عزق الأرض وكل جرهم هو وجبة الغذاء المتواضعة المعروفة .

وأبلغ من هذا فى بؤس فلاحنا أن أجرة العامل الزراعى ثلاثة قروش فى اليوم وأجرة الحمار الذى يحمل السباخ وغيره خمسة قروش فهل أبعث على الأسى من أن تكون قيمة الآدمى دون قيمة الحمار؟

والآن ما الوسائل لتحقيق غرضنا وهو رفع مستوى حياة الفلاح ؟

لا يمكن أن يتم ذلك الا بزيادة الدخل القومى حتى يزيد نصيب كل فرد بحيث يؤدى له مطالب الحياة الضرورية . وهذا ما يجب أن يكون الشغل الشاغل لكل حكومة وكل مصلح .

وفى رأيى أن مجال العمل لهذه الغاية فسيح فعلينا أن نعمل على استثمار مواردنا الطبيعية الى أقصى حد ممكن واستغلال مالدى أفراد الشعب من قدرة على العمل والإنتاج فائضة غير مستغلة الآن . ويقتضى ذلك وضع سياسة انشائية جريئة قائمة على دراسة عملية وفنية .

يجب أن نستصلح كل فدان قابل للزراعة ولا نضن على أعمال الاستصلاح ومشروعاته بالمال حتى نستطيع أن نزيد المساحة المزروعة نحو مليون فدان ونصف أى أكثر من الربع وهنا تتاح لنا الفرصة لخلق ملكيات جديدة صغيرة ومتوسطة ولتنظيم توزيع السكان بتعمير تلك الأراضى بأهالى المديريات المزدحمة والفائضين عن حاجة أراضيها .

وعلينا أن نستفيد من تقدم العلم والفن الزراعى لإنتاج أوفر ما يمكن الحصول عليه من كل فدان وعلينا إعادة النظر فى سياستنا الزراعية لاختيار أكثر المحاصيل ايرادا وأحوجها الى العدد الكبير من الأيدى العاملة .

وإنى أطرح الأسئلة الآتية :

(١) هل يجوز لبلاد كمصر أن تتوسع فى زراعة القمح تمشيا مع سياسة الاكتفاء الذاتى كما هى الحال الآن مع العلم بأننا ما زلنا معتمدين الاعتماد كله فى تجارتنا الخارجية على ثمن

ما ننتجه من القطن ؟ وهل يجوز لنا ونحن البلد الفقير المكتظ بالسكان الخصب التربة أن نزاحم بلدا كأستراليا أو كندا فى انتاج هذا القمح مع أن العائلة فى كل منهما قد تزرع أكثر من مائتى فدان قمحا رخيص التكاليف ؟

وهل يجوز لنا أن نكلف المستهلك الفقير الذى يتكون معظم غذائه من الخبز ان يدفع فى القمح المصرى ضعف ثمن القمح الأسترالى نتيجة حمايتنا الجمركية لذلك المحصول ؟

أليس من الممكن فى الظروف الطبيعية الاستعاضة عن بعض محصول القمح بمحصول آخر أحسن غلة وأكثر احتياجا الى الأيدى العاملة فيكسب الزراع ويخف عبء تلك الحماية الجمركية عن الفقراء ؟

الا يمكننا مثلا أن نقتدى بكالفورنيا ونتحول الى بستان لأوربا يزودها بما تحتاج اليه من خضر وفاكهة خصوصا فى فصل الشتاء .

وهلا يمكننا اذا اعتنينا بتحسين أنواع هذه الخضر والفواكه وتوحيدها وإقامة الصناعات المرتبطة بها واقتنينا بعض البواخر ذات الثلاجات للنقل أن نزاحم إيطاليا وأسبانيا خصوصا ومحاصيلنا مبكرة عنها ، أو كاليفورنيا ونحن أقرب الى أوربا منها ؟

تلك الأسئلة هى أمثال نضربها لما يمكن أن ندرسه أو نبحثه من أبواب العمل التى تزيد مواردنا الزراعية .

يبقى واجبنا فى استغلال مواردنا الطبيعية الأخرى كالمناجم والقوى الطبيعية وثروة البحار والأنهار ، وهذه الميادين كلها تكاد تكون بكرا لم تمس بعد بما هى أهله من العناية .

ولا مندوحة لنا بعد ذلك من أن نسعى الى زيادة مواردنا وفتح أبواب العمل أمام الأهلين الذين يتزايد عددهم عاما بعد عام . وذلك بوضع سياسة للتوسع الصناعى نراعى فيها الناحية الاجتماعية . ونحن اذا كنا نغتبط ببوادر نهضتنا الصناعية ونرى فيها خير سبيل لزيادة الثروة والقضاء على البطالة نرجو ألا يقع كل عبء فى حماية الصناعة التى تنتج الضروريات على الطبقات الفقيرة وحدها كما هى الحال فى إنتاج المنسوجات الرخيصة التى يلبسها الفقراء مثلا .

* * *

وبعد فلا بد من مضى الوقت الكافى لتكون المراكز الاجتماعية قد عمت وآتت ثمارها وحلت أكثر مشاكل الفلاح والقرية على النحو الذى وصفناه ولتكون قد وضعت ونفذت السياسة التى تزيد موارد البلاد . لكن حالة الفلاح من السوء الى الحد الذى لا يحتمل صبرا ولا انتظارا وهى ان طالت لم تؤمن عواقبها ولم يستطع أحد منع التدهور الذى يتوالى على

الفلاحين وهم عماد الدولة وسواد أهلها . فلا بد اذن من أن تعمل الدولة عملا — بواسطة التشريع وغيره — لحماية هذه الطبقات الفقيرة من قسوة نظام العرض والطلب الذى يرغمها على أن تقبل أسوأ أجر للعامل أو أغلى إيجار للأرض .

ونعتقد أن من واجب الدولة أن تضمن لذلك العامل أن يحصل على أدنى أجر عادل يقيم أوده ويتكافأ مع جهده ، وقد سبقتنا دول كثيرة الى وضع تشريعات تعين الحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين .

وكذلك يجب أن تتدخل الدولة لحماية صغار المستأجرين بجعل شروط وقيم الإيجار أكثر تمشيا مع العدل والإنصاف بحيث يحصل المالك على حقه ولا يحرم المستأجر نتيجة كده طول العام .

وقد يتبادر الى الذهن أن تحسين حال صغار الفلاحين سيكون على حساب كبار الملاك . ولكننا إذا أنعمنا النظر تبين لنا أن تحسين حال هؤلاء الصغار يعود بالخير على الكبار .

فالمالك والمستأجر والعامل يتعاونون جميعا على عمل واحد هو الإنتاج الزراعى ولا غنى لكل منهم عن الآخر ولا يمكن أن يكون فى ضرر أحدهم مصلحة دائمة للآخرين . فالمالك الكبير يترك بيسره أو بعسره أثرا مماثلا فى حياة الآخرين ، والمستأجر الضعيف الغارق فى الدين لا يمكن أن يكد وينتج كما هى حال المستأجر القوى المطمئن الى حصة ينالها فى آخر العام . كما أن العامل الزراعى الجائع المهزول محال عليه أن يخرج لصاحب الأرض ما يخرجه العامل الشبعان السليم .

وعلى أى وجه فان تحسن حال هؤلاء الفقراء وازدياد رزقهم — وهم أغلبية الشعب كما قلنا — سيزيد حتما قدرتهم على الإنتاج ثم على الشراء فيزيدون الحياة الاقتصادية نشاطا ورخاء وللملاك من هذا الرخاء أول نصيب ما

أحمد حسين

روح العبث في الجمهور

نقدم إلى الطفل لعبة فيظل يلعب بها ساعة أو بعض الساعة ثم نراه يكسرها أو يفككها أو يمزقها ، ويبدأ يتأمل فى قطعها المكسرة أو المفككة أو الممزقة . فاذا أتم هـذه العملية انصرف الى لعبة أخرى، ثم لا يلبث أن يفعل بها ما فعـل بالأولى وهكذا . وقد أجمع علماء التربية والنفس على أنها هى غريزة حب الاطلاع التى تدفع الطفـل الى هذا العبث . فهو يتعرف الدنيا فى هذه اللعب ، ويحاول أن يعرف حقائقها وأسرار تركيبها وهو بعد خلو من المعرفة والتجربة ، مبهور بهذه الطرائف الجديدة على حواسه وتفكيره .

وواجب المشرفين على تربية الطفل أن ينظموا فيه هذه الغريزة وأن يوجهوها توجيها صالحا الى المعرفة والبحث تمهيدا لتمكينه فيما بعـد من الكشف والاختراع والتنقيب عن الحقائق والمواد النافعة لبنى الإنسان .

والغريزة سلاح ذوحدين ، واهمالها أو إهمال توجيهها يؤدى الى أن تصبح ميول الطفل وسائل للعبث والتحطيم والإفساد والتخريب . ثم إن بقاءها فى الكبر على ما كانت عليـه فى عهد الطفولة ، معناه أن الرجل لم ينتفع بالسنين التى انقضت من حياته ، ومعنـاه أيضا أن جسم الرجل الكبير لا يزال يحمل عقـل الطفل الصغير ، مع فارق واحد هو أن هـذا العبث محبوب ومقبول من الطفل الصـغير لأنه أداء لوظيفة من وظائف الطفولة ، ولكنه ثقيل مستقبح من الشاب الكبير أو الرجل الذى تنقصه براءة الأطفال .

ونحن نشاهد فى طوائف من جمهورنا المصرى هذه الروح — روح العبث — متفشية إلى درجة لا تحوج الباحث إلا إلى النظر ليرى ويدرك ويفهم . وكثيرا ما يتخذ هذا العبث شكل الإيذاء والتخريب لمنشآت عامة أو خاصة ينتفع بهـا هذا الجمهور كله ، وفى هذه الحالة يكون من واجبه أن يحافظ عليها ، أو ينتفع بهـا أصحابها ، وفى هذه الحالة أيضا يقضى احترام الملكية الخاصة بعدم المساس بها .

ويصعب علينا بطبيعة الحال تتبع مظاهر هـذا العبث والإيذاء . ولكنى أضرب لها بعض الأمثلة البارزة التى تقع بيننا كل يوم وتمر كأنها جزء من حياتنا اليومية المعتادة :

كلنا نذكر تلك المظاهرات الهائجة الصاخبة التى شهدتها العاصمة والاسكندرية وغيرهما من المدن الكبرى فى مصر — تلك المظاهرات التى كانت تؤلف وتسير فى الشوارع لمناسبة اعتقال زعيم أو سقوط إحدى الوزارات أو الغضب على وزارة معينة . يومئذ كانت مظاهر

غضب الجمهور تتجلى فى تحطيم المصابيح وتهشيم أعمدة النور وتقليع الأشجار وتكسير واجهات المحال التجارية وفى تخليع قضبان السكك الحديدية وتقليع أسلاك التلغراف والتليفون واحراق صناديق البريد .

ولقد يسأل الإنسان نفسه ما دخل المصابيح التى تهدى الناس إلى السير فى الظلام ، وما ذنب أشجار مصلحة التنظيم التى توفر لنا الظل فى الصيف وتنقى الهواء فى الهجير، وما دخل أو ذنب المرافق الأخرى التى ذكرت بعضها ؟ ما دخلها وما ذنبها فى اعتقال الزعيم أو فى سقوط الوزارة المحبوبة أو فى قيام الوزارة المكروهة ؟

ولكنا نغالط أنفسنا ونقول : هذه طبيعة الجماهير الغاضبة ، والجماهير إذا غضبت لا تفكر ولا تزن حركاتها بميزان العقل ، وليس أمامها متسع من الوقت تتدبر فيه سخافة عملها وضرر النتائج التى تترتب عليه .

لكن الشىء المدهش المحير هو أن هذه الطوائف من الجمهور إذا فرحت وابتهجت بسبب اطلاق سراح الزعيم الذى كان مقبوضا عليه ، أو قيام الوزارة التى تريدها ، أو زوال السبب الذى أغضبها أول الأمر ، وأرادت أن تعبر عن هذا الفرح والابتهاج فى مظاهرات شعبية ، كانت هذه المرافق العامة والخاصة هى أيضا نفس الضحية ، وكانت هى أيضا التى تؤدى ثمن الفرح والابتهاج . فالمصابيح تكسر والأعمدة تحطم والقضبان تخلع والأشجار تقلع وصناديق البريد تحرق وألواح الزجاج تهشم ، فلا فرق مطلقا بين مظاهر فرحنا ومظاهر غضبنا مع وجود الفارق العظيم بين الدوافع الى هذه المظاهر . فى كلتا الحالتين تحطيم وتخريب وتدمير كأننا مجانين ، إذا غضبنا مزقنا ملابسنا ، وإذا سررنا مزقناها أيضا .

هذه عقلية شاهدناها فى بعض طوائف من الجمهور، ولا أريد أن أصفها الوصف الذى تستحقه ، ولا أن أسميها الاسم الذى ينطبق عليها . وحسبى أن أعود فأقول إنها روح العبث المتفشية فى تلك الطوائف .

هذه واحدة ، وعندى غيرها كثير .

والعبث بالمرافق العامة عند بعض أفراد الجمهور عمل لا لوم عليه من الضمير ولا من المجتمع ، لقد تحدثت عن المظاهرات الشعبية وما يصحبها كأنه من لوازمها من أنواع التخريب والتدمير والتهشيم . وقد يكون فى ثورة الغضب أو فى نشوة الابتهاج ما يفسره وان كان لا يبرره . ولكن مثل هذا وأكثر منه يقع من الصبيان والجهال وهم على أتم ما يكونون هدوءا وانبساطا . فوضع الأحجار على السكك الحديدية ودق المسامير الغليظة فى قضبان الترام وحشو تجويفات هذه القضبان بالحديد أو المواد الصلبة ، كل هذا يتم عندنا بغاية البساطة

ترقبا للكوارث المسلية التى تقع من جراء ذلك ، وتهيا بالمنظر المبهج اللطيف حين يخرج القطار عن الخط ، أو تنقلب مركبات الترام على من فيها .

وما الرأى فى أولئك الصبية الذين يتسلح كل منهم بمسمار طويل ويكلف نفسه مشقة البحث عن سيارة غفل عنها سائقها أو دراجة غاب عنها صاحبها ، فيخرج المسمار من جيبه ويغرسه بسرعة ولباقة ومهارة فى العجلة ، حتى اذا ما تأكد أنها حرمت تماما وفرغ ما كان فيها من الهواء ، افترت شفتاه عن ابتسامة تدل على الرضى والارتياح ، وانصرف يبحث عن غيرها ليداعب سائق السيارة أو صاحب الدراجة هذه المداعبة الفكهة الظريفة التى تعكر صفوه ساعة ، أو تكلفه ريالا أو أكثر من الريال .

وظاهرة أخرى خطيرة : فقد وضعت شركة ثورنكرفت " طقاطيق " للسجاير فى قسم الدرجة الأولى من عرباتها ولكن بعد أيام اختفت هذه " الطقاطيق " !

هذه ظاهرة غريبة وخطيرة لأنها تمس خلق الأمانة فى الجمهور ، وتدمغه بتهمة شائنة فى أخلاقه تؤذى المجتمع المصرى كما تؤذى أفراده . ولست أتمالك من أن أحس عرق الخجل يتصبب من جبينى عند ما أقارن هذه الحالة بما رأيته فى بلاد الدانمرك : هناك يترك بائع الصحف كشكه الصغير و يذهب الى حيث يشاء تاركا صحفه ومجلاته والى جانبها صندوق صغير مثقوب " حصالة " فيأتى الشارى و يختار الجريدة أو المجلة التى يريدها ويضع الثمن فى الصندوق الصغير وينصرف .

وفى كل متنزه من المتنزهات العامة التى تنشئها مصلحة التنظيم أو التى تنشئها البلديات ليستمتع بها من لا حدائق فى بيوتهم ، ومن تقوم هذه المتنزهات لهم مقام الرئة يتنفسون بها ويستنشقون الهواء النقى منها ، فى كل متنزه من المتنزهات تجد لافتات كتب عليها " ممنوع قطف الأزهار " أو " ممنوع المشى على الحشائش ". وبالرغم من أن هذه اللافتات تشهد بتأخرنا فى المدنية وبأننا فى حاجة دائمة الى التنبيه والتحذير ، فهى لا تكفى فى ردع الجمهور عن أن يعبث بالأعشاب والأزهار ، وعن أن ينتهز غفلة الحارس ليتلف أو ليقطف منها ما يشاء .

وهذه حالة ذوقية وعقلية غريبة نخجل منها أيضا عندما نقارنها بحالة الجمهور الأوربى . فما دخلت متنزها عاما فى مدينة جنيف بسويسرا الا وجدت على مدخله لوحة كتبت عليها هذه العبارة : " هذا المتنزه العام ملك للجمهور فهو تحت حراسته " ومن ثم فالجمهور نفسه هو الذى يقوم فى تلك المتنزهات مقام الحراس والخفراء عندنا . فيا لله ما أعظم الفرق وما أبعده !

وبعد فأنا أفهم العبث المفيد أو الشر الذى يقصد منه الى شىء معين . أما العبث للعبث والشر حبا فى الشر ، فهذا لا أفهمه .

لعائلتى مدفن بين مقابر الامام الشافعى ، وقد وضعت على بابه مصباحين كهربائيين ينيران الطريق للداخل والخارج ، وكانا قبل عهد الظلام الحالى ينيران الشارع للسابلة .

فاذا جنى هذان المصباحان حتى وجدا من يرميهما بالطوب فيحطمهما ؟ كنت أفهم لو أن لصا سرقهما ليبيعهما ، أو اقتلعهما ليتنفع بهما فى بيته . ولكن كسرهما ؟ ما سببه وما الغرض منه ؟ سيقول البعض شقاوة أولاد . وهذا صحيح . ولكنها شقاوة تنم على روح خبيثة يجب أن تهذب جهد الامكان .

أعجب من هـذا وأغرب بل أدهى وأمر أولئك الذين يسرقون صفارات الإنذار وأولئك الذين يتلفونها ! هـذه الصفارات جعلت لتحذير الناس من الغارات الجوية ولم تجعل لغير ذلك . وأنا أستحلف الإنس والجن وعفاريت السماء والأرض أن ينبؤنى ما فائدة صفارات الانذار لمن يسرقها ؟ هل يريد أن يجعل من نفسه مصلحة وقاية أهلية الى جانب مصلحة الوقاية الحكومية ؟ هل يريد مداعبة الناس باطلاق هـذه الصفارة فى أوقات معينة ليلهو بذعرهم واضطرابهم ؟ هل هى لعبة سهلة الاستعمال يقدمها الى ابنه الصغير ليفرح بها؟ هل يظن أنه يستطيع أن يعرضها أو يعرض بعض قطعها فى السوق لبيعها ؟ كلا ! إذن فلماذا يسرقها ؟ المسألة مسألة مزاج ، ولكنه مزاج عجيب على كل حال .

وأكياس الرمل التى وضعت لحماية المساكن والسكان من فعل القنابل المتفجرة ، لماذا يشقها الجمهور بالسكين و يسكب رملها على الأرض فتنتفى الغاية الانسانية منها وتملأ أفاريز الشوارع بالرمل والأوساخ ؟ أليس هذا عبثا لا يصدر عن عاقل يقدر المسئوليات والنتائج ؟

ولو أن عدوا للمصريين فعل هـذا ليعرضهم لأخطار القنابل لفهمت ، ولكن ما الرأى والفاعلون مصريون لا يضمرون لأنفسهم سوءا ، ولا هم يكسبون من فعلهم هذا شيئا ؟

وفى المدن شركات للاعلانات تقوم بلصقها على بعض الجدران وعلى لوحات خاصة ، وهى تتقاضى على هذا أجرا من المعلن عنهم ، ومن حق هؤلاء أن يستفيدوا من الاعلانات ، ومن حق الجمهور أيضا أن يستفيد منها . ولكن الصبية ، بل الكبار أحيانا ، يمرون بهذه الاعلانات فيتناولون طرفها بأصابعهم و ينزعونها من أماكنها و يلقون بها على الأرض ، و بذلك يحرمون المعلنين والمعلن اليهم ثمرة الاعلان ، ثم يوسخون الطريق العام بالأوراق الممزقة فى عبث لا لون له ولا طعم سوى ما يدل عليه من روح للعبث والاستهتار بحقوق الغير .

وعلى ذكر الأوراق المهملة والممزقة ، نلاحظ أن مصلحة التنظيم قد أعدت سلالا للمهملات معلقة فى أعمدة النور والتزام ليلقى فيها المارة أوراقهم المهملة أو علب السجاير والكبريت الفارغة . ولكن الجمهور لا يريد أن يعترف بسبب وجود هذه السلال ، ولا يعنيه منظر الشارع النظيف أو الشارع القذر ، فهو يترك السلال وشأنها و يرمى مهملاته على الأرض فى الطريق العام . وكثيرا ماتكون المسافة التى تفصله عن السلة مترا أو بعض متر .

ولا عجب بعد هذا أن ترى الخدم يتركون صندوق القمامات و يلقون الفضلات على قارعة الطريق غير حاسبين حسابا لمنظرها الكريه، ولا لتخمرها وتوالد الجراثيم القتالة فيها، ولا لما يترتب على كل ذلك من إيذاء الصحة العامة بسببها .

وعلى ذكر الاعلانات ألاحظ غرام بعض الناس بتخليد أسمائهم على أى شيء . و يظهر أننا ورثنا من أجدادنا الفراعنة عادة تخليد الاسم على جدران المعابد وأحجار المبانى كل، فصار بعضنا يعمد إلى هذا التخليد ولو على جدران مرحاض . ادخلوا أى مرحاض عام وانظروا إلى حيطانه فستجدون قائمة بأسماء متعددة كتبها أصحابها على هذه الحيطان، ولا أدرى لماذا كتبوها إلا أن يكون ذلك تشبها بأجدادنا العظام مع هذا الفرق الصغير وهو أنهم سجلوا أسماءهم على آيات الفن ودلائل المجد، وهذا البعض منا يريد تسجيلها على.....على آيات الفن ودلائل المجد أيضا !

الجهل وسوء التربية و إهمال الإرشاد والاستهتار وفساد البيئة وموت الضمير وانحطاط الذوق — كل ذلك هو السبب فى خلق الروح التى عددت بعض مظاهرها دون الاستقصاء عنها . ولكن لا بد من علاجها لأنها مظاهر كريهة تصمنا بوصمة الانحطاط والتأخر .

هذه الروح يجب أن تعالج فى المنزل مع الأبناء والخدم ، وفى المدرسة مع التلاميذ، وفى الطريق العام مع الجمهور والسابلة، و بالقانون بعد ذلك كله ولو فى الطور الأول حتى تصبح العادات الحسنة طبيعة متأصلة .

شفقة الاباء

يكاد صفح الوالد يسبق ذنب الولد .

شوقى

تربية الآباء

ضرورة اجتماعية كتربية الأبناء

بقلم الأستاذ سلامه موسى

الأستاذ "نايل" من خيرة رجال التربية فى انجلترا وهو يدير مدرسة للأطفال الشواذ، أى أولئك الذين يتعبون آباءهم بالعصيان والتشرد والفرار من المدرسة وكراهة الدروس وغير ذلك . وهو يديرها بنجاح ويخرج من هؤلاء الأطفال الذين يئس آباؤهم من إصلاحهم عبقريين يهوون الدرس ويتفوقون فيه بعد أن كانوا يفرون منه . وقد ألف كتابا عن " الطفل الشاذ " أو " الطفل المشكل " قال فيه إن علاجه لهؤلاء الأطفال يمكن تلخيصه فى كلمة . هى "الحب".

وهو يذكر أنه بعد أن أعمل رويته فى الموضوع وجد أن هؤلاء الاطفال إنما يعود شذوذهم أو إشكالهم الى المعلمين والى الآباء فوضع كتابين آخرين هما "المعلم المشكل" و" الأب المشكل".

ونحن نسلم بأن المعلم يحتاج الى تربيـة خاصة وتؤسس المدارس للمعلمين حتى يقفوا على المبادئ الحقة للتربية. ولكنا لا نؤسس المدارس للآباء حتى يقفوا على المبادئ الحقة للعاشرة الزوجية والاشتراك العائلى بين الآباء والأبنـاء وإدارة البيت الأمثل وتحقيق الصحة والهناء والرقى لسكانه . ونحن نفاخر باتباع الطرق العلمية فى الزراعة أو الصناعة ولكن قلما يخطر ببالنا أن هناك أبوة علمية أو زوجية علمية قائمة على اتباع الطرق العصرية فى جلب السعادة وتكوين الشخصية لأفراد العائلة .

وكل منا نسلم بأن الآباء يربون الأبناء تربية حسنة أو سيئة . ولكن هل ينكر أحد منا أن الأبناء أيضا يربون الاباء ؟

إن التربية هى مجموعة اختبارات نظرية أو عملية نستفيد منها فى تكوين شخصيتنا وتوجيهنا فى الحياة لكى ننتفع نحن والمجتمع بأنفسنا ونعيش الحياة الطيبة . وليس شك فى أننا ننتفع بأبنائنا كثيرا من هذه الناحية . فإنهم يزيدون تبعاتنا الاجتماعية فتستقيم بذلك شخصياتنا ويربطوننا بالبيت ويوجهوننا وجهة المستقبل ويجعلون الحب بيننا وبين زوجاتنا واجبا بعد أن كان غريزة فقط . بل هم يصونوننا من النشوز الاجتماعى لأن الزوج الأب يمتاز عن الزوج الأعزب — امتيازا يثبته الاحصاء — ببعده عن الجريمة .

ولكن الآباء يحتاجون إلى تربية خاصة فى عصرنا . عصر المدنية وبيئة المدينة وكلاهما يغرى بتفكيك العائلة ويعرضها لعشرات الأخطاء التى لم تكن تتعرض لها العائلة القديمة قبل

خمسين أو مائة من السنين . وكما أن شارع المدينة يختلف عن الطرق القروية القديمة بوفرة أخطاره واحتياج المرور فيه الى أنظمة دقيقة كذلك تتعرض العائلات الحديثة إلى ضروب من الشرور لم تكن تعرفها العائلة القديمة الوادعة فى قريتها الصغيرة النائية . فان سلطة الأب البطريركية قد زالت عن الزوجة بل أحيانا عن الأبناء اذا بلغوا سنا معينة . و بعد أن كان البيت بؤرة الاجتماع الوحيدة تشعع المجتمع وتعددت فيه وسائل الاستمتاع والاغراء الحسنة والسيئة فأصبح الخطر على البيت كبيرا .

ونجد هذه الحال على أقصاها وأخطرها فى الأمم التى جعلت الديموقراطية معيشة كما هى مبدأ وفلسفة مثل الولايات المتحدة الأمريكية حيث فشا الشقاق وكثر الطلاق فأنشئت المدارس لتربية الآباء كيف يعيشون لكى يعيدوا الاستقرار السابق للعائلة و يتفادوا من أسباب الشقاق .

وكيف يربى الآباء فى هذه الظروف الجديدة ؟

يربى الآباء لكى يخلقوا الجو السعيد والبيئة الراقية و يجعلوا البيت معهدا حرا لمجتمع حر يخرج أشخاصه ولكل منهم شخصية قويمة تمتاز بصحة الجسم وسلامة النفس وثقافة الذهن واستقامة الأخلاق .

يربى الآباء لكى يعرفوا مقام الأبوة العلمية لأبنائهم ، حتى لا يفسدوا بتدليل أو قسوة ، وحتى يجدوا من آبائهم زملاء يسيرون معهم بالشورى والنصيحة وليس بالأمر والنهى . وحتى يعرفوا أن قدوة الأبوين أمام الأبناء هى من أعظم الوسائل للتربية وأن السنوات الأولى للطفل ليس لها من ناحية التربية وتكوين الأخلاق ما يساويها من القيمة فى سائر عمره .

يربى الآباء على الزوجية العلمية ، حتى يدركوا أن الزواج معاشرة وزمالة واحترام وشرف وأنه تفاعل للنمو والرقى ، و أن الزوج محتاج إلى أن ترقيه زوجته كما أن الزوجة محتاجة إلى أن يرقيها زوجها . وإهمال أحدهما فى كل هذه الاعتبارات يؤذى الآخر ثم يرتد الأذى أيضا على الأول .

يربى الآباء على فن المعيشة الصحية حتى يختاروا المسكن الحسن والطعام المفيد لهم ولأولادهم . فان كثيرا من الأمراض التى تفشو بيننا تعود إلى اتباع أسلوب سيئ فى العيش بكراهة الهواء المطلق والإثقال من اللباس ووفرة المواد النشوية وقلة الفيتامينات ونحو ذلك ، والوسط المدنى لبعده عن الريف الممتاز بشمسه وطعامه الساذج الطازج ، يحتم علينا العناية بصحتنا و يكبر لهذا السبب من شأن المطبخ عند الآباء .

والبيت الراقى هو البيت المثقف . ولذلك يجب تربية الآباء فى الثقافة ، وتفاوت الثقافة بين الزوجين يؤدى إلى اختلاف الأذواق مع لاختلاف فى اختيار الأصدقاء ومع كراهة للهموم التى يهتم بها أحد الزوجين مما لا يهتم به الثانى .

والبيت الراقى هو البيت الذى يشترك فيه الزوجان — مع الأبناء إذا أمكن — فى قراءة الجريدة أو المجلة واختيار الكتب والصور والمناقشات المثيرة فى موضوعاتها جميعها .

وعندئذ نجد الزمالة الذهنية سبيلا إلى إيجاد السعادة العائلية .

وتربية الآباء تقتضى تنظيم الميزانية حتى لاتزيد النفقات على الإيراد ، بل حتى يدخر جزء معين لطوارئ المستقبل .

وهذه التربية هى التى تقينا من الاسراف السخيف فى حفلات الزواج والوفاة .

ومن البذخ السيئ فى الضيافة والاسراف فى اللباس والأثاث . فان هذا الاسراف وهذا البذخ هما فى النهاية رغبة أنانية فى الزهو الذى لا يرضاه شخص قد هذبت الثقافة أذواقه وجعلته يلتزم الاعتدال .

وتربية الآباء تقتضى درس الضيافة باعتبارها فنا اجتماعيا للتعارف والمؤانسة . وليست الضيافة أن نقيم وليمة وتهيئ مائدة نفاخر بها المطاعم الكبرى بشتى الألوان التى قد نفرى بأكلها وتمرض من وفرتها . وانما هى تعارف ومؤانسة غايتهما السرور والرقى والتوسع فى الصداقة والزمالة . وليست بيوتنا مطاعم ولا يمكن أن نفخر بأن تكون كذلك وانما يمكن أن نفخر بأشخاصنا المتمدنين الراقين .

* * *

إننا نعيش فى عصر قد اشتبكت فيه عوامل اجتماعية مختلفة . وهذه العوامل الاجتماعية تتأثر بالعائلة وتؤثر فيها . والعائلة مع ذلك فى تطور مستمر . وهى مهددة فى كيانها . وقد يكون هذا الكيان أحيانا سيئا تطلب المصلحة الاجتماعية حله . ولكن الشاب أو الفتاة اللذين درسا موضوع العائلة أعزبين ومتزوجين — يمكنهما التفادى من هذه الخاتمة السيئة .

والمفكر الاجتماعى لاينسى أن صبيان الإصلاحيات ينشأون فى عائلات مفككة . وأن النيوروز قد ينشأ من التدليل فى البيت أيام الطفولة . وأن "العود" فى العرف القانونى عند بعض الأمم قد نقل من الفرد الى العائلة . وأن البول السكرى قد ينشأ من الطبخ السيئ وأن الخمر قد يلجأ اليها زوج كاره لبيته .

لايستطيع المفكر الاجتماعى أن ينسى ذلك . ولذلك لايسعه الا أن يرى أن العائلة هى بؤرة المجتمع الصالح .

سلامة موسى

الدعاية في خدمة الإصلاح الاجتماعي

بقلم الأستاذ محمد زكي عبد القادر

تبدو في الحياة المصرية ظاهرة تدل على أن التفكير في الإصلاح الاجتماعي آخذ في الانتشار بين أفراد الشعب ، وأنه جاوز طبقة الخاصة والمشتغلين بالمسائل العامة الى من عداهم من الطبقات . وهذه الظاهرة ينبغي أن تفرح كل الراغبين في الاصلاح الاجتماعي والداعين إليه . فان انتشار الفكرة ، أو بتعبير آخر اعتناقها ، مرحلة ضرورية لكي تخرج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ . ومن ثم تستطيع أية حكومة أن تقدم على هذا الاصلاح وهي مطمئنة إلى وجود رأي عام قوي يسندها . وهذا الرأي يسندها من ناحيتين : الناحية المالية والناحية الأدبية . أما الناحية المالية فالمقصود منها واضح . ذلك أن بعض ضروب الاصلاح الاجتماعي يحتاج الى المال بل يحتاج الى اعتمادات ضخمة .

أما تأييد الرأي العام للاصلاح الاجتماعي من الناحية الأدبية فيبدو لدى النظر العميق أشد أثر من تأييده للاعتمادات المالية . فاننا لا نعرف ناحية من نواحي الاصلاح تحتاج إلى التأييد الشعبي مثل الاصلاح الاجتماعي . وقد يستطيع المشرع بقانون يصدره أن يمنع البناء في جهة من الجهات . يستطيع أن يلزم كل صاحب سيارة أن يدفع ضريبة معينة ، وأن يستخرج رخصة . يستطيع أن يمنع الناس من رى الأرض الشراقي أو من زراعة صنف من الأصناف . كل هذا وأمثاله يستطيعه المشرع بقانون تسنده السلطة التنفيذية بما لها من جند وسلاح والسلطة القضائية بما تصدره من أحكام . أما في مشروع كإنشاء المراكز الاجتماعية مثلا فكيف يستطيع المشرع أن يكفل نجاحها ما لم تعتمد قبل كل شيء على الإحساس العام بفائدتها والشعور العميق بأنها إجراء ضروري لصيانة الصحة والمستوى الاجتماعي بين القرويين ؟ فالم يسند مثل هذا المشروع رأي مستنير مقتنع مؤمن بالإصلاح الاجتماعي فإن نجاحه يصبح أمرا مشكوكا فيه جدا .

وما يقال عن هذا المشروع يقال عن سائر المشاريع التي يقصد بها إلى الإصلاح الاجتماعي أو على الأقل عن الكثرة الغالبة في تلك المشاريع . ومن هنا تتبين لنا فائدة الدعاية للإصلاح الاجتماعي وفائدة الإلحاح في الكلام عنه ، وتلقين الشعب بكافة الوسائل أن لا سبيل إلى النهوض بالأمة مالم ننهض بمستواها الاجتماعي ، ما لم نجعل من الإصلاح الإجتماعي هدفا قوميا لاخلاف عليه بين أحد .

ثم هناك مسألة أخرى نبه اليها « الدوس هكسلى » فى كتابه «الغايات والوسائل» فعنده أن الإصلاح الاجتماعى الذى يدوم أثره ، والذى يرجى أن يغير بعض طبائع الشعوب و يرتفع بمستواها ، هو الاصلاح الذى يتم بغير العنف ، والتشريع الذى لا يتسم بالطفرة . فلا بد أن يكون الإصلاح — إذا رأى المشرع أن يتدخل فيه — قائما بالفكرة من قبل . لا بد أن يكون تدخل المشرع إقرارا — مجرد إقرار — لآراء وأفكار ومذاهب واتجاهات استقرت فى أذهان الشعب وأعتنقها أفراده .

ونحن نضيف الى قول " هكسلى " شيئا آخر . ذلك أن هناك قوانين عديدة ، صدرت وعليها طابع الدولة ويسندها سلطانها ، ومع ذلك فان هـذه القوانين تعد فى حكم العدم لا لأن المشرع عدل عنها فهى لا تزال قائمة من الوجهة الفقهية — ولكن لأنها من حيث التنفيذ والتطبيق العملى تعـد قوانين ميتة . ولا تفسير لذلك الا أن هذه القوانين لا تجد سندا من الرضاء الشعبى أو بتعبير آخر من حاجات الجماعة . وأوضح مثل لذلك قانون التسول الذى يكاد يكون معطل التنفيذ رغم أنه قائم من الوجهة القانونية . فنحن ما نزال نرى المتسولين يملأون كل مكان فى أحياء القاهرة وفى أرقى هـذه الأحياء . ولا تفسير لذلك الا أن القانون صدر دون أن تكون الجماعة بحالتها الثقافية والاقتصادية متهيئة لقبوله .

يتضح إذن أن الدعاية الاجتماعية ضرورية . وهى فى مصر أكثر ضرورة منها فى أى بلاد أخرى . فان نسبة الأمية عندنا لا تزال كبيرة . وليست المسألة مسألة الأمية فقط ، بل إن العادات والتقاليد ونوع السلوك وفهم الأشياء فى بعض البيئات والطبقات ، كل هذا يجعل الدعاية الاجتماعية فى مصر تمهيدا ضروريا للإصلاح الاجتماعى بل انها لتبدو فى بعض الأحيان وفى بعض الحالات نوعا من الإصلاح الاجتماعى ذاته .

ونحن فى حاجة الى التكرار فى هذه الدعاية ، وفى حاجة الى تنويع الأساليب فيها . ذلك لأن اختلاف مراتب الثقافة فى مصر ، وتباين الطبقات التى يتألف منها المجتمع المصرى ، تجعل هذا التنويع فى الدعاية أمرا لا بد منه . فبين أفراد الشعب المصرى من لا يفهمون اللغة العربية الفصحى ، وهؤلاء يجب أن نسلك الى نفوسهم سبيل اللغة التى يفهمونها . وبين أفراد الشعب المصرى من لا يقرأون ، وهؤلاء يجب أن نسلك إلى نفوسهم سبيلا آخر غير القراءة . ومن الشعب المصرى أفراد كثيرون لا تؤثر فيهم الكلمة المطبوعة بمقدار ما تؤثر الصورة المتقنة . ومنهم من لا يلقون بالهم الى الكلام مهما يكن وزنه ومهما تكن قيمته ، بينما يتأثرون بالصوت أو المنظر أو الغناء أو الموسيقى .

ونحن فى حاجة كما قدمنا الى أن نبـذل كل جهد لبث الدعاية الاجتماعيـة فى كل الطبقات ، فانه لا يكفى أن يقتنع الرأى الرسمى بأن الإصلاح الاجتماعى ضرورى ، ولكن

لا بد من تجنيد الرأى العام لهـــذا الإصلاح ، فان هذا هو السبيل الأول لنجاحه . ونحن فى تخير أساليب الدعاية ، لا ينبغى أن نقول إن هذا الأسلوب ينفع فلنتبعه وذاك الأسلوب لا ينفع فلنعدل عنه . فانه لا توجد أساليب للدعاية نافعة وغير نافعة . بل كل أساليب الدعاية المعروفة تنفع من غير شك و إن يكن بعضها أعم نفعا من بعضها الآخر . وليس معنى ذلك أن نعدل عن هذا البعض الأقل نفعا إلى الأعم نفعا ، بل لا بد من أن نأخذ بكل الأساليب ، وأن نسير بها جميعا جنبا الى جنب فتكون دعايتنا كالمطر الذى يعم الأرض كلها .

لنضع نصب أعيننا اذن هذه الغاية . ولنؤمن بأن الإصلاح الاجتماعى فى حاجة الى الدعاية المنظمة القوية التى تشمل أفراد الشعب جميعا . والإصلاح الاجتماعى فى ذلك يساير غيره من نواحى الاصلاح . فالدعاية ضرورية مهما يكن أول الأمر من ضعف أثرها أو الشك فى فائدتها . والدعاية لا تنتج أثرا بين يوم وليلة وليست الشعوب حينما تريد أن تنقلها من رأى الى رأى ومن تفكير الى تفكير ومن إتجاه الى إتجاه بسهلة القياد ولا ميسرة الأسباب . فهى تتألف كما قدمنا من خليط من الثقافات والاتجاهات تتباين مصالحها وتتقارب فى بعض الأحيان تقاربا شديدا ، فهمة الداعية الاجتماعى دقيقة إذ عليه أن يصل الى إقتناع تام بين كل هـذه الثقافات والاتجاهات بحاجة البلاد الى طائفة من الاصلاحات الاجتماعية . وهو إذا بلغ منها هذا الاقتناع ، لم يعد تحقيق الإصلاح الاجتماعى ذاته أمرا عسيرا .

محمد زكى عبد القادر

أعرابى ينجى ربه

وإنى لأستحيي ، إلهى ، أن أُرى
أســـير وحبلى ليس فيـــه بعير
وأن أسأل الوغد اللئيم بعيره
وبعران ربى فى البــلاد كثير

الأسرة الكبيرة

وهل تجد تشجيعا أم تثبيطا فى مصر ؟

عمدت وزارة المعارف فى السنوات الأخيرة الى مساعدة العائلات الكبيرة فى تعليم أبنائها بجعلت امتياز التعليم بالمجان أو بنصف المصروفات غير مقصور على الفقراء بل يتجاوزهم الى العائلات الكبيرة التى يكثر أبناؤها فتعجز عن تعليمهم أو أن مصروفات هـذا التعليم ترهقها فتؤثر فى نفقاتها الأخرى .

وربما كانت هذه المساعدة التى ابتكرتها وزارة المعارف أول امتياز تجده العائلة الكبيرة فى مصر . وهو امتياز حسن يزيد النور والمعرفة والثقافة . ونحن نرجو أن تليه امتيازات أخرى فان العائلة الكبيرة التى يكثر فيها الاطفال تدل بمحض وجودها على رقى فى الوراثة والوسط. اذ لوكان هناك أى عيب وراثى يؤثر فى صحة الجسم أو العقل ويدل على أن الاورمة التى نبتت منها هذه العائلة سيئة لا تضح أثر هذا العيب والسوء فى أمراض مختلفة تنال الأطفال وقد تقضى على كثير منهم . فتعود العائلة بكثرة هذه الوفيات صغيرة . لأننا حين نصف العائلة بأنها "كبيرة" انما نعنى أن للأبوين نحو ستة أوثمانية أطفال أو أكثر .

ولسنا نعنى أن الام قد حملت عشر مرات ومات ثلاثة أرباع أطفالها . فمحض بقاء الأطفال على قيد الحياة برهان على تراث حسن من الصحة . كما هو برهان أيضا على حسن البيئة البيتية التى نشأوا فيها . أى أن الأبوين كانا على ثقافة حسنة تلائم تربية الأطفال وأن البيت كان يحوى الشروط الصحية من نظافة وصيانة إلى غذاء كاف واف إلى غير ذلك مما تتطلبه حياة الأطفال . فالعائلة الكبيرة تعد من ناحية هـذه الاعتبارات وحدة اجتماعية وسلالية يجب أن تحرص الأمة على مساعدتها و إيجاد الفرص الملائمة لرفاهيتها وتعليم أبنائها .

والعائلة الكبيرة برهان على رقى الأبوين . كما هى برهان على أنهما قد اتبعا أسلوبا حسنا فى المعيشة سوف يتبعهما فيه الأبناء .

بل هناك اعتبار آخر يلتفت اليه المربون فى قيمة العائلة الكبيرة . ذلك أن الصبى الذى ينشأ وحيدا يدلله أبواه على الرغم منهما لأنهما يتعلقان به و يخشيان عليه أكثر مما ينبغى . فينشأ مدللا — وحيد أمه — قاصرا عن ادراك التبعات الاجتماعية . وقد يثبت فيه هـذا التدلل طيلة عمره حتى ولو بلغ سن الشيخوخة . وكذلك الحال فى الصبى ليس له غير أخت . أو ليس له غير أخ تفصل بينهما سنوات عدة . فانه فى هذه الحال يدلل أيضا وان لم يكن بدرجة الطفل الوحيد . وللتدليل آثار بعيده فى خيبة الأبناء وأحيانا فى وقوعهم فى الإجرام والفساد. لأن الصبى المدلل يواجه مجتمعا لا يجد فيه المعاملة التى كان يجدها فى المنزل.

أما الولد الذى ينشأ فى عائلة كبيرة ، فقلما يجد من يدلله . وحتى حين يجد هذا التدليل من أبويه فان أخوته يمالهم من حق المساواة به يردونه عن الخطأ أو الاستهتار . فهو يعيش معهم على الأسس الديمقراطية يعرف أن له حقوقا ولكن عليه أيضا واجبات . فالبيئة البيتية تعده لأن يكون فردا صالحا فى المجتمع . وليس هذا الامتياز الصغير الذى يعزى الحصول فيه للعائلة الكبيرة .

والأخلاق إنما يبنيها الاجتماع ولا يمكن أن يصلح إنسان بالانفراد . فكلما كثر الاخوة فى البيت زادت تبعات كل فرد منهم حتى يكتسب العقلية الاجتماعية و يسلك السلوك الاجتماعى الذى نحتاج اليه الان . بل الذى يحتاج هو اليه لكى ينجح و يسعد .

والواقع أن كثيرا من الأمم قد شرع يلتفت الى هذه المسألة . ونستطيع هنا أن نستبعد عن أذهاننا تلك الأمم التى شجعت وما زالت تشجع أبناءها على الزواج وزيادة التناسل لغايات حربية أو امبراطورية . ولكن يبقى بعد ذلك أن هناك دولا كثيرة تقدم ضروب المساعدات للعائلة الكبيرة سواء أكان هذا من ابتكار الأفراد أم الحكومات . ففى بعض المصانع الأوربية (و بين اليهود الصهيونيين فى فلسطين) تعطى الأجرة أحيانا على أساس عدد الأطفال . فالصانع الذى يحمل تكاليف ستة أطفال يأخذ أجرا أكبر من الذى يحصل عليه صانع ليس له غير طفلين . وكذلك هناك امتيازات أخرى فى السكنى وفى النقل على السكك الحديدية بحيث يمكن العائلة الكبيرة التى تؤلف من عشرة أشخاص أن تصل إلى مصطافها أو مشتاها بأجرة لا تزيد على أجرة شخصين . وليس هذا بالامتياز الرخيص . فإن العائلة المصرية التى تفكر فى قضاء اسبوعين فى الاسكندرية مثلا نجد أن نفقات السفر وحدها ترهقها وتثبطها . فى حين أن الأعزب أو المتزوج الذى ليس له أولاد أو له القليل من الأولاد يستطيع أن ينزه أولاده كل عام ويقتنى الصحة والعافية التى تفتقر اليهما العائلة الكبيرة .

وعندنا أنه يمكن الحكومة أن تساعد العائلة الكبيرة بوسائل مختلفة تمشى مع الأسلوب الذى اتبعته وزارة المعارف فى التخفيف من المصروفات المدرسية لأبناء العائلة الكبيرة . فانها مثلا تستطيع أن توجد تذاكر السفر بحيث يمكن الزوجين مع جميع أبنائهما إذا كانوا دون الخامسة عشرة أن يسافروا معهم بأجرة مسافرين اثنين أو ثلاثة مسافرين مثلا . وكذلك يمكن الحكومة أن ترعى العائلة الكبيرة فى معاشات الموظفين بأحسن مما ترعاهم الآن .

ومن حق الأم التى أنجبت ثمانية أولاد مثلا كلهم صحيح الجسم وكلهم سليم العقل ولم يمت منها أحد قط أن تطالب الحكومة والمجتمع برعاية هؤلاء الأبناء رعاية اقتصادية وثقافية إذ هى قد قدمت لها ثروة لا تقدر بثمن وأورثت تراثا اجتماعيا وسلاليا ساميا ؟

حسن استخدام أوقات الفراغ

هدف من أهداف التربية العصرية

بقلم الأستاذ س . م

كان التأكيد فى التربية قبل هذا القرن ينصب على قيمة العمل للكسب وضرورة التمهر فى الاختصاص بحرفة للعيش . ومع أن هناك مواد كانت تدرس مع بعدها عن هذا الغرض فإن رجال التربية كانوا يزكونها باعتقاد أنها مفيدة حتى فى كسب العيش . مثال ذلك مواد الآداب والتاريخ والرياضيات العليا . فإن المدرسة كانت تعتذر عنها بأن لها فائدة ما فى تحصيل العيش وأنها ليست للفراغ فقط .

بل إن لفظة "الفراغ" كانت مكروهة . وكانت تقترن الى الفساد كما يقول البيت العربى :

إن الفراغ والشباب والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

وكانت الدعوة إلى الجد والمثابرة وتجنب التوانى والكسل من الدعوات التى تلقى كل تأييد من رجال التربية . والواقع أن نظام العمل سواء فى الزراعة أم الصناعة أم التجارة كان يعلى من هذه الفضائل ويكبر من قيمتها . لأنها كانت ضرورية ولم يكن يمكن النجاح بدونها . وذلك لأن العمل فى القرون الماضية كان يشبه إلى حد بعيد العمل الزراعى فى مصر الآن . هو فى طبيعته بطىء الحركة لا يجهد ولا يضنى . ولكنه يحتاج إلى وقت طويل . أما الآن فان الآلات تأخذ مكان اليد الإنسانية وجهد الحديد يقوم مقام جهد العامل . وأصبح العمل فى المصانع — بل أيضا فى المتاجر والمزارع — فترات قصيرة ولكنها سريعة الحركة تتطلب أقصى ما يمكن من اليقظة والجهد حتى تعود الراحة بعد ذلك واجبا محتوما لصحة النفس والجسم .

وأحيانا نقرأ مقالات لبعض السيكلوجيين — فى أمريكا خاصة — يدعون فيها القراء إلى ضرورة الاسترخاء ومنح الجسم فترات من الراحة والتكاسل . ولم نعد نجد أحدا يدعو إلى الجد والمثابرة ومواصلة الليل بأطراف النهار فى الكد والكدح . ويجب ألا نعجب من هذا التغير وخاصة حين نعرف أن فرط الاندفاع فى المزاحمة العصرية قد أدى إلى أن صار نصف المرضى فى المستشفيات الأمريكية يشكون أمراضا نفسية وعقلية .

ومن هذه الظروف تتضح لنا قيمة العناية عند الأمريكيين باستخدام الفراغ . فإن هذا الفراغ قد أوجدته الصناعات العصرية ثم هى لاحتدام العمل فيها قد جعلت للراحة والترفيه والاسترخاء قيمة كبيرة أيضا حتى يحفظ العامل سلامة نفسه قبل سلامة جسمه .

ولا تعجب بعد ذلك اذا رأينا ان " لجنة التربية " فى أمريكا تجعل استخدام الفراغ جزءا من التعليم المدرسى .

وقد كان الفراغ الى وقت قريب من حظ الأغنياء فقط . ولم يكن استخدامه يسير على أحسن الأساليب التى ترقى الجسم أو النفس . فكلنا يعرف كيف كان الأمراء والأغنياء فى العصور الماضية وفى العصر الحاضر فى بعض الأمم يتسلون بالصيد والمراهنة على سباق الخيل والفروسية ونحو ذلك . وهناك التوقل على الجبال والترحلق والألعاب الرياضة المختلفة من لعبة التنس الى لعبة الهوكى . وهناك أيضا ألعاب التسلية كالشطرنج . وأخيرا لا تنسى أن الفراغ قد يفسد صاحبه بتعوده عادة سيئة كالادمان على المسكرات .

والصناعات العصرية بتحديدها وقت العمل فى ثمانى ساعات وأحيانا فى ست ساعات وأيضا بمنحها العامل إجازة أسبوعية قدرها يوم ونصف وأحيانا يومان، وهذا غير الإجازات السنوية — هذه الصناعات قد جعلت فراغ العامل طويلا يحتاج إلى ملئه بالمفيد من المسليات التى ترقيه بل يحتاج إلى تعليمه وهو صبى أو شاب كيف يملأ هذا الفراغ وكيف ينتفع به صحة فى جسمه ورقيا لذهنه وسكينة لنفسه .

ويجب ألا ننسى هنا التعطل الذى أصبح لازمة من لوازم الحضارة الصناعية فى نظامها الديمقراطى الحاضر . فان المتعطلين هم الجيش الاحتياطى للصناعة . وهم بالطبع يستمتعون بفراغ قد يطول السنوات المتوالية وهم يعانونه معاناة المتألم .

وخاصة إذا لم يكونوا قد تعلموا شيئا من فنون الفراغ . وليس شك فى أن هذا التعطل الذى يصيب الملايين من العمال فى الأمم المتحضرة سوف يوزع باسم الفراغ على جميع العمال حتى يعملوا جميعهم فتنخفض ساعات عملهم اليومية وتزاد إجازاتهم السنوية بدلا من أن يتعطل فريق منهم ويعمل فريق آخر طول العام . وليس بعيدا أن تنخفض ساعات العمل إلى خمس أو ست ساعات فى اليوم فى المصانع العصرية بين جميع العمال . وعندئذ يواجه العامل نحو ١٩ ساعة من يومه يجب عليه أن يوزعها بين فراغه ونومه .

ومن هنا التأكيد الجديد فى التربية الحديثة على فنون الفراغ. فان الناس يجب أن يتعلموا من المدرسة حرفة يكسبون بها عيشهم . ولكن يجب أيضا أن يتعلموا كيف يقضون فراغهم الذى ازداد هذه السنوات الأخيرة وهو فى ازدياد مستمر . لأن كل تحسن آلى فى المصانع ينقص ساعات العمل فيزيد التعطل ، وهو كما قلنا ، صورة أخرى للفراغ .

وإذا نحن أهملنا فنون الفراغ فانما نهيئ للشاب بذلك أن ينغمس فى ألوان من التسلية التى قد لا تفيد أو قد تضر . فان الإدمان على التدخين أو الشراب وألعاب التسلية

السخيفة والمراهنات، بل أحيانا سأم الحواء الذهني الذى يؤدى الى الرغبة فى اللذات الصغيرة ولو بزيادة الأكل — كل هذا وأكثر منه هو ثمرة الإهمال لفنون الفراغ .

وفنون الفراغ يجب أن تتناول الجسم والنفس بالترقية والترفيه . فأما الجسم فان الألعاب الرياضية تؤدى شيئا كثيرا لخدمته باستبقاء الشباب والصحة . ولكن يجب ألا تكون من تلك الرياضيات العنيفة التى يكف عنها من دخل فى العقد الرابع من عمره . وعندئذ لا يجد بدلا منها فيستسلم للركود والسكون . كما أننا يجب ألا ننسى قيمة تلك الرياضات المخففة التى يعمد اليها الأوربيون مثل صيد السمك بالصنارة . ولعل القراء يستغربون أن أحسن الكتب التى ألفت فى هذا الموضوع فى انجلترا وضعها اللورد جراى وزير الخارجية البريطانية مدة الحرب الكبرى الماضية . وصيد السمك بالصنارة يحتاج الى الاختلاء والانفراد، وهو لا يطالب الصائد بجهد كبير، ولذلك يتيح له التفكير . وهو من أليق الرياضات للسياسى والأديب والفنان . ومن الحسن أن يتعلم الشاب كثيرا من هذه الفنون كالتجديف والصيد والسباحة وغرس النباتات والنجارة . وقد شاع النسيج بين بعض السيدات عندنا — ونعنى هنا نسيج السجاد — فكان شغلا جميلا للفراغ .

ثم هناك فنون الفراغ لترقية النفس ، وما يتعلمه الشبان فى الوقت الحاضر من الآداب والتاريخ والعلوم إنما يعد من فنون الفراغ لو أننا غرسنا الرغبة فى أذهان الشبان المتعلمين فى درسها ودربناهم على الأسلوب الذى يجب أن يتبعوه لكى يستزيدوا منها بعد تخرجهم ، فإن الشاب الذى شغف بالقراءة يعرف كيف يؤنس نفسه فى وحدته وهو لا يسأم الانفراد ولا يرغب فى الفرار منه باتخاذ الأساليب السيئة ، ومن هنا أيضا قيمة الهواية التى كثيرا ما نبهنا عنها ، فان عملا أو دراسة أو رياضة يهواها الشاب ويتعلق بها وينفق عليها من ماله وجهده جدير بترقيته وصيانة صحته الجسمية والنفسية ووقايته من رذائل يقع فيها الكارهون لفراغهم العاجزون عن استخدامه .

وخلاصة القول أن العصر الحديث يزيد فراغ الناس ، والمستقبل كفيل بزيادة هذا الفراغ أكثر وأكثر ، فيجب أن نعد الشباب له بفنون جديدة ترقى النفس والجسم وترفه عنهما وتقيهما من رذائل قد يقعون فيها . وهذا واجب جديد على الآباء والمعلمين .

س . م .

بعض أخطاء الزوجات

عند ما يعود الزوج إلى البيت

أعظم مايغيظ الزوج أن يعود إلى بيته فيجده حافلا بالمشاكل . يغيظه أن يترك مشاغل عمله طول النهار ليعود فى الظهر أو فى المساء فيجد فى بيته مشاغل أخرى . يجد متاعب الأولاد والخدم والزوجة تنتظره لكى يقضى فيها . إن الزوجة التى يكون أول ما يفاجىء زوجها منها شكاوى الأولاد والخدم والبقال والجزار والخياطة ومحل الأرياء ، مثل هذه الزوجة تقع فى غلطة كبيرة إذ تنفر زوجها شيئا فشيئا من البيت حتى وإن بدا عليه أنه لا يستاء من سماع هذه الشكاوى .

إن الرجل بطبيعة عمله يصادف فى الحياة كثيرا من المتاعب ، فإن كان موظفا فعنده رؤساؤه أو مرؤوسوه وما يسببون له من ضيق تارة أو يحيكون حوله من دسائس تارة أخرى ، وعنده واجبات وظيفته ومسئولياتها وعليه أن ينهض بها ، ولديه آماله فى درجة أعلى أو وظيفة أرقى لابد أن يسعى اليها بوسائلها من الجد والسهر والعمل المتواصل . وإن كان محاميا فان عليه مسئوليات مهنته ، وما أكثرها ! . يكون ذهنه مكتظا دائما بأبحاث القانون ومشاكله وأقوال الشراح وحلافاتهم ومواعيد الاستئناف والمعارضة والنقض وما تحتاج اليه قضاياه من درس أو تحضير دفاع للخروج من مأزق ذودا عن حق أو نصرة لمظلوم . ويكون عنده أخيرا معاملة موكليه وبينهم المشاكس والمسالم ، الذى يدفع الأتعاب بسهولة والذى لايدفعها إلا بخلع الضرس . وإن كان طبيبا فان عنده متاعب حرفته ، عنده مرضاه وآلامهم وأمراضهم وما فيها من تعقيد . وإن كان مدرسا فان عنده من وجع الدماغ ووجع القلب ما يكفى لتعكير مزاج عشرة أشخاص .

وما يقال عن الموظف والمحامى والطبيب والمهندس ، يقال عن التاجر والزارع والصانع ، يقال عن كل رجل تتطلب منه الحياة أن يسعى لكى يكسب رزقه . كل واحد من هؤلاء عنده متاعبه وآلامه فاذا كان لا يجد فى بيته الراحة أيضا كيف يكون شعوره نحو زوجه ، بل كيف يكون شعوره نحو هذا البيت نفسه ؟ إن الرجل يعتقد ، وبحق ، أنه قادر على أن يترك متاعبه عند عتبة بيته ، وأنه حينما تضغط عليه حاجات العمل ومتاعب العيش ، تبسم خلال هذه الظلمة خواطر الهناء فى البيت السعيد ، فما أشد خيبة أمله إذا تبدلت هذه

الأحلام وتغلبت عليه الحقيقة فوجد زوجته تقابله عند عتبة داره بوجه مقطب ، حتى اذا استوى المسكين على مقعده أو حتى قبل أن يصل اليه بدأت تحكي له عن أخطاء الخدم ومضايقاتهم لها وعن تصرفات الأولاد وشيطنتهم ، وكيف أن البقال غشها ، هذا اللعين الذى يعاملونه منذ عشر سنوات ، وكيف أن الجزار شحط فى الخادم حينما ردت إليه اللحم لأن ثلاثة أرباعه عظم ! وكيف ، وكيف . . وأخيرا كيف أنها أصبحت لا تطيق هذه المعيشة . . .

إن الذى يتزوج يتراءى له الزواج أحلاما . يحسبه نعيما أو شيئا كالنعيم . لا يتصور منه شيئا إلا أن ملاكا سيحفه بعطفه وحنانه ورعايته ، والا أنه سيجد فيه الأمان من مخاوفه ، والهدوء من متاعبه . والزوجة الذكية قادرة أن تكون هذا كله لزوجها ، قادرة أن تجعل بيتها فردوسا ونعيما ، ولو كانت حالتها المالية متوسطة ، أو حتى أقل من المتوسطة . إن سعادة البيت لا ترجع الى المال بمقدار ما ترجع الى النفس . إنها إحساس وشعور أكثر منها ثروة ومظاهر . هذه السعادة ، بل الينبوع الدائم ، إنما يتفجر من قلب المرأة ومن فؤادها . إنها تستطيع بسمة منيرة على شفتيها أن تبدد من جو البيت كل اكتئاب وأن تطرح ، متى أقبل زوجها ، كل متاعب يومها وراء ظهرها ، وتجعل نفسها كلها له . وهى تعرف أنه يجد لإسعادها ، ويشقى طول يومه لتحصيل رزقها ورزق عياله ، فليكن أول شيء تقع عليه عينه منها وجه مشرق وبسمة كلها رضاء وعطف . وليكن أول حديثها معه بسؤال فى ابتسامة راضية مشفقة عن حالته ، عما إذا كان قد أمضى يومه سعيدا ، عن عمله كيف يسير ، حتى إذا كانت أجوبته مرضية ، شكرت لله نعمته وفضله ودعت لزوجها بدوام الهناء وراحة البال . أما إذا كان هناك ما يضايقه ورأى أن يفضى به الى زوجه ، كان عليها أن تلطف من شعوره بالألم أو الغضب أو الغيظ وأن تؤكد له أن الله معه وأنه سينيله حقه أو ينصره على من يكيد له ، وأن الصبر آية الرجل المؤمن . وهكذا تتخير من الألفاظ والعبارات ما يناسب الموضوع الذى يجرى بشأنه الحديث .

ولتثق الزوجة أن مثل هذه العبارات يكون لها فى نفس الزوج صدى عميق . فإنها تريحه من ثقل ما يحمل ، وتشعره أن هناك قلبا آخر يشعر بشعوره ويحس بإحساسه ، فيزداد فى الحياة قوة ، ويزداد على مواجهة متاعبها صبرا وجلدا . وكم يكون شكرانه وعرفانه لجميل تلك التى أشاعت فى صدره هذه القوة وملأت نفسه بهذا الصبر والجلد ؟ كم يكون رضاؤه عنها وتضحيته فى سبيلها وثقته بها ! ؟

إن الزواج شركة ، شركة فى المشاعر والميول والغايات والأفراح والأتراح ، إنه يضع قلبين فى صدر واحد ؟ يجمع بين حياتين ، ويربط مصيرين ، فلا بد أن تكون هذه المعانى واضحة فيه وضوحا كافيا . والزوج ينتظر من زوجته كثيرا ، هو يرسم فى خياله أجمل المشاعر

وأسمى ألوان التضحية والعطف ، و يرجوها كلها منها ولا يرضى عنها بديلا . يحب أن يشعر فى قرارة نفسه أن هذا الإنسان الذى يشاطره الحياة ، إنسان كامل ، بل أكثر من إنسان ، ملاك .

وفى المرأة ، كما يقول (جيتا لامبروز) روح التضحية ، تغتبط حينما تبذل شيئا من أجل الآخرين ، بل إن هذا البذل هو بعض خصائصها الطبيعية : إنها فى بيت أبيها تخدمه ، وتخدم أمها وإخوتها ، فإذا خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها خدمت هذا الزوج واستعذبت أن تضحى من أجله وأن تبذل راحتها لكى يرتاح وسرورها لكى يشعر هو بالسرور والهناء .

إن الله أودع المرأة لا الجمال والرقة وعذوبة الأنوثة فحسب ، ولكنه أودعها أيضا كنزا من الحنان والعطف ، هذا الكنز يضفى عليها جمالا أروع من جمال الوجه و جمال الجسم ، والمرأة التى تعرف هذا الكنز فى نفسها تستطيع أن تسعد زوجها وأولادها . لا بل تستطيع أن تشيع روح السعادة والهناء فى كل الجو الذى تعيش فيه .

إن الحقد والضغينة وروح الانتقام لهى أسوأ ما يفسد على المرأة حياتها بل إنها تفسد عليها جمالها . إن مركز الجمال ليس فى الوجه ولا فى الجسم ، إنه فى النفس ، والنفس المملوءة غلا وحقدا وسخيمة نفس شريرة تغض من جمال الوجه وجمال الجسم ، فحذار ياسيدتى أن تستشعرى الحقد على أحد . ارتفعى بخلقك ، ارتفعى بقلبك الذى ملأه الله نورا ، عن الأحقاد والسخائم كلها ، اجعلى صلاتك وصومك وعبادتك حبا للناس ، ورحمة بهم ، وتضحية من أجلهم ، وفى أول هؤلاء الناس جميعا اجعلى زوجك ، لا تقابليه إلا وأنت باسمة ، والنور فى عينيك وفى فؤادك ، كونى أنت المرأة التى يرى فيها وجه الحياة باسمة ، ولتكن مرآة نفسك مجلوة دائما ، باهرة الضياء ، باهرة الهناء .

الشباب

كان المسيو بوانكاريه وزيرا للمالية فى إحدى الوزارات الفرنسية وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان يطيب لبعض أعضاء مجلس الشيوخ أن يعيروه بصغر سنه ليغيظوه . وحدث أن قاطعه أحد أولئك الشيوخ قائلا : " اعذروا الوزير فهو شاب لا يستطيع أن يلم بواجبات وظيفته الإلمام الكافى . عندئذ ضرب بوانكاريه المنبر بقبضة يده وصاح : " والله إن الشباب عيب تودون جميعا أيها الشيوخ أن يكون فيكم " .

روح المقامرة والمتاجرة

تفسد عاطفة الخير والواجب فى الجمهور

بقلم الأستاذ س . ق

نحن أمة من المقامرين فى هذه الأيام .

تلك تهمة غليظة ولا شك ، ولكننا فى حاجة إلى أن نسمع الكثير من مثل هذا الاتهام الغليظ ، وأن نجبه به فى عنف وقسوة ، وبلا مداراة ولا ترفق . وقد يكون من الخير فى بعض الأحيان أن نقدم الدواء للمريض فى "برشامة" ولكن من الخير فى أحيان أخرى أن نجرعه له فى غلظة وصراحة .

نحن جميعا نقامر فى هذه الأيام ، مقامرة مباشرة أو غير مباشرة : فإذا نحن ترفقنا قليلا فى الوصف ، قلنا : إننا نتاجر ولا نعمل شيئا إلا أن نقصد من ورائه ما يقصد المقامر او المتاجر .

فأما المقامرة المباشرة فتتجلى فى ملاعب القمار المنتشرة فى أنحاء البلاد على الرغم من القوانين كما تتجلى فى ميادين السباق ، وهى مع الأسف تجتذب جميع الطبقات فى مصر على السواء وبخاصة طبقة "أبناء الذوات" كما أن هناك مقامرة متنقلة يطوف بها بعض الباعة على المقاهى ومعهم السجائر والمانجو والفستق وآلة "روليت أتوماتيكية" أو لعبة "جوز وفرد". وبلا كبير تردد يمكن أن نضيف إلى المقامرين طبقة العاكفين على شراء أوراق النصيب يبتغون من ورائها الغنى المفاجئ والثروة الطارئة بلا كد ولا جهد .

وروح المقامرة روح خبيثة ، فهى فى صميمها ترمى إلى كسب الثروة من غير طريقها ، وبلا جهد يبذل فى تحقيقها ؛ وتفشى هــــذه الروح يعنى الانحراف فى التفكير والانحراف فى الاتجاه العملى . فالشاب الذى يبدأ حياته معتمدا على ثروة تهبط عليه من السماء فى صورة ورقة نصيب رابحة ، أو رهان كاسب على جواد ، أو لعبة ناجحــة على مائدة ، هذا الشاب لن يسلك الطريق القويم فى التفكير المثمر ، ولن يكلف نفســه مشاق الجهد فى العمل المنتج بل سيعيش باحثا عن الكنز الذى تخبئه له الأيام ، كما يعيش الباحث عن الثروة فى الأحلام !

والتفكير على هذا النحو تفكير مريض يقتل فى النفس الطموح الحقيق ، الذى يقوم على اعتقاد الشاب أنه يستطيع النجاح بالعمل وبإبراز مواهبه الكامنة ، ونفس المقامر من أشد النفوس قلقا واضطرابا وفسادا ، لأنها متأرجحة فى كل وقت فوق عوامل لا تملك تصريفها

ولا يد فيها لغير القدر المجهول الذى يترقبه المقامر خائفا وجلا ، كأنما ينتظر الحكم فى كل لحظة بالإعدام أو البراءة . وهذه حالة تهد أسس الأخلاق والعزائم وتحيل الإنسان ريشة طائرة فى مهب الرياح .

وقد أسلفت أن العكوف على شراء أوراق النصيب ابتغاء الربح المفاجئ نوع من المقامر له جميع عيوبها . فالآن أذكر أن له عيبا خاصا به بعد هذه العيوب كلها . ذلك أنه يعطل عاطفة الخير فى نفس الجمهور ، الذى يعتاد ألا يتبرع للمؤسسات الخيرية التى ينفق عليها من ربح هذه الأوراق إلا إذا طمع فى الربح الوفير .

وصحيح أن هذه الأوراق تزيد دخل هذه المؤسسات ذلك الدخل الذى هى فى أمس الحاجة إليه ، والذى لولاه ماقامت ولا عاشت . وهذه وجهة نظر ، ولكن هناك وجهة نظر أخرى ، إذ نحن نحيي هذه المؤسسات لنقتل عاطفة الخير فى الناس ؛ ونقيم أسسها على رفات العطف الإنسانى . ولا أتردد فى القول بأن بناء النفوس على أسس قويمة خير من إقامة المؤسسات على دعائم متينة !

وقد يكون ما أرمى إليه مثلا أعلى صعب التحقيق ، ولكن المثل العليا دائما تستطيع أن تقودنا إلى منتصف الطريق .

أما الواقع والواقع وحده فيقف بنا عند أول الطريق !

* * *

وهناك غير المقامرة الصريحة ، مقامرة ضمنية أو متاجرة فى أخف التعبيرات .

فقد نندفع أحيانا إلى التبرع بمبالغ من المال لإحدى المؤسسات أو المشروعات ، عن طريق غير طريق أوراق النصيب ، أو نتطوع للخدمة العامة فى ناحية من نواحيها . ولكننا لانتبرع أو نتطوع تلبية لصوت الواجب والضمير ، ولا تحقيقا لعاطفة الخير أو عاطفة التضامن الاجتماعى ؛ إنما نحن نطلب الثمن أضعافا مضاعفة ، وأقل أنواع الأثمان التى نطلبها هو نشر أسمائنا فى الصحف ، وتوجيه قصائد المدح والثناء إلينا ، إن لم نطمح إلى رتبة أو منصب أو صفقة من الصفقات على حساب التبرع الخيرى البرئ أو الجهد السياسى أو الاجتماعى العام .

و يندر أن نسمع عن التبرعات المجهولة ، و " فاعل خير " لا يزال أقل الأسماء ورودا فى قوائم التبرعات والتطوعات ، بل نحن نكشف أنفسنا كشفا لا مواربة فيه ، إذ نصحح فى اليوم التالى كل تحريف فى أسمائنا يقع فى الصحف حين نتبرع بعشرة قروش مثلا لأسرة بائسة ! ، كما يندر التبرع لمشروعات لا يسندها أصحاب النفوذ .

ونسمع بين الفينة والفينة أن " فاعل خير " فى اوربا أو أمريكا تبرع ببضعة ملايين من الجنيهات لأمته . ولا يبعد أن يسخر الكثيرون منا من هذا " العبيط " الذى يتنازل عن كل هذه الثروة بلا مقابل !

ذلك أننا لم نتعود بعد لذة الإحسان ولذة الكتمان ، وهذه الأخيرة لذة مضاعفة منشؤها شعور الإنسان بالسمو على المظاهر الكاذبة ، وراحة ضميره إلى أنه يؤدى الواجب بدافع من وجدانه لا ينتظر عليه جزاء ولا شكورا ، وهى لذة عالية أين منها لذة الشهرة ولذة المنصب ولذة المكافأة أيا كان نوع هذه المكافاة .

ونحن لانطلب من المتبرعين والمتطوعين فينا أن يرتقوا الى هذه الذروة ، فوراء ذلك تربية شخصية واجتماعية نحن بعيدون عنها كل البعد ، ووراء ذلك نفوس عظيمة نحن لانطمع الآن فى التسلق الى مستواها ، ولكننا نتواضع ونتواضع فنطلب منهم أن يقتصدوا فى تطلب الجزاء العاجل والمكافأة المباشرة ، فإن بعضهم ليغالى فى ذلك حتى ليفاوض مبدئيا فيما سينال من جزاء على التبرع أو التطوع ، ويحسب حساب الربح والخسارة قبل أن يمد يده بقرش أو خدمة .

وقد قرأت فى إحدى المجلات أن صاحب مقهى بلدى تبرع لمشروع الحفاء بعشرة قروش فأرسل دولة رئيس الوزراء يشكره على هذه الأريحية بالقياس الى ثروته . وبعد أيام تلقى دولته رسالة خاصة من هذا " المعلم " يطلب فيها قرضا قيمته جنيه واحد !

وسواء صح هذا الخبر أم كان دعابة صحفية ، فللرجل عذره فى هذا وهو يرى كبار الأغنياء المتبرعين للمشروعات الخيرية يقبضون ثمن التبرع مضاعفا ، فلم يزد هو على طلب سلفة قد يكون فى نيته ردها بعد ميسرة !

* * *

على أن هناك نوعا من المقامرة أو المتاجرة أخطر من هذه جميعا ، مقامرة قد لا يخطر على بال الكثيرين وجودها . تلك هى مقامرة الموظفين فى أعمالهم الحكومية .

مفروض أن الموظف يتسلم مرتبه فى نهاية كل شهر جزاء على جهده فى العمل ، ومفروض أنه يؤدى عمله أحسن أداء لأنه واجب لا شكر عليه ، وجزاؤه هو مرتبه الذى تؤديه له الدولة ودافعو الضرائب .

ولكن الآية انعكست ، فما من إحسان فى العمل إلا ليراه الرئيس و يلتفت اليه ، و يثيب صاحبه عليه بالترقية والدرجة ، فإن لم يكن من طبيعة هذا العمل أن يلفت نظر الرؤساء ، فلا إجادة فيه ولا أمانة لأن الجزاء عليه غير مضمون .

هذه روح خطرة ، لأن هناك مئات الأعمال ليس فى طبيعتها الضجيج والبريق ، وليس فيها ما يلفت النظر و إن توقفت عليها أعمال كبيرة من أعمال الدولة ، بل ليست عليها رقابة

ولا تصل اليها أعين الرؤساء ، فالضمير والوجدان الفردى هما الرقيبان وحدهما على حسن أدائها ، فاذا تفشت روح المقامرة هذه فى نفوس الموظفين القائمين عليها لم يعد هناك من ضمان فى القيام بها .

وقد يكون للمحسوبية والوساطة التى تفشت فى الدواوين يد فى بث هذه الروح الخبيثة. وذلك أن كثيرا من الموظفين الأمناء المجدين أهملوا ونسوا ، بينما غيرهم ممن هم دونهم كفاءة وأقدمية قفزوا على السلم درجات درجات ، فلم يبق إذن تارق إلا وسيلتان : المحسوبية والوساطة ، أو الإعلان والضجيج . أما أداء الواجب وإتقانه فلم يعد لهما أى تقدير .

ولقد زاد هذه الروح قوة أن معظم المشتغلين بالأعمال العامة وكثيرا من الزعماء السياسيين ، قد تقاضوا ثمن تضحياتهم مغانم وأسلابا مضاعفة ، وأن المصفقين المهرجين هم الذين نالوا كل شىء . بينما المضحون الصامتون لم يعرفهم أحد .

* * *

ونحن فى حاجة إلى مقاومة هذه الآفة الروحية فى كل مكان . ومقاومتها يجب أن تسير متناسقة الخطوات فى المنزل والمدرسة والمجتمع والديوان ، وأن يشترك فى كفاحها الآباء والمدرسون والرؤساء والزعماء .

فيجب أن تنمى عاطفة الخير والواجب فى نفوس الأطفال سواء فى المدرسة أو البيت فنقلل من المكافآت المادية التى نمنحها لهم فى نظير قيامهم بواجباتهم المنزلية والمدرسية ولا نقدم هذه المكافأة إلا على عمل بارز جدا خارج عن دائرة ما يجب عليهم أداؤه فى العادة .

فتأدية الواجب المدرسى والنجاح فى الامتحان مثلا عملان طبيعيان لا يستحقان أية جائزة ولكن التفوق الواضح يستحق كلمة ثناء ، أما الجائزة فيجب أن نحتفظ بها لعمل خارق كأن يأتى بفكرة مبتكرة فى عمل مدرسى أو عائلى أو اجتماعى ، وحينئذ تكون لها قيمتها وتكون تشجيعا بارزا .

ويجب أن تبث الدعاية المقنعة للمتبرعين والمتطوعين بأن تبرعهم وتطوعهم واجب شخصى أو اجتماعى ينبغى القيام به دون انتظار الشهرة والثناء ، وإن كانت الشهرة والثناء سيجيئان بطبيعتهما وبدون انتظار ، ولكن المعوّل عليه هو الحافز النفسى الذى يجب أن يكون وحده كافيا للعمل الطيب والخدمة الاجتماعية ، ومن المهم أن نتعود العمل الصامت ، ولو تهيأت لنا وسائل الإعلان .

ويجب أن نغذى روح الأمانة فى العمل وتأدية الواجب فى كل دوائر الأعمال بقطع دابر المحسوبية ، وكشف حيل المهرجين من المعلنين عن أنفسهم فى الديوان .

وقد قلنا : إن انتشار روح الوساطة والمحسوبية فى الدواوين كان سببا من أسباب إعلان بعض الموظفين عن أنفسهم وعن أعمالهم ليلفتوا إليهم الأنظار فينالوا الترقيات والدرجات .

فلعل إنشاء مجلس الدولة الذى سيكون عاملا من عوامل الاطمئنان إلى أن ينال كل ذى حق حقه ، وأن تنتفى — إلى حد كبير — الترقيات الاستثنائية والعقوبات الشخصية الانتقامية بسبب رقابته .

لعل إنشاء هذا المجلس يقاوم روح المقامرة والمتاجرة بالأعمال الحكومية ، التى ينبغى أن يكون الحافز إلى اتقانها هو الشعور بالواجب للوطن وللامة التى تؤدى المرتبات .

ويجب أن يقتصد الزعماء والمشتغلون بالشؤون العامة فى استغلال تضحياتهم ومجهوداتهم سواء كان ذلك لهم أو لأقربائهم ومحاسيبهم ، فإن هذا الاستغلال كفيل بأن يقتل فى نفوس الجماهير كل إحساس كريم بالتضحية وكل شعور نبيل بالجهاد الوطنى أو الاجتماعى ، ويحيل المسألة كلها مقامرة أو متاجرة ، وليس أخطر على الشعوب من أن يكون للتضحية ثمن على هذا النحو ، وثمن غير متكافئ معها ولا معقول .

إن المنفعة الصغيرة التى ينالها المتبرع لعمل الخير ، أو المجاهد فى سبيل الوطن ، أو القائم بعمل اجتماعى ، لاتساوى ذلك الأثر السيئ الذى تخلفه فى نفوس الشبان بوجه خاص ، هذه النفوس التى يجب أن تبقى على استعداد للتضحية بلا ثمن ، والبذل بلا مقابل ، وإلا كان تقاعسها نذيرا للمجتمع بالانحلال .

أما المقامرة الصريحة التى تحدثت عنها فى أول المقال ، فلست فى حاجة الى التدليل على وجوب القضاء عليها ، مهما اتسمت بسمة الرياضة كسباق الخيل ، أو سمة البر كأوراق النصيب . فتلك سموم تسمى بغير أسمائها وتؤدى غير ردائها ، ولكن هذا لا ينفى أنها سموم من أفتك أنواع السموم !

س . ق

ويخصون بالشكر . . .

وكان فى مقدمة المشيعين . . .

مناسبة الموت أولى المناسبات بالجلال والوقار ، وأحقها بالخشوع والسكون ، وأبعدها عن التظاهر والتصنع ، والنفس التى لاتحس هذه المعانى كلها فى الموت غير جديرة بأن تحس شيئا فى الحياة .

إلا أننا اعتدنا فى مصر أن تتخذ من الموت فرصة للإعلان عن الأحياء فى مظهر يشبه التهريج إن لم يكن هو التهريج نفسه ؛ وهذه العبارات المحفوظة التى لايكاد يخلو منها إعلان وفاة أو تشييع جنازة أو شكر على الاشتراك فى التعزية ، هذه العبارات المحفوظة المشهورة هى دليل لا يكذب على أن نفوسنا لا تقدر للموت حرمته ، ولا تستشعر الجلال الذى تستحقه هذه المناسبة .

كقولهم : " وكان فى مقدمة المشيعين . . . فلان . . . وفلان " أو " يخصون بالشكر . . فلانا . . . وفلانا " .

وأولئك الذين كانوا فى مقدمة المشيعين ، يذكرون لمناصبهم ومراكزهم على سبيل الافتخار والمباهاة ، وإلا فليس الموت وليست المواساة فيه بالمناسبة الصالحة لذكر الأسماء .

وهؤلاء الذين يخصون بالشكر ، قد لا يكونون ممن شيعوا الجنازة ولا ممن حضروا المأتم ، وإنما أرسلوا برقية تعزية أو مندوبا عنهم بينما الكثيرون من أصدقاء الأسرة وعارفيها سعوا إلى المقبرة ثم شاركوا فى ليلة المأتم ، ولكن لم يتلهم حظ الاختصاص بالشكر لأنهم ليسوا من ذوى الألقاب الضخمة ولا المراكز الكبيرة ، وكذلك قد تكون هناك شخصيتان من مقام واحد ومركز واحد فتخص بالشكر إحداهما وتهمل الأخرى بسبب حزبى أو شخصى !

وأقل ما يقال فى مثل هذا التصرف أنه " جليطة " وقلة ذوق ، وأنه استهانة بعواطف الناس وأقدارهم ممن لا يخصون بالشكر ولا يشار إليهم بكثير ولا قليل مع أنهم قد يكونون أصدق المعزين والمشيعين شعورا بالفجيعة لأنهم إنما سعوا بالعزاء والمشاركة لعلاقة تربطهم بالفقيد أو أحد أفراد أسرته ، بينما أولئك المخصوصون بالشكر ؛ بعثوا ببرقياتهم لمجرد أداء الواجب الظاهرى أو " سد خانة " كما يقولون .

وقد جرت العادة أن يرد أهل الميت ببرقية أو بطاقة شكر على من يعزونهم بالمراسلة ، أما من يكلفون أنفسهم مشقة السعى بالنهار فى تشييع الجنازة ، وبالليل للجلوس فى السرادق فلا يجدون من يسأل عنهم بالرد .

وواضح أن الأولين لم يتكلفوا شيئا مما تكلفه الآخرون ، وأن هذه البرقية بالغة ما بلغت قيمتها لاتبلغ فى حسن العزاء مبلغ من يحضر بذاته ليشارك ويرفه ويسلى ويعزى مدفوعا بعاطفة أو قرابة .

فيجب أن نعرف للناس جميعا فضلهم فى مشاركتنا مصائبنا وألا تكون الأقدار والمراكز سببا فى غبن طائفة والإشادة بطائفة لمجرد المباهاة والإعلان .

على أنه يبقى بعد ذلك أن ننظر فى التقاليد المحيطة بالموت كلها — هذه التقاليد التى لامناص من تغييرها أو تهذيب ، يبعد عنها كل عناصر الإعلان ويجعلها خالصة لإدخال العزاء الحقيق على القلوب وللوقار المناسب لجلال الموت .

فالذبائح التى تنحر، والمآدب التى تقام والسرادقات التى تنصب وحملة القماقم ، والمواكب التى تطوف الشوارع والطرقات ، وفرق الموسيقى المحزنة والاعلانات عن الوفاة وعن تشييع الجنازة وعن الشكر ونشر الأسماء ثم اعادة نشرها مصححة لو وقع أقل خطأ فيها أو تحريف الى آخر هذه المظاهرات الجوفاء يجب أن تختفى من المآتم وأن يحل محلها الهدوء والعبرة ، والاكتفاء بسعى الأقارب الى أقاربهم والأصدقاء الى أصدقائهم للعزاء الحقيق والمشاركة الصادقة فقد يصلح كل شىء للضجيج والإعلان إلا الموت فهو لن يصلح لغير السكون والجلال

ويكفى أن نعيش فى عالم مزيف فى كل شىء من مظاهره ، وفى نفاق اجتماعى دائم فى كل أعمالنا ، فلا نزيف العواطف أيضا ، وبخاصة عاطفة الحزن العزيزة الجليلة ، التى ينبغى أن نخلو فيها لأنفسنا وأقاربنا وأصدقائنا وأن ننفى لديها الأعراض الزائلة والمظاهر الكاذبة وأن نعيش بعض اللحظات صادقين فى شعورنا تعويضا عن الكذب المتواصل فيها وعن النفاق الذى لانجد أنفسنا فى غماره إلا نادرا .

أرى فى جلال الموت إن كان صادقا جلالة حق لا جلالة باطل
فلا تجعلن الموت حجة كاذب لمدحه مذموم ورفعة سافل

شاعر حديث

تحسين النسل

اتجاه اجتماعى جديد

يقول الحديث الشريف : " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " أى يجب على كل رجل أن ينظر إلى المرأة التى يرغب فى تزوجها : هل هى كفيلة بأن تعقب عقبا حسنا أم غير كفيلة ، وهذا هو مايسمى فى العصر الحديث بالنظر اليوجنى أى جعل النسل الحسن من أهم الأهداف التى يوجه إليها الزواج .

وقد شاعت لفظة "اليوجنية" قبل نحو أربعين سنة ، وكان وضعها ومذيعها السر فرنسيس جالتون أحد العلماء الانجليز . والمقصود من هذه اللفظة علم يراد بدراسته تحسين النسل حتى يخلو من الشوائب والعيوب الموروثة . وألفت الكتب وأسست المجلات لدرس هذا الموضوع وتأسست الجمعيات للدعوة إليه والعناية بما يثبت من فروضه ونظرياته .

وافتتح جالتون هـذا البحث بكتابه المشهور " العبقرية الوراثية " وقد تحرى فيه ذكر الأسر التى أنجبت أكبر عدد من العبقريين لكى يثبت أن كثيرا من الصفات الحسنة مثل كثير من الصفات السيئة — تورث ، وأننا يجب لهـذا السبب أن ندرس قوانين الوراثة لكى نعرف ونميز بين أثر الوراثة وأثر الوسط ونهتدى بالمعارف الجديدة عن الزواج فيما يمنح ويمنع .

والأساس الذى ينهض عليه علم اليوجنية هو الوراثة . فقد ثبت أن هنالك صفات تورث وتظهر ، وصفات أخرى تورث ولا تظهر إلا فى أعقاب بعيدة . ووضع اسم " الصفات السائدة " للأولى و " الصفات المتنحية " للثانيـة . وليست الوراثة مدروسة إلى الآن الدراسة الكاملة المقنعة . ولكن قد عرف منها " قانون مندل " وهو من أعظم المكتشفات العلمية الحديثة ، بل لعله من حيث قيمته الإنسانية يزيد على أى اكتشاف آخر فى مدى آلاف السنين المـاضية . لأنه فتح للإنسان كوة يطل منها على المستقبل ويتحكم به فى اختيار النسيج الحيوى لجسمه وعقله باستعجال التطور .

واليوجنية الآن إما سلبية وإما إيجابية ، فالسلبية تقول بتعقيم الناقصين الذين يثبت أن نقصهم وراثى أو يمنعهم من الزواج ، وقد يكون النقص عيبا جسميا أو ذهنيا . فالأمة التى تتسم قسمات وجهه بالسحنة المغولية تورث صفاته ، وهو لذلك حين يتزوج — سواء كان

رجلا أم امرأة — يعقب نسلا له هـذه الصفات التي تجعله عبئا على نفسه وعلى المجتمع ، وهناك عاهات وراثية تصيب البصر ، ومن الرحمة بالأبناء أن يمنع المصابون بها من الزواج أوعلى الأقل من التناسل . وهنا يجب أن نقول إن تعقيم الرجل أوالمرأة لمنع التناسل لايحول دون الزواج ، وهو يجرى الان فى أمم كثيرة مثل سويسرا وأسوج والمـانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، و بعض الأمم تجعل التعقيم اختياريا و بعضها تجعله إجباريا .

ولكن الزواج لايجوز إلا بعد الكشف الطبي الذى يثبت براءة المقدمين عليه من عاهات وراثية أو أمراض يمكن أن تنتقل بالعدوى — وليس بالوراثة — إلى الأبناء .

وهنا يجب التمييز ، فإن بعض الأمراض — مثل السفلس والسيلان — تنتقل عدواها إلى الأبناء لمحض أن الجنين يتصل بأمه ، فتنتقل إليه عدوى المرض الذى تشكو منـه ، ولكن هذا الانتقال ليس وراثيا ، لأنه لايجرى على قوانين الوراثة ،والكشف عن الخطيبين قبل الزواج عند الأمم التي أخذت باليوجنية يقتضى بالطبع النظر فى الأمراض المعدية والأمراض الوراثية على السواء ، و يمنع الزواج قبل الشفاء من الأولى و يمنع بتاتا فى الحال الثانية .

هذا من حيث اليوجنية السلبية . أما اليوجنية الايجابية فتقتضى التشجيع على الزواج بين الاكفاء حتى يعقبوا أكبر عدد ممكن من الأبناء الذين تنتفع الأمة بكفاءتهم. وقد جرت المـانيا و إيطاليا حديثا على هذا المبدأ ، فكل من الحكومتين تقرض الخطيبين مبلغا من المـال لكى يتزوجا ، فاذا أعقب الزوجان أربعة أولاد ألغى القرض ، أما اذا لم يعقبا فإن عليهما رد المبلغ للحكومة ، وهذا بالطبع مع منع الناقصين من الزواج أو من التناسل .

وقد شاع تحديد النسل بظهور الوسائل العديدة لمنع الحمل ، فكان هـذا التشجيع على الزواج بعض المقاومة لهذا التحديد ، ومما تجب ملاحظته أن منع الحمل يشيع أكثر مايشيع بين الطبقات العالية التي تكثر تكاليفها ، و يقل أو ينعدم بتاتا بين الطبقات الفقيرة ،ولما كانت هذه الطبقات فى مجموعها أقل ذكاء فان هذه الحال تؤدى بالأمة إلى الانحطاط ، ومن هنا منشأ التشجيع على الزواج ، و إن كانت هناك أغراض أخرى مستترة أهمها زيادة السكان لزيادة عدد الجنود وقت الحرب .

والغريب أن الانسان عنى أكبر العناية بتأصيل الحيوان ، وهو يمنع التلاقح بين اثنين من ماشيته أو كلابه أو سائر أنواع الحيوان التي يربى الا اذا وثق بما لهما من خواص ممتازة ، ولكنه لايفكر فى ذلك عندما يتزوج ، حتى قال تيوجينيس الشاعر الاغريقى مامعناه "اننا نتحرى أجود الكباش والحمير والخيول للفحلة لأننا نعتقد أن الحسن انما ينحدر من الحسن ، ولكنا لانفعل ذلك مع الانسان" .

على أن اليوجنية — هـذا العلم الجديد — تحاول اصلاح هذا الخطأ ، فالزواج حق ، ولكنه محدود بمنع الضرر عن الأبناء . وهو يشجع اذا كان الزوجان ممتازين تحتاج الأمة الى صفاتهما فى أبنائها . واليوجنية تدرس الاجرام والتشرد والادمان والعاهات والذكاء والبلاهة لكى تعرف ماذا يعد من هـذه الصفات وراثيا وما يعزى منها الى البيئة ، فما كان وراثيا حقا ينظر فيه الى الزواج و يمنع أو يمنع الزوج بمقدار حاجة الأمة الى هذه الصفات أوضرورة تجنبها .

و إذا لم يمنع الزواج فليمنع التناسل بالتعقيم . ولكن مع أن البحث يستفيض و يتناوله كثير من العلماء فإنه ليست هناك إلى الآن آراء جازمة عن اليوجنية الا فى القليل جدا . أما سائر الابحاث فلا يزال الشك عاما فى الاستنتاجات التى انتهت اليها .

ونحن فى مصر قـد رأينا مناقشات حادة عن تحديد النسل وظهرت مطبوعات تبين الطرق لهذا المنع . كما أن الحكومة تفكر فى إيجاد نظام الكشف الطبى على المقدمين على الزواج فيحسن بنا أن ندرس موضوع اليوجنية ونسترشد بما يقوله علماؤها عنها وفى هـذا الصدد نذكر كتابا حديثا ظهر باسم " الوراثة وتحسين النسل " لمؤلفه الأستاذ حسين الأبيارى . فانه يتناول هـذه الموضوعات ببعض الاسهاب . والمؤلفات بل المجلات العلمية التى تعالج هذا الموضوع كثيرة فى اللغات الأوربية .

واعتقادنا أنه يجدر بكل شاب أن يتقدم للكشف الطبى قبل الزواج وأن يبين للطبيب غايته من هذا الكشف وهو لياقته للزواج فانه يحصل هنا على مشورة نيرة مفيدة يمكن أن تقيه كوارث لا حصر لها فى المستقبل . وليس فى الدنيا أشقى من ذلك الأب أو تلك الأم اللذين يريان طفلهما المريض بمرض قد انتقل إليه من أحدهما وكان يمكن وقايته منه بالكشف قبل الزواج ومعالجته .

نصائح وإرشادات صحية

تقدمها وزارة الصحة الى الجمهور

مرض السيلان

قال العلامة نير مكتشف ميكروب السيلان :

" إن السيلان هو ثانى مرض منتشر فى الدنيا بعد الحصبة ، وان مضاعفاته تسبب فى بعض الأحوال الانتحار الأدبى للأمم . فالعقم والاجهاض عاملان قويان لتلاشى سكان أى أمة . "

وسبب هذا المرض هو ميكروب يسمى الجونوكوك اكتشف سنة ١٨٧٩ وهو قليل المقاومة للأحوال الجوية فيموت بسرعة خارج الجسم .

وتحدث عدواه غالبا أثناء الجماع . وقد تحدث بطريق غير مباشر كالحمامات ومياسم الحقنة والمراحيض القذرة والفوط والنوم فى سرير واحد .

وفى المريض نفسه قد تتلوث يديه بالافرازات الحاملة للعدوى فينقلها إلى الأنف ومنه قد تصل إلى العشاء السحائى فى قاع المخ وتسبب إما التهابا أو خراجا شديد الخطر جدا أو ألما فى اللثة قد ينشأ عنه أن تقع الأسنان ، وقد يتسبب فى عمى العينين .

ويتعرض الأطفال للاصابة بهذا المرض بإحدى الطرق الآتية :

١ — اللمس المباشر وبعض هذه الحالات منشؤها الاعتقاد السائد بين الجهلة بأن ملامسة المصاب بالسيلان لأعضاء تناسل الطفل قد يشفيه من المرض .

٢ — أثناء الولادة قد تصاب عينا الجنين من إفرازات الأم المصابة عند خروجه .

٣ — ملامسة الطفل لملابس داخلية مبتلة لمصاب بالسيلان .

ومدة الحضانة تكون من يومين إلى ستة أيام ، وفى الأطفال والنساء تمتد إلى ثلاثة أسابيع .

وعندما يصاب الشخص بذلك المرض يشعر أولا بحرقان فى مجرى البول بعد يومين إلى ستة أيام من تعرضه للعدوى ثم بألم عند التبول ونزول صديد من عضو التناسل ، ويكون

البول معكرا وقد تتهب العلفة أو الحشفة مع وجود تسلخات بها ويزداد الحرقان وإفراز الصديد تدريجيا ويتحول لون الصديد من أبيض إلى أصفر وتتورم الغدد المجاورة لأعضاء التناسل .

وقد يمتد الالتهاب من الجزء الأمامي إلى الجزء الخلفي من مجرى البول ومنه يصل إلى البروستاتة والحويصلتين المنويتين والقناة الناقلة للمني وغدد ليتر والخصية أو البربخ .

ومن المضاعفات الخطرة البول الدموي واحتباس البول والتهاب المثانة وحوض الكلى والروماتزم المفصلي ، والتهاب أطراف العظام المجاورة للمفصل وكذا الأربطة والعضلات والأنسجة حوله ، والأعصاب والتادور (الغلاف حول القلب) والغشاء المبطن للقلب والغشاء السحائي للمخ ، والتهاب الغشاء السحائي على العظام والتسمم الدموي والتهاب العينين أو الشرج .

والسيلان الحاد الذي لم يعالج جيدا يصبح مزمنا وكثيرا ما يؤدي إلى العقم أو ضيق مجرى البول .

سير المرض وأعراضه في النساء :

(١) تشعر المصابة بعد انتهاء مدة الحضانة بإفراز مهبلي آخذ في الازدياد .
(٢) كثرة التبول مع حصول ألم وحرقان شديد .
(٣) ورم مؤلم في الفرج أو غدة بارتولينى عند مدخله .
(٤) ورم مؤلم في الغدة الأوربية .
(٥) وكثيرا ما تصل العدوى إلى مجرى البول فتشعر المريضة بحرقان شديد عند التبول.

ومن المضاعفات الخطرة عند النساء التهاب المثانة وعنق الرحم والرحم نفسه والبوقين والمبيضين والتهاب البريتون وجميع المضاعفات العامة المذكورة في السيلان عند الرجال وكذا السيلان المزمن والعقم .

*

فمن أقدس الواجبات صيانة نفسك وعائلتك وسلالتك من بعدك (وبعد أن علمت أن أهم طرق العدوى بهذين المرضين هي الجماع) أن تبتعد عن الزنا كما قال الله تعالى "ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا" . واعلم أن الكشف على المومسات ليس فيه الضمان الكافي لوقايتك من العدوى .

وإذا أصبت لسوء الحظ بأحد هذين المرضين فيجب عليك استشارة الطبيب فورا عند أول ظهور العلامات لكي لا تضيع عليك فرصة العلاج الفعال . لأن في بدء العلاج مبكرا ضمانا أكيدا للحصول على شفاء تام يضمن الانسان بعده معيشة زوجية هادئة ونسلا سليما .

ويجب عليك الاستمرار على المعالجة مهما طالت حسب مايتراءى للطبيب المعالج واتباع تعليماته وإرشاداته بكل دقة لكى تأمن الشفاء التام وعدم حصول النكسات أو تحوّل المرض إلى الشكل المزمن .

وإياك والاهمال استخفافا بالأعراض الأولية لهذين المرضين مهما كانت بسيطة أو الارتكان على الأعشاب الشائعة بين العوام أو لاستسلام لعلاج الحلاقين أو التمورجية أو لوصفات الدجالين أمثال الأحجبة أو النحو يطات أوالبخور وخلافه ، فانها فضلا عن عدم فائدتها قطعيا تترك ميكروب المرض يثبت أقدامه فى جسمك آمنا مطمئنا وتضيع عليك فرصة العلاج المجدى بعد أن تصيبك مضاعفات المرض التى لا شفاء منها .

واعلم أن العلاج فى العيادات السرية التابعة لوزارة الصحة هو على أحدث الطرق العلمية ويعطى مجانا و بطريقة سرية وفى مواعيد تتناسب مع أعمال الجمهور لكى لاتعوقهم عن القيام بأعمالهم أثناء العلاج .

خطر المرض على نفسك :

١ — اعلم أن السيلان من الأمراض المعدية الشديدة الخطورة، وعلاماته حصول ألم (حرقان) عند التبول ونزول صديد من مجرى البول . فعند ما تحس بهذا المرض يجب عليك أن تذهب فى الحال إلى الطبيب ليداويك بطريقة منتظمة . اما أن تتهاون فى معالجة نفسك فان المرض يجعلك غير قادر على العمل الذى تتعيش منه . ويكون نتيجته ضررا عظيما عليك .

٢ — اعتاد بعض المصابين أن يعالجوا أنفسهم بواسطة الصيدليين والدجالين وتجار العطارة وهذا خطأ كبير يتسبب عنه نتائج مهلكة ، والواجب أن يكون العلاج على يد طبيب قانونى . فالأطباء وحدهم هم الذين يمكنهم أن يشفوك من هذا المرض .

٣ — يجب أن تفهم أن انقطاع الصديد من مجرى البول لا يدل على أنك شفيت من مرضك ولذلك يجب عليك أن تداوم العلاج حتى يخبرك الطبيب أنك شفيت تماما .

٤ — اعلم أن مداواة هذا المرض لا تحوجك إلى الانقطاع عن العمل ، ولا تلزمك بالاقامة بالمستشفى لحين الشفاء .

٥ — يجب عليك أثناء العلاج أن تمتنع عن أكل الموالح (الحوادق) والبهارات كالفلفل والشطة والمستردة وما أشبه ذلك ، ويجب عليك أيضا شرب مقادير كبيرة من السوائل البسيطة مثل الماء والشربات واللبن وغيره . وامتنع عن شرب الخمر بجميع أنواعها ومن ضمنها البيرة والبوظة والنبيذ طول الوقت الذى يستمر فيه نزول الصديد من مجرى البول .

٦ — يجب عليك المحافظة على النظافة التامة لأن الصديد الذى ينزل من مجرى البول إذا وصل إلى العين فانه يسبب لها ضررا كبيرا و يمكن أن يسبب العمى .

٧ — يجب عليك الامتناع عن الأعمال الشديدة أو الأعمال التى تتعب جسمك مثل الجرى والمشى الكثير وركوب الحمير والخيل والدراجات والموتوسيكل .

خطر المرض على غيرك :

٨ — بما أن السيلان من الأمراض الشديدة العدوى فان نزول أى مقدار من الصديد فى مجرى البول يجعل المريض سببا فى نشر العدوى بين الناس .

٩ — من أقبح العادات التى يتسبب عنها انتشار مرض السيلان وغيره من الأمراض المعدية هى عادة التجفيف بعد التبول فى الحائط وغيره فان الصديد الذى يتركه المريض فى مكان التجفيف ينقل عدوى المرض إلى الشخص السليم الذى يجفف بعدك فى نفس المكان فترى من ذلك أن عادة التجفيف من العادات الخطرة التى يجب على جميع الناس ابطالها .

١٠ — يجب عليك أن تحترس من نقل العدوى لغيرك واعلم أن نظافة يديك هى من أهم الأمور التى يلزمك المحافظة عليها . وكذلك يجب عليك عدم استعمال الأشياء التى يستعملها غيرك مثل الفوط والبشاكير وما أشبه ذلك خصوصا للاطفال .

١١ — يجب عليك الامتناع عن الجماع لأنه أكبر واسطة لانتقال العدوى وكل شخص مصاب بهذا المرض لا يجوز له أن يتزوج قبل أن يخبره الحكيم أنه شفى تماما أما اذا كان الصديد قد انقطع عن النزول عند المريض ولكن لم يتم شفاؤه فانه يعدى زوجته و يسبب لها مرضا مزمنا و يجعلها غير صالحة للحمل .

١٢ — لا يجوز لك وأنت مصاب بالسيلان أن تنام مع غيرك فى فراش واحد .

مرض الزهرى

لم يكن مرض الزهرى معروفا فى أوروبا حتى عاد كريستوف كولومب مكتشفا الدنيا الجديدة ومعه نفر من بحارته مصابين بهذا المرض فنشروه فى أوروبا بشكل وبائى عام ١٤٩٤ ، وفى هذا الوقت أطلق عليه اسم المرض الأمريكانى .

وقد انتشر من أوروبا إلى الشرق فأطلق عليه اسم المرض الافرنجى .

و يسبب هذا المرض ميكروب على شكل لولب . وهو قليل المقاومة للا حوال الجوية فيموت بسرعة خارج الجسم .

ويدخل هذا الميكروب جسم المصاب من جروح أو خدوش أو تسلخات طفيفة على سطح البشرة . وقد تكون هذه التسلخات دقيقة لدرجة أنها لا تنظر ولا تحدث ألما . وقد تنشأ أثناء الجماع أو الاحتكاك ومع ذلك فهى كافية لنفاذ هذا الميكروب إلى الأنسجة الرخوة التى تحت الجلد حيث يتربى ويتكاثر .

وتحدث العدوى غالبا أثناء الجماع ، وأحيانا تكون العدوى من التقبيل اذا كانت لشفتان بهما قروح زهرية أو من عمليات الحلاقين المتسخة مثل الحجامة أو الدق أو غيره ، ففى هذه الحالة تنقل آلات الحلاقة الميكروب من المصاب الى السليم مباشرة . وكذلك تنتقل العدوى من استعمال أدوات المريض مثل أوانى الشرب وغيره . أما مدة حضانة المرض فهى تكون من عشرة إلى ثلاثين يوما وأحيانا تمتد الى ٣ أشهر أو أكثر .

سير المرض وأعراضه :

الدرجة الأولى — (القرحة) هى أول علامة لهذا المرض الخطر فان الميكروب عند تكاثره فى الأنسجة الرخوة يحدث كتلة صلبة تتحول بعد قليل الى قرحة صلبة غير مؤلمة بحجم الترمسة تقريبا وهى تظهر غالبا فى مدة مابين عشرة وثلاثين يوما من تاريخ التعرض للعدوى وموضعها المكان الذى حصلت فيه الملامسة مع الافرازات المحتوية على الميكروب . وهذا المكان هو عادة الأعضاء التناسلية أو مجاوراتها . وقد يكون مكانها الشفتين أو اللسان أو الخد أو الحلق فى التقبيل مثلا أو الثدى عند رضاعة طفل مصاب من مرضعة سليمة أو الأصابع أو الشرج وخلافه .

وهذه القرحة تكون عادة منفردة ولكن قد تكون مزدوجة وفى بعض الأحيان متعددة ويصحبها عادة تضخم فى العقد المجاورة لموضع القرحة مثل خن الورك أو خلف الرقبة وقد يظهر مع القرحة نوع من الفرغرينة غير المؤلمة وهذه تؤدى الى سقوط عضو التناسل فى وقت قصير .

ومثل هذه القرحة عرضة لأن يهملها المريض لأنها غير مؤلمة وعلاوة على ذلك فهى عادة تجف وتزول من تلقاء نفسها وبدون علاج البتة فى مدة ثلاثة أو أربعة أسابيع من ابتداء ظهورها مما يشجع المريض عادة على عدم استشارة الطبيب .

الدرجة الثانية — ولكن زوال هذه القرحة معناه وصول الميكروب الى الدم وبواسطة الدم ينتشر فى جميع أجزاء الجسم ويحدث أنواعا مختلفة من الالتهابات والبقع على الجلد والأغشية المخاطية مع تضخم لعقد فى جميع الجسم والحمى وفقر دم وبعض أنواع من التهابات العينين والعظام وسقوط الشعر والمهاق وغيره .

الدرجة الثالثة — وفى هذه الدرجة يتجمع الميكروب فى جهات محدودة من الجسم فيحدث أورام وتقرحات كبيرة الحجم خطيرة فإن وجود مثل هذه الأورام الزهرية فى القلب أو الشرايين مثلا قد يؤدى إلى الموت الفجائى بالسكتة القلبية أو انفجار الشرايين — أو فى العظام فيؤدى الى كسرها لأقل مجهود او فى المخ فيؤدى الى الشلل الفجائى أو الفالج وكثيرا ما يكون موضعها اعضاء التناسل فتساعد على انتشار العدوى .

وفى الدرجة الثانية أو الثالثة قد يصل الميكروب بواسطة دم الحامل الى جنينها فيسبب هذا الاجهاض المتوالى . واذا لم تجهض فان الجنين يولد ليموت بسرعة و إذا لم يمت عاجلا فهو يعيش ضعيفا مشوه الخلقة والتكوين .

وفى بعض الأحيان يولد الطفل وبه بدون تشويه بذكر ولكن يكون الميكروب دفينا فى أحشائه و ينتقل منه إلى أولاده وقد عرف أن بهذه الطريقة تنتقل العدوى من شخص إلى ثالث نسل له .

وقد يصيب الميكروب باطن العين أو العصب البصرى فيؤدى الى العمى .

الدرجة الرابعة — وهى مضاعفات قد لا تظهر إلا بعد مضى سنين عديدة من ابتداء العدوى قد تكون عشرين سنة أو أكثر . ويحدث عنها اضمحلال فى بعض الأعضاء الحشوية الرئيسية للانسان مثل القلب فيموت المصاب قبل الأوان . أو المخ فيصاب بنوع فظيع من الجنون الذى لا شفاء منه .

معلومات عامة :

١ — الزهرى مرض خبيث شديد الخطر عليك وعلى ذريتك ، يؤثر على عموم الجسم وميكروبه يعيش فى الدم ولأجل تمام الشفاء يحتاج المريض إلى علاج متواصل لمدة سنتين أو ثلاث.

٢ — إن جفاف القرحة وأخذ الأدوية لبضعة أسابيع أو شهور لا يطهر دمك من سم هذا المرض فيبقى دفينا فى جسدك . وكذلك يكون المرض دفينا فيك إذا كنت لسوء الحظ مصابا بالزهرى الوراثى . وأمثال هؤلاء الأشخاص يصابون بين حين وآخر بآلام شديدة فى العظام أو المفاصل والأعصاب ونوبات متقطعة من الحمى والتهابات متفاوتة فى الشدة فى مواضع ذات أهمية حيوية مثل المخ أو النخاع الشوكى حيث يؤدى إلى الشلل أو النقطة أو الفالج أو فى العينين فيؤدى إلى ضعف البصر التدريجى الذى ينتهى بالعمى أو فى القلب أو الكبد ويحدث عنه قرح مزمنة على الجلد وخصوصا الساقين والركبتين والتهاب مزمن فى الحلق وفقر الدم وعند السيدات يحصل الاجهاض المتعدد وموت الجنين قبل أو بعد الولادة ، لذلك نلفت نظر من يكون عرضة لأمثال هذه الشكايات سواء كانت خفيفة أو شديدة أو من يشتبه فى وجود بعض أمثال هذه العوارض عنده أن يسرع بالذهاب إلى العيادة السرية بالسدر لكى تفحصه وتفحص دمه مجانا ، و إذا وجد مصابا بالزهرى فإنها تتولى علاجه مجانا أيضا مع العلم بأن وقت العلاج لا يتعارض مع وقت العمل الذى يتعيش منه.

ويجب عليه أن يتبع أوامر الطبيب بكل عناية ويداوم على المعالجة مهما طالت، فإن لم يفعل فيحتمل كثيرا أن تنتقل منه العدوى إلى زوجه وأولاده ويكون فى النهاية عرضة لظهور المرض فى مكان حيوى يهدّد حياته .

والإرشادات الآتية ذات أهمية خاصة خلال السنة الأولى من المرض فإذا أهملتها وأهملت نفسك فإن العلامات الزهرية تظهر عليك مرة أخرى :

١ — امتنع عن تناول أى نوع من المشروبات الروحية لأن الكحول وكافة أنواع المخدرات هى سم إذا أضيف إلى سم المرض جعل الشفاء متعذرا .

٢ — لا تدخن ولا تمضغ التبغ لأن ذلك يزيد قروح الفم الزهرية ويؤخر شفاءها وامتنع أيضا عن السعوط (النشوق) .

٣ — امتنع عن أكل التوابل مثل الفلفل والشطة والحوامض والمخللات والجبنة القديمة الكثيرة الملوحة .

٤ — استعمل فرشاة خاصة لغسل أسنانك فى الصباح والمساء لأن نظافة الأسنان تقلل شدة قروح الفم وتعجل شفاءها ولا تسمح لأى شخص أن يستعمل فرشاة أسنانك .

٥ — عالج أسنانك ان كانت حالتها رديئة وأخبر طبيب الأسنان فى أول زيارة أنك مصاب بالزهرى ليحتاط لمنع نقل العدوى منك الى غيرك من مرضاه .

ولكى لا تنتقل العدوى منك لأهلك وأصدقائك اتبع الارشادات الآتية :

١ — لا تنم مع أحد .

٢ — لا تستعمل سوى أدواتك المنزلية الخصوصية مثل الفرشة والمشط وفرشة الحلاقة والمومى والصابون وغيره .

٣ — لا تقبّل أى شخص خصوصا الأطفال .

٤ — لا تقرب النساء خلال السنة الأولى من المرض وخلال أى نكسة تصيبك نتيجة الاهمال فى العلاج فانك فى هذه الحالة تنقل اليهن العدوى حتما .

٥ — احرق الضمادات التى تستعملها على قروحك وجروحك .

٦ — لا يجوز لك أن تتزوج قبل أن يخبرك الطبيب بشفائك التام بعد أن يفحص دمك ٣ مرات متوالية وتكون النتيجة سلبية فى كل دفعة .

ويجب أن تخبر الطبيب الذى يتولى علاجك لأى مرض عادى فى المستقبل أنك كنت مصابا بالزهرى فان ذلك يجعل الطبيب يغير طريقة العلاج ، ومعرفة الطبيب المعالج بذلك من مصلحتك الشخصية .

متفرقات اجتماعية

حب العمل :

قام مصنع هوتورن الكهربائى فى الولايات المتحدة الأمريكية بتجارب مختلفة بين عماله الذين يبلغون أكثر من ٢٠,٠٠٠ عامل، وكانت غاية هذه التجارب البحث عن أفضل الأساليب فى الإضاءة والراحة والتسلية والحرارة والرطوبة فى إنجاز العمل . وقد وجد أن بعض هذه الأشياء أثر فى زيادة السرعة فى الإنجاز ، ولكنه وجد أن أهم من كل هذه الأشياء المادية ، حب العامل لعمله .وأنه مهما تكن الصعوبات المادية فان هذا الحب هو الذى يساعد العامل على إنجاز عمله . وهناك عوامل انسانية كثيرة تؤثر فى قلة الانجاز أو تأخيره، من ذلك مثلا قلق العامل على مركزه أيام الكساد ، وسخطه لأن غيره قد حصل على علاوة بلا استحقاق ، وسوء علاقاته العائلية ، ومغاضبة الرئيس له ونحو ذلك ، فان العامل هنا يحمل فى نفسه أحنة يظهر أثرها فى عمله . كما وجد أيضا أنه حين يجد الزملاء الذين يسر بزمالتهم أو يجد الإكرام والتقدير من رؤسائه أو يجد العدل فى تقدير أجره بلا تحيز لزميل آخر ، هذه العوامل الإنسانية تزيد إنتاجه مهما تكن الظروف المادية الأخرى غير ملائمة لزيادة الإنتاج .

إطعام التلاميذ :

شاعت عادة إطعام التلاميذ بين جميع الأمم المتمدنة منذ أكثر من عشر سنوات . فان تغذية الطفل قد وثبت فجأة الى وجدان المعلمين باعتبارها متممة للتعليم لا لأن صحة الجسم لا تقل فى قيمتها عن ثقافة الذهن بل أيضا لأن تعليم الطفل يتأخر مادام الطفل سيئ الصحة. وهناك مثلا " فطور أوسلو" الذى يفطر به التلاميذ فى عاصمة نروج . وهناك اللبن الذى يوزع على الأطفال عند الساعة الحادية عشرة من الصباح فى بريطانيا . وأعظم ما تلتفت اليه المدارس فى اعطاء الوجبة المجانية هو تكوينها من الأغذية التى تنقص الأطفال فى بيوتهم إما لفقر عائلاتهم و إما لجهلهم .

وقد عنيت الولايات المتحدة الأمريكية أخيرا باطعام التلاميذ وهى تقدم وجبة الغداء الان لمليون ونصف مليون تلميذ كل يوم بالمجان . وهذه الوجبة تحتوى أهم العناصر الغذائية من أملاح أو فيتامينات . والطفل يعطى مثلا عصير البرتقال محلى بالسكر وقت جوعه ثم ينقص مقدار السكر بالتدريج حتى يتعود شربه بدونه . وهذا غير الأطعمة الساخنة من لحم وخضراوات . وقد وجد أن اطعام الصبى يكلف فى العام سبعة دولارات

وشهد المعلمون أن الصبيان الذين يتناولون هذا الغذاء المجانى قد تحسنت صحتهم وتنبه ذكاؤهم . بل ان الفرار من المدرسة قد نقص بمقدار ٨٠ ٪ فى المئة لأن هذه الوجبة أغرت التلاميذ بالحضور .

الآراء العصرية فى التعليم :

أصبحت التربية من العلوم التى يعنى بها الاجتماعيون والمربون سواء. والتجديد فى آرائها يتوالى للأثر العظيم الذى أحدثته السيكلوجية فى تعليم الطفل وتوجيهه . ومعظم الآراء الجديدة فى التربية يأتى من الولايات المتحدة و بريطانيا وسويسرا و بلجيكا . وكثيرا ما يسألنا القراء عن كتب عربية تعالج هذه الآراء . ونحن نرى أن فى لغتنا كتابين جديرين بالدرس :

أولهما كتاب " طرق التربية الحديثة " للاستاذ محمد حسين المخزنجى . وقد عالج فيه طرق دكرولى ومونتسورى ودالتون وجيرى وو يتيكا وطريقة المشروع. وهذه الأسماء كلها مألوفة عند المجددين فى عالم التربية. ولا غنية لقارئ يهتم بهذا الموضوع من قراءة هذا الكتاب الذى يبلغ ٢٦٠ صفحة متوسطة .

أما الكتاب الثانى فهو " أبحاث علم النفس فى التربية والتعليم " وقد كتبه فى اللغة الانجليزية ٢٥ عالما ومربيا ونقله الى العربية الأستاذ ادمون عبدالنور. وهو يحتوى ٣٢٠ صفحة كبيرة . وهو يعالج جميع الموضوعات السيكلوجية التى تتصل بالمدرسة والطفل ومواد الدراسة والرق الثقافى وتنمية الشخصية والطفل الشاذ وموقف المعلم الى غير ذلك .

ونظن أن هذين الكتابين جديران بأن يقتنيهما الآباء والمعلمون وأن يدرسوا ما فيهما من نظر جديد للتربية .

المواليد والوفيات :

تخرج حكومة الولايات المتحدة مطبوعات مصوّرة عن الصحة العامة يستطيع الملمون بالقراءة أقل إلمام أن يقرأوها و يتبينوا المغزى منها . و يؤخذ من إحدى الرسائل الصحية الأخيرة أن وفيات الأمهات وقت الوضع كثيرة . ففى كل عام يولد فى الولايات المتحدة مليونا طفل . نصفهم فى المدن والنصف فى الريف . و يموت وقت الوضع ١٤٠٠٠ أم كل عام كما يولد ٧٥٠٠٠ طفل ميت .

و يقول المتخصصون من الأطباء انه يمكن إنقاذ ثلثى الأمهات من الموت وقت الوضع اذا عنى بالأم منذ الشهر الخامس للحمل كما يمكن إنقاذ ثلث الأطفال الذين يموتون قبل ولادتهم أو فى أثناء العام الأول من أعمارهم .

وأقل الوفيات فى الأمهات الوالدات يقع حين يكون عمر الأم بين الثانية والعشرين والرابعة والعشرين . وأكثر الوفيات يقع حين يتجاوز عمر الأم السابعة والثلاثين .

وأسباب الوفاة وقت الوضع كثيرة منها الاجهاض والتسمم بسبب الاجهاض أو بسبب آخر والتسمم وقت الحمل والنزف . وهناك أسباب أخرى مثل سوء البيئة الصحية والقذر والطعام السيء والجهل والفاقة .

وتنصح الرسالة للأمهات بضرورة الاعتماد على مشورة الطبيب منذ الشهر الخامس للحمل والالتجاء الى المستشفى وقت الوضع .

الأخلاق والصحة :

يجب أن نذكر على الدوام أن الانسان نفس قبل أن يكون جسما وأن أمراض النفس أعصى من أمراض الجسم كما أنها قد تحدثها . فقد كانت النفس مريضة فان مرضها يؤدى الى مرض بل الى أمراض جسمية عديدة ومن هنا قيمة الأخلاق . فان الرجل الذى تعود الحلم والقناعة والتدين والاخاء يعيش فى أغلب الأحوال سليما من الأمراض الجسمية ويعمر طويلا . فى حين أن الرجل الذى يسرع الى الغضب ويحتقر الاحقاد ويحب الاثراء وتكثر مطامعه يقع فى أمراض جسمية كثيرة .

فقد أثبت الاحصاء مثلا أن القسيسين والفلاحين يعمرون فى انجلترا أكثر مما تعمر سائر الطبقات . والتفسير الواضح لهذه الصحة الممتازة هو القناعة . كما ثبت أيضا أن الانفعال والقلق يزيدان ضغط الدم . وكلما زاد حدثت أمراض مختلفة فى القلب أو الشرايين تنقص الصحة والعمر . وقد قام طبيبان أمريكيان بتجربة ثبت منها أن " سوء الهضم " ينشأ من الانفعالات النفسية وأن هذا الانفعال قد ينتهى بطول المدة الى ايجاد قرحة فى المعدة .

والعبرة من كل هذا أن للسكينة والطمأنينة والحلم والقناعة تأثيرا نفسيا صحيا يؤثر بدوره فى صحة الجسم . وأن العكس أى القلق والغضب والاسراف فى المطامع — كل هذه وأمثالها تؤدى الى مرض الجسم .

ملابس الزوجة :

من أحسن ما قاله أحد الأمريكيين ان الزوجة حين تخاطب زوجها وهى متبذلة فى ملابس المطبخ وتطلب منه حليه كمالية ، لن تصادف منه فى أغلب الأحيان الا المماطلة أو الاعتذار . ولكنها لو لبست أحسن ملابسها وطلبت هذا الطلب لوجدت منه القبول أو على الأقل محاولة إرضائها .

والسبب لهذا واضح . لأن الزوج يقلل من رغبته فى زوجته هذا التبذل . والزوجة تصغر فى عينه حين تبدو أمامه متبذلة اللباس شعثة الشعر قد غاب عنها أبهة الفستان الأنيق ووسامة الوجه الجميل. وكثير من الزوجات تحملهن الألفة الزوجية على إهمال ملابسهن وزينتهن حتى ترتسم لهن فى أذهان أزواجهن صورة سيئة ذميمة هى فى حقيقتها صورة كاذبة لأن قليلا من العناية كان يكفى لعلو مكانتهن فى عيون أزواجهن. وليس عمل المطبخ مما يستهان به أو يمكن إهماله ولكن السيدة الأنيقة تستطيع أن تحتفظ بأناقتها حتى وهى تعمل بالمطبخ كما تستطيع استبدال ملابسها لكى تجعلها ملائمة لكل ظرف. وفضلا عن هذا فان توفير نظافة المطبخ يوفر نظافة الملابس . ومن سوء الرأى أن تحتفظ الزوجة بملابسها الأنيقة للخروج والزيارة وتقابل زوجها فى البيت بالرث البالى أو القذر من الملابس .

المحبة بين الزوجين :

قال المستر فورد صاحب الأتومبيلات المشهورة باسمه : " قضيت أكثر من خمسين سنة لم أحتج فيها إلى أن أجادل المسز فورد " .

وليس معنى هذا القول إنه لم ينشأ خلاف بين هذين الزوجين . إذ المفروض عقلا حدوثه . والذى يعنيه فورد أن الحب بينه و بين زوجته كان على الدوام كفيلا بمنع التشاحن والجدل لأنه كان يحقق رغبة زوجته حين يجد أن لها هوى فى أى شئ كما أنها هى أيضا كانت تنزل على إرادته وتجنب غضبه فلم يكن ثم فرصة للخلاف بينهما .

ومما يذكر عن ج.ب. مورجان الثرى الأمريكى المشهور أنه لم ينس طيلة حياته الزوجية أن يهدى إلى زوجته طاقة من الزهر الجميل يوم ذكرى خطبتهما .

وهذه هى الاخلاق التى تجعل الحياة الزوجية تسير سيرها الهنىء بعيدة عن الصدمات والانفعالات النفسانية. ولا شك أن تجنب هذه الصدمات أو الانفعالات يحتاج إلى مجهود يتفاوت مقداره من الكلمة اللينة إلى الثناء والإعجاب إلى الهدية الأنيقة التى تدل على عاطفتى الحب والاحترام . وليس بين الزوجات من تستطيع أن ترد على هذه المعاملة بغير الحب الصادق والتعلق والشعور بالسعادة الزوجية .

اللباس والشخصية :

اللباس هو الصورة التى نتأثر بها من جهة الشخصية ، فنحن نحكم على الرجل أو المرأة حكما أوليا بما يظهر لنا من لباسهما . وهذا الحكم يتغير أو يخص بعد المعاملة وتبادل الرأى فى الشؤون الاجتماعية أو الثقافية . ومع هذا فلا يزال للأثر الأول — من اللباس — قيمته

فى المقابلات الأولى التى لم يتح لنا فيها التعامل والتعارف. وهناك حالات يعظم فيها هذا الأثر كما يحدث مثلا حينما يتقدم شاب لأحد الرؤساء يطلب عملا. فإن للنظرة الأولى قيمتها الكبيرة وهى هنا للباس. وأمثلة ذلك كثيرة: منها الشاب الذى لا يعتنى بنظافة ياقته فيتركها تتلوث. ومنها عدم العناية برباط الرقبة فيميل ذات اليمين أو اليسار بدلا من أن يحكم فى وضعه من الوسط. ومنها سوء اختيار الألوان سواء فى ذلك الطربوش أو رباط الرقبة. ومنها إهمال حلق لحيته أو قص شعره إلى أن يكسو الشعر قفاه. وقد يبدو جليا أن هذه الأشياء صغائر ولكنها كبيرة الأثر فى المقابلات الأولى التى لا يتاح لنا الحكم على الناس فيها بحديثهم أو الوصول إلى حقيقة معارفهم وأخلاقهم. ومن هنا وجبت العناية بها جميعها. بل أصبح من الضرورى اعتناق عادة التأنق والوقار وتجنب كل ما يوهم الإهمال.

أهداف التربية :

التربية أكبر من التعليم لأن غايتها تكوين الشخصية الممتازة. ويقول الدكتور كول من أكبر علماء التربية فى الولايات المتحدة إن أهداف التربية الحقة تنحصر فى هذه الأشياء الستة:

١ — تعليم الفرد النظر العلمى. وذلك بأن يتعلم أحد العلوم لكى يتمرن بوساطته على الطريقة العملية ويقدر بذلك أثر العلم فى الحضارة القائمة.

٢ — البصيرة الفنية حتى يستطيع المتعلم أن يجد لجمال الفن مكانا فى حياته الاجتماعية والمنزلية والفردية.

٣ — الديمقراطية الاجتماعية وطوالعها، تدرس لكى يقدر الفرد الحضارة الديمقراطية ويبصر بنتائجها المنتظرة.

٤ — النظر الدينى أو الفلسفة الدينية حتى يستقر الفرد على عقيدة كونية تكسبه صميما سليما نشيطا لخدمة الحق والشرف.

٥ — التبعات الاجتماعية التى يجب أن يتحملها كل فرد فى عصره.

٦ — اتقان اللغة التى يتوسل بها الفرد الى ثقافة حاوية ملمة بالعصر الحاضر ومشكلاته وأمانيه.

ويرى الدكتور كول أن الانغماس فى الثقافة بغية اللذة الذهنية فقط ليس من الأهداف العالية التى يجب أن يتجه اليها الشباب الأمر يكون لأن غاية الثقافة هى قبل كل شىء خدمة المجتمع لترقيته.

الاجتماع المثمر :

نجتمع بأصدقائنا ونتزاور غير مرة ولكن ليس كل اجتماع نصيب فيه الهدف الحقيق . فاننا قد نأخذ بأطراف الحديث الذى قد يكون بريئا الى أنه مع هـذا قد يمس غيرنا بنسبة القيل والقال اليه . أو هو قد يكون عبثا لا طائل تحته . ولكن الاجتماعات المفيدة هى التى يختار لها من الأصدقاء من نستطيع أن نلجأ اليه للاستشارة فى مهام الأمور أو تنتفع بزيارتهم للاستفتاء بهديهم . وليس لمقصود هنا الانتفاع المـادى فحسب . بل نرمى إلى غرض أسمى من ذلك هو الانتفاع الروحى حين يستقر بنا الجلوس الى صديق أكبر منا سنا وأكثر منا خبره بالحياة الصحيحة . فحينما نبوح له بأسرارنا نجد منه النور والمعرفة والنصيحة .

ولذلك يجب ألا نصادق جزافا أو نزور كذلك جزافا . بل نختار الأصدقاء بكل دقة وروية ونعمد إلى الزيارات التى تزيدنا بسطة نفسية وثقافة روحية ورفعة أخلاقية وكل من الرجل أو المرأة إذا بلغا كلاهما درجة النمو يجب عليهما عدم إهمالهم الصداقة التى تكون وسيلة لهذه الغاية . ولذا يجب أن يختار لهذه الغاية النبيلة الذين يمتازون بأسمى الفضائل للصداقة والزيارة فان اجتماع أمثالهم فى البيت متعة نفسـية عالية للكبار وتربية لتنمية مدارك الصغار . وكثير من ربات البيوت يقتنين الصديقات من الصنف الرخيص الذى يسلى بالقيل والقال ولكن فى هذه الصديقة عدوى سيئة فهى أيضا معدومة القيمة لأن ربة البيت لا تنتفع بها بزيادة فضائلها وقد تضرها بتحريك أسوأ العواطف عندها .

ما يبقى مما تعلمنا :

قامت مؤسسة كارنجى فى الولايات المتحدة يبحث عن مقدار ما ننسى مما تعلمنا بالمدرسة. فعمدت الى سبعين من خريجى الجامعات الذين تخرجوا منذ خمس سنوات وامتحنتهم فى المواد التى درسوها بالجامعة فوجدت هذه النتائج التالية :

(١) المواد التى نسيت أكثر من غيرها هى الرياضيات والآداب الأجنبية والتاريخ .

(٢) المواد التى زادت معارفهم فيها على ما كانت عليه أيام تخرجهم هى كلمات اللغة الانجليزية (لغة الولايات المتحدة) .

(٣) كان المعلمون والأساتذة أحفظ للمواد التى تعلموا من التجار .

(٤) وجد أن عاملا فى الزراعة قد نسى نصف الكلمات التى تعلم فى الكلية .

وهذه النتائج تدل على أن بقاء المواد فى الذاكرة أو زيادتها يتوقفان على ممارسة المتعلم لها بعد تخرجه من الكلية . أما اذا كانت حياته العملية أو الحرفية لا تتطلب استعماله لهـذه المواد فانه ينساها . والمغزى أن التعليم يجب أن ينظر فيه الى مستقبل الطالب من حيث إنه سيمارس ويستغل معارفه أو يهملها حين يترك المدرسة أو الكلية .

أسئلة وأجوبة

أسباب الخيبة

(القاهرة — أحد التجار) ما هي الأسباب التي تؤدي الى خيبة التاجر أو الصانع . فاننا كثيرا ما نرى أحد التجار ينشأ صغيرا ثم يظل ينمو وتزداد ثروته وتتسع أعماله ثم لا تلبث بعد ذلك أن نراه وقد فشت تجارته وأفلس أو انحط عن مكانته السابقة .

(المجلة) للخيبة عند التجار أسباب كثيرة ربما كان أهمها سوء التمييز في أعمالهم . أي قلة التبصر للمستقبل والاستعداد للطوارئ وإساءة الادارة والاقتصاد وقلة اليقظة الدائمة للجديد الذي يغري جمهور المشترين والتزام القواعد القديمة التي بليت سواء في مسك الدفاتر أم في عرض السلع أم في اختيارها .

ومن يتأمل البيوتات التجارية المصرية التي كانت مشهورة قبل أربعين سنة ثم لم يبق منها حتى الاسم في أيامنا يرى انها لم تجار العصر في زيائه وبدعه ومبتكراته . فقد كان بعضها مثلا يقيم في أحياء معروفة حوالي سنة ١٩٠٠ . ولكن الرقي المدني في القاهرة انتقل الى أحياء جديدة فلم ينتقلوا اليها بل التزموا مكانهم القديم على بعده وانفراده .

ثم هناك الاسراف الشخصي في النفقات الخاصة والاهمال للادرة بالغياب المتكرر . وهناك أيضا التوسع الذي يبنى على ديون بفوائد عالية لا تسدها الأرباح من التجارة .

والعادة أن كل هذه الأسباب مجموعة هي التي تنتهي بالافلاس . ولزيادة الفائدة نحيل السائل الفاضل إلى المقال الممتع الذي كتبه حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا في العدد السابع من أعداد السنة الماضية .

علم الاجتماع

(دمنهور . ص . ر) — "ما هو علم" الاجتماع وما هي الموضوعات التي يدرسها علماؤه؟

(المجلة) "الاجتماع" هو الدراسة العلمية للمجتمع . وهذه الدراسة هي التي تمكن بها من الاسترشاد بالمعارف بدلا من الاعتماد على المشاهدات الفردية والآراء الشخصية ومهمة المصلح الاجتماعي هي إخراج الخدمة الاجتماعية من دائرة الاحسان العاطفي الى دائرة التفكير الفني . وعالم الاجتماع يدرس كل ما يرقى المجتمع أو يحطه من التعليم والعائلة والجريمة والنجاح والخيبة والفقر والمرض والحياة المدنية وعلاقة الريف بالمدينة والأخلاق وكل ما يؤثر في المجتمع .

لماذا نخشى الظلام

(اسنا — ف . ج) لماذا نخشى الظلام وهل هو يعود إلى أننا خوفنا به فى الصغر فقط ؟

(المجلة) المشاهد أن الطفل الرضيع لا يخشى الظلام . ولكن الخوف ينشأ فيه بالتخويف من أمه أو اخوته الذين يذكرون له البعبع والعفريت ونحو ذلك . ولكن يجب مع ذلك ألا ننسى أن الظلام يجعلنا عاجزين عن الدفاع عن أنفسنا وقت الخطر . فإذا كان هناك خوف من لصوص فإن هذا الخوف يزداد وقت الظلام لأننا نعجز عن تمييز أشخاصهم واتقائهم ونشعر بأن هجومهم المفاجىء علينا قد يحدث فى أى وقت . ومثل هذا الخوف لا نحسه فى النهار لأننا نستطيع أن نستعد له .

ولكن خوف الظلام فى الكبار يعد عرضا من أعراض النيوروز أى المرض النفسى . لأننا حين يتزعزع اتزاننا النفسى نعود إلى أخلاق الطفولة ونخشى الظلام عندئذ كما كنا فى طفولتنا . والخوف من الظلام هنا يعدو حدود العقل وهو مرض يحتاج إلى العلاج . كذلك الخوف الذى يحسه من يسير فى الميادين أو من يقعد فى شرفة أو فى غرفة مقفلة .

الهستريا والنورستينيا

(السويس . ر . ا .) — ما هو الفرق بين الهستريا والنورستينيا وما أسبابهما ؟

(المجلة) الهستريا هى علة جسمية بلا سبب جسمى لأن السبب نفسى . مثال ذلك سيدة تجد حلقها مسدودا كلما حاولت أن تشرب من الكوب . والسبب أنها رأت يوما ما كلبا يلعق من الكوب . ومثال آخر شاب قد أصابه فالج فى ذراعه . والسبب أن رئيسه وبخه وسبه فقامت فى نفسه رغبة لضربه ثم خشى العاقبة . ونشأ من هذا الصراع بين الانتقام والتبصر هذا الفالج .

أما النورستينيا فهى قلق وسواسى يؤدى الى قلة النشاط والهمود والتردد والاغتمام وهو يرجع الى عقدة نفسية مكظومة . وجميع الأمراض النفسية على وجه عام تعود الى رغبات مكظومة .

أسباب الفقر

(طهطا — س . ح) ما هى علة الفقر ؟ وهل لا بد أن يكون هناك فقراء فى كل أمة ؟ أو بكلمة أخرى : هل الفقر قدر محتوم لا شأن للفرد فيه أم هو عارض ناشىء من نقائص معينة فى الفقراء ؟

(المجلة) عقد الأستاذ بلاكمان فى كتابه " مبادئ الاجتماع " فصلا بعنوان " الفقر : أسبابه وعلاجه " ونحن نذكر فيما يلى بعض هذه الأسباب كما بينها وشرحها :

١ — ضعف الحيوية الذى يؤدى إلى التراخى والكسل وكراهة النشاط والجد .

٢ — المرض ، وهو يعد فى بريطانيا وأمريكا أعظم الأسباب للفقر .

٣ — سوء التصرف ، بالإسراف مثلا فى شئون المنزل أو سوء الاختيار للا طعمة أو للا ثاث أو نحو ذلك .

٤ — حب الخمور أو التدخين أو بعض المخدرات لإتلافها الصحة والمال.

٥ — جهامة الوجه أو الشخصية المنفرة .

٦ — قلة الحماسة التى تؤدى إلى قلة الاتقان والانتقال من عمل إلى آخر.

٧ — عادات تضر بالصحة كالاسراف فى الطعام أو العادات الجنسية .

٨ — سوء الطعام الذى يفسد الصحة ويتلف الكسب .

٩ — تشتت العائلة بالشقاق بين الزوجين ونحو ذلك .

١٠ — سوء البيئة أو فقرها الأصلى .

١١ — مظالم الحكومة التى لا تنصف أبناءها .

١٢ — التعليم السيئ الذى لا يؤهل المتعلمين لتحصيل العيش .

١٣ — سوء الأحوال الاقتصادية والصناعية .

١٤ — الإحسان فى غير موضعه .

وبالطبع هذه الأسباب لا علاقة لها بالتعطل الذى يحدثه النظام الصناعى حين تقفل المصانع ويقع العمال فى بطالة اجبارية . والعادة أن الأمم الصناعية تقابل هذا التعطل بإعانات ولذلك لا يعد من الفقر .

الأمراض بين الوراثة والوسط

(الجيزة — ج . ث) — ما هى الأمراض الوراثية التى يجب أن يتقيها الشاب عند إقدامه على الزواج ؟

(المجلة) حين نصف الأمراض بأنها " وراثية " نعنى أنها تسير على قانون مندل فى الوراثة : وهذه الأمراض الوراثية هى العيوب الجسمية والذهنية مثل زيادة الأصابع والقصر والبلاهة . وكذلك الاستعداد — الاستعداد فقط — لبعض الأمراض . ومتى عرف الاستعداد أمكن اتقاء المرض .

وهناك أمراض تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالعدوى مثل الأمراض الزهرية . ولكنها ليست وراثية أى لا تسير على قانون مندل .

وهناك أمراض تتفشى فى بعض العائلات مثل البول السكرى أو الدرن أو الأحماض . وتفشيها يوهم الوراثة ولكن السبب الحقيق لها أن العائلة تتخذ أسلوبا سيئا فى الطعام أو السكنى فتحدث فيها هذه الأمراض . كما أن بعضها شديد العدوى — مثل الدرن ينتقل من عضو إلى آخر فى العائلة ؟

أمارات الذكاء

(سمنود . س . ح) كيف تعرف أمارات الذكاء فى الطفل وما هى علامات الصبى الموهوب ؟ وما هو الذكاء .

(المجلة) هناك مقاييس للذكاء يمكن الاعتماد عليها و يمكن امتحان الانسان بها من سن سنة واحدة إلى سبعين سنة . والصبى الذكى أو الذى لا ينقص ذكاؤه عن المألوف يعرف بتقدمه فى النطق والمشى . أى إن التأخر فى النطق قد يكون أحيانا برهانا على النقص فى الذكاء . والغلام الموهوب أو الصبية الموهوبة يبدوان فى سن المراهقة أجمل من سائر من فى سنهما . والذكاء يتم عادة بين سن ١٥ و ١٧ سنة أى إن الشاب فى هـذه السن لا يقل ذكاؤه عن الرجل فى الخامسة والعشرين . وقد لوحظ بين صبيان المدارس أن التلميذ الذكى يحس حمى المطالعة والرغبة الحارة فى المعارف بين ١٧ و ١٨ سنة .

أما الذكاء على وجه عام فيمكن أن يوصف بأنه موهبة عامة وليست خاصة . أى إن الذكى فى الآداب ذكى أيضا فى سائر المواد إذا كان قد هيئ لها .

وليس شك أن هناك تفاوتا فى مقدار الذكاء الموروث بين فرد وآخر . ولكن الذكاء الخام معدوم القيمة . والنجاح يقتضى تدريبه وتنبيهه . وأعمالنا العادية لا يقتضى النجاح فيها غير المقدار المتوسط من الذكاء .